الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التربية الوطنية

مديرية التعليم الثانوي العام

المختار في الأدب والنصوص

للسنة الثالثة الثانوية

طبعة منقحة

الشعب: العلمية والتكنولوجية والتقنية

الجمهوريــــة الجزائريــــة الديمقراطيــــة الشعبيــــة

وزارة التربيــــة الوطنيــــة

مديرية التعليم الثانوي العام

المختار في الأدب والنصوص

للسنة الثالثة الثانوية

طبعة منقحة

الشعب : العلمية والتكنولوجية والتقنية

الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية

الإشراف على التأليف :

محمد العكي : م . ت . ت

الإعداد :

- ســـــاعد العـــلوي
- بدر الدين بن تريدي

الإشراف على التعديل :

آمنـــــة أشـــلي : م. ت . ت

مسعود برادعي : م. ت . ت

الإعداد :

- العربي عمــوري
- هنــــد عمــوري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

لعل من المسلم به أن الكتاب المدرسي،وخاصة في نظامنا التربوي وفي الوضع الراهن، يعتبر في مقدمة الوثائق التربوية والوسائل الأساسية بالنسبة لعملية التعليم والتعلم. فوجوده يكتسي أهمية بالغة سواء بالنسبة للتلميذ أو الأستاذ. إذ هو مرجع للأول وسند بيداغوجي للثاني. والواقع أن بعض الكتب المستعملة في مرحلة التعليم الثانوي، والتي يعود تاريخ إصدار أكثرها إلى الثمانينات، اصبحت لا تساير المناهج لا من حيث المحتوى ولا من حيث المنهجية، نظرا لما اعترى برامج هذه المرحلة التعليمية من تغيير وتعديل، خاصة مع بداية العشرية الجارية التي عرف فيها التعليم الثانوي تغييرات معتبرة شملت بنيته ومحتواه. الأمر الذي زاد في اتساع رقعة التباين وقلة الانسجام بين البرامج التعليمية، والكتب المدرسية المتداولة التي بقيت كما هي منذ تأليفها.

وفي إطار الإجراءات التحسينية الشاملة والمتكاملة، ولمعالجة النقائص والاختلالات البينة والعمل باستمرار على ترقية العوامل والوسائل التي تسهم في تحقيق الأهداف التربوية المسطرة، رأينا أن نشرع هذه السنة وتحضيرا للدخول المدرسي 1999 / 2000 في عملية تصحيح وتعديل وإثراء مضامين الكتب المدرسية المستعملة وتكييف محتوياتها - ما أمكن ذلك - مع البرامج المطبقة، مع مواصلة إعداد كتب جديدة لتغطية جميع المواد المدرسة والأساسية منها على الخصوص. هذا إلى جانب الإعداد لبناء مناهج جديدة - في إطار الإصلاح - ثم وضع كتب موافقة لها.

وتجدر الإشارة بهذا الصدد، إلى أن قضية الكتاب المدرسي لا تكمن في نوعيته وتوفره بين أيدي التلاميذ فحسب، بل تتعدى ذلك إلى كيفية استعماله بفعالية وإدراك وظيفته وأساليب استثمار محتوياته والانتفاع به. وهي أمور ينبغي للسادة الأساتذة أن يولوها العناية والاهتمام اللازمين.

أخيرا، نأمل أن يكون في هذا العمل ما يعزز جهود الأساتذة ويساعدهم على أداء مهامهم التربوية، وأن يجد فيه التلاميذ الأداة المشوقة والمحفزة على العمل والاجتهاد في طلب العلم.

والله ولي التوفيق

مدير التعليم الثانوي العام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة : **الطّبعة الجديدة .**

تبادر مديرية التّعليم الثّانويّ ، في إطار إعادة طبع كتب تدريس المادّة ، إلى طبع كتاب : « المختار في الأدب والنّصوص » للسّنة الثّالثة الثّانوية : الشّعبة الأدبيّة والشّعب العلميّة والتكنولوجيّة والتّقنيّة ، على غرار ما تمّ القيام به مع كتب السّنتين : الأولى والثّانية الثّانويتين ، وهي بذلك تهدف أوّل ما تهدف إلى توفير النّص والكتاب بين أيدي التّلاميذ وتيسير مهمّة الأستاذ وقد روعي في العمليّة ما يأتي:

1 ـ المحافظة على الإطار العام للتّأليف الأصليّ :

2 ـ إجراء التّعديلات اللاّزمة لتوافق مقرّرات المنهاج الحالي وهذا بـ :

ـ تثبيت النّصوص المقرّرة لكلّ شعبة .

ـ حذف قسم القراءة بعد حذف هذا النّشاط من المنهاج .

ـ إضافة نصوص أضافها المنهاج مما لم يكن مقررا من قبل ونقل أخرى إلى الشّعبة المعيّنة حسبما يتطلبه البرنامج.

ـ اعتماد مصطلحات المنهاج مثل الدّراسة الأدبية والفنيّة بدل نقد واستنباط .

ولا يفوتنا أن ننصح الزملاء بـ : استخدام مهاراتهم في التّدريس لإضفاء الحيويّة والنّشاط على حصصهم وتجنّب النّمطيّة في التّقديم ، ولا يتأتى هذا إلاّ بـ :

ـ إعداد الدّرس إعدادا تامّا برسم أهدافه وتحديد عناصره ومراحله وضبط أسئلته والقيام بأنواع التقويم .

ـ إشراك التّلاميذ باعتبارهم أطرافا في العمليّة تحضيرا وإنجازا .

والله نسأل التّوفيق .

لجنة التعديل .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

هذا هو كتاب «المختار في الأدب والنصوص» نضعه بين أيـدي تلاميـذ السنة الثالثة الثانوية من الفروع : العلمية والرياضية والتقنية، وهو يشتمـل على ما هو مقرر في المنهج الجديد لوزارة التربية والتكوين، وقد سرنا فيه على الطريقة التي اتبعناها في الجزأين السابقين، مع التوسع في كل جـزء بالتدرج حسب المقدرة التي تلائم كل مستوى.

وسيجد زملاؤنا الأساتذة أننا عرضنا فيه (قسمه الأول) الفنـون الأدبيـة المقررة، جاعلين الدراسة تنصب على النصوص الأدبية ذاتها، ثم تأتي الأحكـام الأدبية في ظلالها مستقاة منها.

وخطة الكتاب في تناول المواضيع المقررة ومعالجتها تقوم على منهجية يسيرة واضحة قوامها ، في الأدب ، تعريف الفن تعريفا مقتضبا ، ثم عرض النصوص المختارة نصًا نصًا، بدءا بترجمة موجزة للأديب ، وشرح مناسبة النص ، وعرضه مشكولا ، ثم تحليله وشرحه ونقده ، واستنتاج ما يمكن استنتاجه من الأحكام والقيم ، وأخيرا تأتي التمارين التطبيقية المتنوعة استكمالا للمادة ، وتعمقا فيها ، وتختم دراسة الفن بتقديم صورة عن تطوره وخصائصه .

ونتوجه ـ بهذه المناسبة ـ إلى الإخوة الزملاء بالشكر سلفا ، لما سيرد منهم إلينا ، من ملاحظات بناءة ، تدلنا في عملنا هذا إلى أقوم المناهج ، وأسلم الطرق . ونسأل الله أن يوفقنا جميعا لما فيه خير المنظومة التربوية .

مفتش التعليم الثانوي والتكوين

محمد العكي

توجيه في طريقة التدريس

أ ـ الأدب والنصوص

لكي تأتي دروس النصوص بالفائدة المرجوة ، وتصبح من الدروس الممتعة ، يفهمها التلميذ ويتذوقها ، يحسن أن يقوم الدرس على المراحل الآتية :

1 ـ إعداد الدرس إعداداً جيّداً ثقافيا وتربويا ونفسيا قبل إلقائه ، على ألاَّ يُكتفَى في الإعداد الثقافي بما ورد في كتاب التلميذ .

2 ـ تكلف التلاميذ قراءة النص في منازلهم قراءة تَفحُّص وامعان ، محاولين تفهم معانيه وادراك مراميه ، وتذوق جماله .

3 ـ التمهيد للنص ، ويتناول حديثا استهلاليا ، وتعريف صاحبه بإيجاز ، وشرح مناسبته إن كانت .

4 ـ القــرأة: يقرأ الأستاذ النص قراءة نموذجية مُعبِّرة ممثلة للمعاني والأحاسيس . ويُقْرِئه بعض التلاميذ ، مقتدين بالقراءة النموذجية .

5 ـ الفكرة العامة : وطريقة استنتاجها أن يوجه الأستاذ طائفة من الأسئلة تتناول المعنى الإجمالي للنص ، وتساعد على تحديد فكرته العامة .

6 ـ الشرح : يتم الشرح عن طريق الوحدات ، وذلك بقراءة الوحدة من أحد التلاميذ المجيدين ، وشرح ماورد فيها من مفردات صعبة ومناقشة معانيها بواسطة الأسئلة المعدة إعداداً محكما ، وتلخيصها ، واستنتاج فكرتها الأساسية .

7 ـ المناقشة التذوقية : بعد فهم الوحدة ، يوجه الأستاذ أنظار التلاميذ إلى كلمة جزلة ، أو عبارة جميلة ، أو صورة رائعة . . ويناقشهم فيها مناقشة تسفر عن إدراك جمالها وسر بلاغتها .

8 ـ **الدّراسة الأدبية والفنية** : بعد فهم النص وتذوقه ، تلقى عليه نظرة نقدية عامة تتناول :

أ) المعاني والأفكار: من حيث وضوحها ، وتسلسلها ، وجدتها ، وعمقها ، وقيمتها . . .

ب) العواطف : وذلك بتحديد نوع العاطفة أو العواطف والحكم عليها من حيث القوة والصدق . . .

ج) الأسلوب : وذلك بالتعرض للصفة الغالبة عليه في الألفاظ والعبارات . والأساليب ، والخيال ، والبديع ، والموسيقى . .

د) الأحكام والقيم : وذلك باستنتاج مايصوره النص من ظواهر البيئة ، ومايعكسه من مميزات صاحبه ، ومايتضمنه من قيم . وينبغي أن تكون هذه الحقائق والأحكام مستنبطة نابعة من النص ذاته ، يحسها ويلمسها التلميذ .

10 ـ التطبيق : وذلك بتكليف التلاميذ إنجاز بعض التمارين التطبيقية التي تختبر الفهم الدقيق ، والتذوق الأدبي ، والقدرة على الاستنتاج والاستنباط ، وعقد الموازنات .

الفصـــل الأول

أ ـ القرآن الكريم :

ـ من قصص القرآن : آيات من سورة الكهف

ب ـ الحديث الشريف :

ـ من هدي الرسول ﷺ

من قصص القرآن

آيات من سورة الكهف : (9 ـ 21)

تمهيـد :

في سورة الكهف ثلاث روائع من القصص القرآني ، تهدف إلى تثبيت العقيدة ، والإيمان بعظمة الله تعالى ، وبالبعث والنشور ، وهي : قصة أصحاب الكهف ، وقصة موسى مع الْخَضِر ، وقصة ذي القرنين ، بالإضافة إلى ثلاثة من الأمثلة الواقعية ، تبين أن الحق غير مرتبط بالمال الكثير ، والسلطان القوي ، وإنما يرتبط بالعقيدة .

وقد روي في سبب نزول هذه الآيات أن مشركي مكة طلبوا إلى أحبار اليهود بالمدينة أن يدلوهم على أشياء يسألون عنها الرسول ﷺ ليعجزوه ، فقالوا لهم : « اسألوه عن الروح ، وعن فِتْية ذهبوا في الدهر الأول : ما كان أمرهم ؟ وعن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها : مانبأه ؟ » . ولما سأل المشركون الرسول ﷺ هذه الأسئلة قال لهم : أجيبكم غدا . ولم يستثن[1] . فأبطأ عليه الوحي . حتى صعب عليه كلام قريش ، ثم أنزل الله عليه سورة الكهف ، وفيها الجواب عما سألوه عن الفِتْية والرجل الطّوّاف ، وأنزل عليه الجواب عن الروح في سورة الإسراء الآية (85) في قوله تعالى : « **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** » .

وقصة أصحاب الكهف التالية نموذج لقصص القرآن وغرضه الديني ، وهي تبيّن إيثار الإيمان والعقيدة على باطل الحياة الدنيا وزخرفها ، كما تثبت القدرة الإلهية على بعث الأموات يوم القيامة .

النـص :

---

1 - أي لم يقل : إن شاء الله .

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟
مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ
ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا
عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ
أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم
بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾
وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾
هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾
وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ
يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مَّرْفِقًا ﴿١٦﴾
وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ
وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ

مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن
تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ
وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ
ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ
فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ
لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ
لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ
فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ
أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ
وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ
أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾
وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ
ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ
عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ صدق الله العظيم

شـرح لغـوي :

[**الكهف** : غار واسع في الجبل ـ **الرقيم** : لوح كتبت فيه أسماء فتية الكهف ـ **رشدا** : اهتداء إلى طريق الحق ـ **أمدا** : مدة ـ **الحزبين** : الفريقين المختلفين في مدة مكثهم ـ **ربطنا** : شددنا وقوّينا بالصبر ـ **شططا** : قولا مفرطا في البعد عن الحق ـ **سلطان بيّن** : برهان ظاهر ـ **افترى** : كذب ـ **مرفقا** : ماتنتفعون به في عيشكم ـ **تزاور** : تميل وتتنحَّى ـ **تقرضهم** : تعدل عنهم وتبتعد ـ **آيات الله** : دلائل قدرته ـ **بالوصيد** : بفناء الكهف أو عتبة بابه ـ **ورقكم** : دراهم من فضة ـ **أزكى** : أحل وأطيب ـ **يظهروا عليكم** : يطلعوا عليكم أو يغلبوكم ـ **ملتهم** : دينهم ـ **أعثرنا** : أطْلعنا الناس عليهم .]

تحليـل وشـرح :

في هذه الآيات قصة شباب آمنوا بالله الواحد ، أراد ملكهم المشرك في زمانهم أن يفتنهم عن دينهم ، ففروا منه إلى كهف ، حفظهم الله فيه من بطش الطاغي ، وأنامهم قرونا ، بعثهم بعدها ليكونوا برهانا حسيا للناس على أن الله الذي بعث هؤلاء من نومهم قادر على بعث الأموات من قبورهم يوم القيامة ، وتتخلل القصة توجيهات دينية بشكل تعقيبات على مشاهدها .

وتيسيرًا لفهم الآيات يمكن تقسيمها إلى خمسة أقسام :

أ ـ عرْض القصة إجمالا (9 ـ 12) .

ب ـ إيمان الفتية وإنكارهم لآلهة قومهم : (13 ـ 16) .

جـ ـ هيأتهم وهم نائمون : (17 ـ 18) .

د ـ استيقاظهم وتحاورهم : (19 ـ 20)

هـ ـ تنازع القوم في شأنهم بعد وفاتهم : (21) .

يخاطب الله ـ جل شأنه ـ رسوله الكريم ﷺ في القسم الأول ويقول له : لاتظن أن قصة أهل الكهف ـ رغم غرابتها ـ هي أعجب آيات الله ، ففي هذا الكون وماعليه من زينة آيات أعجب من قصة هؤلاء ، واذكر يامحمد التجاء الفتية المؤمنين إلى الكهف ، ودعاءهم الله أن يعطيهم من خزائن رحمته مغفرة ورزقا ، وأن يجعلهم من الراشدين المهتدين ، فاستجبنا لدعائهم . وأنَمْناهم في الكهف سنين عديدة ، ثم أيقظناهم لنرى أي الفريقين المتخالفين أدق إحصاء للمدة التي لبثوها .

وفي القسم الثاني يقول الله تعالى لنبيه : نحن نقص عليك حقيقة خبر الفتية العجيب ، فهم فئة من الشبان المؤمنين بالله ، الذين ثبّتنا قلوبهم على الإيمان ، وزدناهم يقينا ، وألهمناهم الصبر ، فأصبحت قلوبهم مطمئنة إلى الحق والدين ، فهم عندما كانوا بين يدي الملك الكافر قالوا دون أن يخافوا منه : ربنا هو خالق السموات والأرض ، لاماتريد أن نعبده من الأوثان ، فلن نشرك بربنا أحدا ، ولئن عبدنا غيره نكن متجاوزين الحق ، وظالمين أنفسنا ، وضالين سواء السبيل ، وإن عبد قومنا الأصنام تقليدا ، فهلاّ يأتون على ذلك ببرهان ظاهر ، فلا أحد أكثر ظلما من الكاذب على الله بإسناد شريك له جل شأنه .

ويتجه الحديث بعد هذا إلى الفتية ، فتقول الآيات : إذا نفرتم من قومكم ، ومن الأوثان التي يعبدونها ، فالتجئوا إلى الكهف ينشر عليكم ربكم رحمته ، ويوسعها عليكم ، ويُيسِّر لكم ماترتفقون به من غداء وعَشاء .

وفي القسم الثالث تشخص الآيات منظر هؤلاء الفتيه النائمين في الكهف ، فتقول : إنك ترى أيها المخاطب الشمس حين طلوعها تميل جهة اليمين ، مجتنبة كهفهم ، وحين غروبها تبتعد عنهم إلى جهة الشمال ، كي لاتؤذيهم بحرارتها ، إكراما لهم من الله ، فهم وسط الكهف الفسيح لاتمسهم الشمس ، وهذا الصنيع من دلائل القدرة الإلهية ، وخلال هذا المشهد نجد توجيها من الله تعالى ، يفيد أنّ من وُفّق للإيمان فهو المهتدي حقّاً ، ومن أضله الله فلن تجد له وليّايهديه ويرشده ، وبعد هذا التوجيه نقرأ تتمةً لِصورة المشهد . فتقول الآيات : إنك لواطّلعت عليهم ـ أيها الناظر ـ لظننتهم مستيقظين لتفتُّح عيونهم ، وتَقلُّبهم ، والحال أنهم مستغرقون في نوم عميق ، وهم أثناء ذلك يُقَلَّبون من جنب إلى جنب ، لكي لا تتآكل أجسامهم ، هذه هي حال الفتية في الكهف ، أما كلبهم فهو باسط ذراعيه بفنائه ، كأنه يحرسهم ، فلو شاهدتهم ، وهم على تلك الحال ، لهربت منهم رعْبا وخوفا منهم ، لِما جعل الله لهم من هيبة .

وفي القسم الرابع نجد الفتية يتحاورون بعد استيقاظهم ، قال الله تعالى في ذلك : « **وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ** .... » أي إننا كما أنمناهم ، كذلك بعثناهم وأيقظناهم من نومهم الطويل الشبيه بالموت ، ليتساءلوا فيما بينهم عن المدة التي أقاموها في الكهف . فقال أحدهم : كم لبثنا ؟ قالوا : يوما أو بعض يوم . وما علموا أنهم ناموا ثلاثمائة وتسع سنين ، وقال بعضهم : الله أعلم بمدة إقامتكم . ولافائدة وراء البحث عنها .

فانظروا فيما هو أجدى لكم وأنفع ، فنحن الآن جائعون ، أرسلوا أحدكم إلى المدينة بنقودكم الفضية هذه ، ولْيختر لنا طعاما أطيب ، فلْيشتر منه ، وليكن متلطِّفا حذِرا عند دخوله المدينة ، حتى لاينتبه أحد لأمرنا ، فإن القوم إن اطّلعوا عليكم وظفروا بكم قتلوكم بالحجارة ، أو ردّوكم إلى دينهم الوثني ، وإن عدتم إلى دينهم كنتم من الخاسرين .

وفي القسم الخامس والأخير نرى الفتية قد اكتُشف أمرهم ، وعُثر عليهم ، فتقول الآيات عن ذلك : إننا كما أيقظناهم من نومهم الطويل كذلك أطْلعنا الناس عليهم ، ليكون لهم دليل من ذلك على صحة خبر البعث والنشور ، وليتحققوا أن القيامة لاريب فيها ، وفي بعث هؤلاء الفتية حجة بالغة على إمكان بعث الأموات من قبورهم . وكان قومهم حينئذ متنازعين في أمرهم ، بعد اطِّلاعهم عليهم ، وبعد وفاتهم ، فقال قوم : ابنوا على باب كهفهم بنيانا يكون علَما عليهم ، والله أعلم بشأنهم ، وقال الأغلبية منهم : لنتَّخذنّ على باب الكهف مسجدا نعبد الله فيه .

من أسرار الأسلوب القرآني :

يمتاز قصص القرآن الكريم بسموّ غاياته ومقاصده ، فهو يُعدّ من طرق تبليغ دعوة الله إلى الناس ، لذا نجد القصة القرآنية خاضعة في غرضها وطريقة عرضها لمقتضى الأغراض الدينية التي منها : الدعوة إلى الإيمان ببعث الأموات يوم القيامة ، وأن هناك حياة أخرى أبدية في دار الجزاء بعد هذه الحياة الدنيا الفانية ، وفي هذا السياق تندرج قصة أصحاب الكهف .

ومن آثار خضوع القصة في القرآن للغرض الديني إيراد تعقيبات بعد بعض أقسامها ومشاهدها ، كما يبدو ذلك في القسم الرابع من هذه القصة ، فنجد أن الله تعالى بعد ما أطْلع القوم على الفتية عقّب على ذلك بقوله : « **لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَارَيْبَ فِيهَا** » .

وممّا يَلفِت انتباهنا في هذه القصة قوة التصوير والتشخيص ، الذي يجعل القارئ كأنه يرى مشاهدها حاضرة أمامه ، فيرى تشاور الفتية قبل هربهم إلى الكهف ، وحالتهم فيه نوما ويقظة ، وتكليفهم أحدهم باشتراء الطعام ، ثم انكشاف أمره في المدينة ، وموتهم بعد ذلك ، وأخيرا اختلاف وتنازع القوم في أمرهم .

وفي القصة إيجاز بالحذف ، يتمثل في الفراغ الموجود بين مشهد يقظتهم وإرسالهم من يشتري لهم الطعام ، وبين مشهد عثور الناس عليهم ، وهذا الفراغ المتروك يجعلنا نتخيل هذا الذي ذهب في حذر وخوف إلى المدينة ، وحفاوة أهلها المؤمنين به ، لاكتشافهم أنه أحد الفتية الهاربين بدينهم منذ زمن بعيد جدا ، كما نتخيل ضخامة المفاجأة التي وقعت لهؤلاء الشباب بعد تحقق زميلهم أنه مضت عليهم قرون ، وأن الدنيا من حولهم قد تبدلت .

ويغلب على القصة الأسلوب الخبري الملائم للسرد القصصي ، وتقرير الحقائق ، أما الأسلوب الإنشائي فمنه الاستفهام في : « **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ؟** » ،وغرضه الأدبي النفي ، أي أنهم ليسوا بأعجب آياتنا ، والأمر الذي جاء حكاية عن الفتية في : « **رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** »وغرضه الدعاء .

والنص القرآني هنا قليل الصور البيانية ، منها ما ورد في العبارتين : « **فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ** ... » ، « **وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ** ... » وهما،من حيث ذكر أحد طرفيها ، تُعدّان استعارتين تصريحيتين[1] ؛ إذ شُبِّهت الإنامة الطويلة في الأولى بضرب الحجاب على الآذان ، كما تضرب الخيمة للسكن ، والقرينة « على آذانهم » ، وفي الثانية شُبِّه الربط والشد على القلوب بشد القِرْبة ونحوها بالوِكاء والحبل الذي تُربط به ، والقرينة « على قلوبهم » .

أما المحسنات البديعية فكانت قليلة كذلك ، منها الطباق بين « يهد ويضلل » ، « وأيقاظا ورقود » ، وفي ذلك تقوية للمعنى .

ونحس في الآيات نغما عذبا ناتجا عن الفواصل التي تقْصُر تارة ، وتطول أخرى ، وعما بين حروف الكلمة الواحدة من انسجام ، وبذلك النغم وتلك الفواصل كان النص القرآني مشتملا على بعض مزايا الشعر ، ويبدو ذلك واضحا في أوائل الآيات ، حيث نجد : « .. رشدا ... عددا ... أمدا ... هدى » وفي أواخرها نجد : « أحدا ... أمدا » ، فالفواصل ، كما ترى ، كان بين حروفها توافق ، وجاءت على وزن واحد مما

---

1) وهما ، من حيث لفظها ، استعارتان تبَعِيّتان ، وسُمِّيتا كذلك ، لأن التبعيّة تجري في اسم مشتق ، أو فعل (كما هو هنا) ، وتقابلها الاستعارة الأصلية التي تجري في اسم جامد ، وهي معروفة لديك .

يوازي القافية في الشعر ، واتحاد حروفها الأخيرة يماثل حرف الرَّويّ ، وهذه من خصائص الشعر ، وإن اجتمعت في النثر سميت سجعا ، فالآيات من هذه الوجهة جمعت بين ماهو من مميزات الشعر والنثر معا .

والقرآن الكريم في أسلوبه البليغ ، وما يمتاز به من إعجاز ، هو الذي جعل العرب عاجزين على أن يأتوا بسورة مثله ، مع تحدي القرآن لهم بذلك ، ولو استطاعوا ذلك لفعلوا ، لأن الله تعالى جعل القرآن معجزة كبرى على صدق رسالة محمد (ﷺ) ، فهو يمثل أعلى مراتب البلاغة في المعاني والأسلوب ، فكان أغزر منهل يستقي منه العلماء والأدباء الفصاحة والبيان ، وكيف لا ؟ وهذا القرآن : « **تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** »[1] .

تماريـن تطبيقيـة :

1) لماذا فرّ الفتية إلى الكهف ؟
2) ما العبرة التي تقدمها لنا هذه الآيات الكريمة ؟
3) استخرج من النص أسلوبين إنشائيين غير مدروسين ، واذكر غرضهما البلاغي .
4) ابحث في النص عن طباق لم يدرس ، واشرح أثره في المعنى .
5) احفظ الآيات الأولى إلى رقم (17) .

1) أوائل سورة : فصّلت

للتحليـل :

صاحـب الجَنّتيـن
آيات من سورة الكهف (32 ـ 44)

إنها قصة الغني تطغيه النعمة فيستعلي ويتكبر ، وتقبل عليه الدنيا ، فيستهويه نعيمها ، ويحسب أنه لن يبيد أبدا ، ويُغويه الشيطان فيكفر بالله ، وينكر البعث والحياة الآخرة .

إنها قصة الإيمان الذي يعصم المؤمن من الزلل ، ويملأ قلبه رضىً وأملا وإشراقا ، ورغبة في ثواب الله ونعيم الآخرة .

والآيات الكريمة التالية تقص علينا هذه القصة للعِظة والعبرة .

النـص :

بســم اللــه الرحمــن الرحيــم

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ
جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا
بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ
شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ
وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾
وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ
خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ
بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾

لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ
جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ
مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ
عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ
مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ٤١ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ
يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ
يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ٤٣ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ
خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ٤٤ صدق الله العظيم

شـرح لغـوي :

حففناهما : أحطناهما ـ **آتت أكلها** : أعطت ثمرها كاملا ـ **يحاوره** : يجادله ـ **أعز نفرا** : أقوى أعوانا وعشيرة ـ **تبيد** : تفنى وتهلك ـ **منقلبا** : مرجعا ـ **حسبانا من السماء** : آفة أوصاعقة ـ **تصبح صعيدا زلقا** : تصير أرضا جرداء ـ **يصبح ماؤها غورا** : يغور في باطن الأرض ـ **أحيط بثمره** : هلكت أمواله ـ **خاوية على عروشها** : أصبحت خرابا ـ **الولاية** : المعونة والنصر.

المطلـوب :

حلل الآيات واشرحها معتمدا على التفاسير التالية :
تفسير القرآن العظيم : لابن كثير.
في ظلال القرآن : للسيد قطب.
صفوة التفاسير : لمحمد علي الصابوني.

من هدي الرسول ﷺ

الحديث النبوي الشريف

تمهيـد :

الحديث النبويّ الشريف نموذج في العبارة المتينة والصياغة البديعة ، والمعنى السديد ، والفكرة الصائبة . يأتي في الدرجة الثانية من حيث سموُّ البلاغة ، وروعة التركيب ، وجمال الصورة بعد القرآن الكريم . فقد قال رسول الله ﷺ : « أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ[1] أَنِّي مِنْ قُرَيْش » .

وقد عاش الصحابة بجوار نبيِّهم مدة 23 سنة ، وكانوا لاَ يَتوانَوْن عن استفهامه عن المسائل التي تعِنّ لهم ، ولا يترددون في مساءلته عن القضايا التي تشغل بالهم . وفي هذا الحديث يحاور معاذ بن جبل (ض) رسول الله ﷺ في أمر دينيّ هام :

النـص :

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ـ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) في سَفَرٍ ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ ، فَقَالَ : « قَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وتَحُجُّ الْبَيْتَ » . ثُمَّ قال : « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ في جَوْفِ اللَّيْلِ » . ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ .

1) اسم بمعنى : غير

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . ثُمَّ قال : «أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟» قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ» . ثُمَّ قَالَ : «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ» ؟ قُلْتُ : بَلَى ، يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ ، ثُمَّ قَالَ : «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ : «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ! ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ـ أَوْ قَالَ : عَلَى مَنَاخِرِهِمْ ـ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» ؟

رواه التِرمذيّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح

تحليل وشرح :

يشتمل الحديث على ثلاث أفكار رئيسية ، وهي :

- الحث على القيام بالأركان .
- الترغيب في إتيان النوافل .
- حفظ اللسان .

وهذه الأفكار الرئيسية مجتمعة تأتي ضمن فكرة عامّة هي : **سبيل الجنة** .

[ـ **جُنّة** : ستر ووقاية من العذاب ـ **تتجافى جُنوبهم** : يحرمون أجسامهم من الراحة في سبيل التهجّد والعبادة ـ **ذروة سنامه** : أعلى مكانٍ فيه ـ **ملاك الأمْر** : أساسه الذي ينهض عليه ـ **ثكِلَتْكَ أمّك** : فقدتك ؛ والمراد هُنا : التنبيه] .

هذا الحديث من الأدب النبوي الرفيع ، يشتمل على أسئلة طرحها معاذ بن جبل على الرسول المصطفى محمد ﷺ يَلْتمس خلالها معرفة الطريق المفضية إلى الجنة ، والمنجية من النار . كما يشتمل على إجابات الرسول ، وهي في مجملها ذكر للأعمال التي تؤدي بالمقبل عليها إلى رضا الله ؛ **فطريق الجنة عقيدة وعمل** ؛ يبدأ بتوحيد الله ، وإفراده بالعبودية ، ثم الإقبال على أركان الإسلام تنفيذًا وَتَطْبيقًا ، بإقامة الصلاة المكتوبة على وجهها ، وإخراج الزّكاة المفروضة ، وصرفها إلى مستحقيها ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام . وعلى هذه المبادئ قام الإسلام ، وبتطبيقها تستقيم حياة الناس في الدنيا والآخرة .

ويدرك الرسول أنَّ الصحابي يَتُوق إلى بيان أكثر ، فيزيده على ذكر الفرائِض النّوافلَ التي تقرب الإنسان من أبواب الخير ، وتُدنيه من ربّه : فالصوم التطوعي جُنّة ، يقي الإنسان من عذاب النار ، ويحفظه من كل مكروه . والصدقة تُكفِّر الذنوب ، وتطهّر النفس وتداوي جراح البائسين . والتَّهَجُّد في وسط الليل ، والناس نيام ، يصْقُل الروح ، ويقرب العبد من ملكوت السموات .

ويتبين الرسول ﷺ أنّ معاذًا مازَال يستزيده من هديه ، فقال له : ألا أخبرك بأعظم شيْءٍ في الدين ؟ إنّه الإسلام لِلّه وإفرادُه بالألوهية ، وتخصيصه بالعبودية ، وإقامة الصلاة ، إذ هي الصلة الروحية بين المسلم وربّه . وإنه الجهاد في سبيل الله ؛ لأن الجهاد هو البرهان القاطع على أنّ المسلم باع نفسه لِلّه ، وأنّ الله اشتراها منه بالجنة .

ويستمر الرسول ﷺ في توجيه صاحبه مُعاذٍ ، مُحَذِّرًا إيَّاهُ من إطلاق العِنَان للسانه ، لأنّ الناس مُؤَاخذون بما يقولون ، بل إنّ كثيرًا ممن يُكَبُّون على وجوههم في النار ، إنّما يقع ذلك لهم بسبب إطلاق ألسنتهم بالنميمة ، والغيبة ، والوشاية ، وفضح عَوْرات الناس .

الأفكــار :

هذا الحديث أدلى به النبي ﷺ ردًّا على أسئلة أحد صحابته التواق إلى معرفة الطريق الذي يوصله إلى جنان الخُلد ، ويبعده عن حرّ جهنم .

اشتمل على عدة أفكار أساسية لا تعدو أن تكون سردًا لقواعد الإسلام ، وذكرًا لبعض النوافل الّتي تقرب العبد من ربّه ؛ وهي في مجملها مسائل تناولها القرآن الكريم في كثير من الآيات .

وإذا كان هذا الحديث قد تناول مسائل وَرَدَ ذِكْرُها في القرآن الكريم ، وفي عدة مواضع ، فإن هذا التناول يحمل أشياء جديدة تتمثل في حصر الأعمال التي تحقّق للإنسان الفوز بالجنة ، عن طريق سَرْدِها واحدةً واحدةً . كما تتمثل في حصْرِ أهم نوافل الأعمال ، التي تقرب العبد من ربّه . بالإضافة إلي التحذير من إطلاق اللسان بالغيبة والنَّميمة والسخرية . وقد جاء هذا التحذير شديدًا ، لأنه ورد فيه بيان عاقبة التمادي في هذه المعصية ، وهو (الكَبُّ على الوجه في النار) . وهذا البيان ـ كما يبدو ذلك ـ جاء

في صورة محسوسة ، رادعة ، تجعل المرء يحترس من الخوض فيما لا يعلم ، ويتوقى القول فيما لا يليق .

وقد استوفى الرسول ﷺ بهذا التحذير الإجابة عن سؤال مُعَاذٍ الوارد في بداية الحديث ، وبدون هذا التحذير ، تبقى الإجابة ناقصة ، لأن الإيمان بالله ، والقيام بالفرائض ، وإتيان النوافل ، قد لا يحققان للإنسان الفوز بالجنة ، إذا كان دأبه هو سبّ الناس ، والإيقاع بينهم ، ونشر عيوبهم ..

الأسلـوب :

هذا الحديث مثال لِنَصَاعة اللغة ، ووضوح العبارة ، ولاعجب في ذلك ، فهو صادر عن أبْلَغ العرب وأفصحهم . وقد تحرّى الرسول ﷺ الكلام السَّهل المُمْتَنِع الذي يتميز بالسهولة والمتانة في آن واحد . وسهولة هذا الحديث تعود إلى :

- استعمال الألفاظ المَيْسُورة ، ذات التداول الكثير .
- اعتماد الجمل ذات التركيب السّهل .

وهذا الحديث نموذج لأسلوب الرسول ﷺ الذي يتحدث به إلى الناس ، فلا تكلُّف فيه ، ولا تَصنُّع ، وإنّما هو السَّلِيقَةُ والمَوْهِبَة الرفيعة . وقد أُوتي الرسول ﷺ مَلَكَةَ صَوْغِ الصور البليغة ، والعبارات البديعة ؛ في قوله : (الصوم جنة) تشبيه ، جاء في عبارة موجزة تَستَوْعِبُها الذاكرة في يُسْر ، وتُجَسّد الثواب الذي يناله الصّائم تجسيدًا محسوسًا ، إلى حدٍّ يَتَخَيَّلُ فيه الإنسان أن ثواب الصوم سيقف دون المرء يُنَافِح عنه النار . وتأمل العبارة الآتية : (الصدقة تُطْفِئُ الخطيئة) فهي استعارة مزدوجة ، غايتها الإقناع ، ووسيلتها في ذلك تجسيد المعنوي وتقديمه في شكل محسوس . وأصل هذه الاستعارة تشبيه الصدقة بالماء ، والخطيئة بالنار . وقد جيء بقرينة تدلّ على هذا التشبيه ، وهي كلمة (تُطْفِىء) .

ونلاحظ في هذا الحديث بعض المميزات الخاصّة بالحديث النبوي عامّة . أولاهـا اعتماده على التقرير ؛ فمحمد ﷺ بُعث رسولاً ، ووظيفة الرسول تبليغ رسالة ربه ، وهَدْي الناس إلى سُبُل الفلاح ، وتحذيرهم مما يُوجب غضب الخالق جل وعلا . ومن أنجح الوسائل التي تحقق ذلك اعتماد الأسلوب التقريري ؛ ومن أمثلته قوله ﷺ

« قَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ ،وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : تَعْبُدُ اللَّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وتُقِيمُ الصَّلاَةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ البَيْتَ » . وثانيتها اعتماده على الحوار ؛ وقد جرى بين الرسول ﷺ ومعاذ ، ويتراوح بين الطلب والاستفهام من جهة ، وبين الإجابة التقريرية من جهة أخرى . فمن أمثلة الأسلوب الطلبي قول معاذ : (أخبرني بعمل يدخلني الجنّة ويباعدني من النار ؟) ومن أمثلة الاستفهام قول الرسول : (أَلاَ أُخبِرُك برأس الأَمْرِ ؟) ومن أمثلة الاستفهام التعجبي قول مُعاذٍ : (وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ به؟!) .

تماريــن تطبيقيـة :

1 ـ ما هي الأعمال التي تُدخل المرء الجنة وتباعده من النار ؟

2 ـ هل اكتفى الحديث بالحث على أداء الفرائض ؟ لماذا ؟

3 ـ لماذا حَثَّ الرسول ﷺ معاذًا على الاحتراس من آفات اللسان ؟

4 ـ في العبارات الآتية صور بيانية . صَنِّفها ثم اشرحها :

الصوم جُنّة في جوف الليل رأس الأمر حصائد الألسنة .

5 ـ اشرح : (رأس الإسلام) الحوار بين معاذ والرسول عليه السلام علام يدل ؟

6 ـ بماذا استوفى الرسول ﷺ الإجابة عن سؤال معاذ ؟

7 ـ قيل : « إنّ البَلاَءَ موكّل بالْمَنْطِقِ » اشرح هذه العبارة . وبين ما يُوافقها في الحديث .

8 ـ اعتمد الحديث على أسلوب الحوار . استخرج منه :

ـ استفهامًا . ـ استفهامًا تعجبيا . ـ استفهامًا تقريريا .

9 ـ جاء في الأثر : « الصَّمْتُ حُكْمٌ[1] وقليلٌ فَاعِله » . اشرح العبارة ، ثم وازن بينها وبين ماورد في الحديث عن حفظ اللسان .

10 ـ يقول ابنُ الدهَّان المَوْصِليّ :

حِفْظُ اللِّسَانِ عَنِ الْقَبِيحِ أَمَانُ … يَـزْكُو بِـهِ الْإِسْلاَمُ وَالْإِيمَـانُ
وَإِذَا جِنَـايَـاتُ الْجَوَارِحِ عُـدِّدَتْ … فَـأَشَدُّهَـا يَجْنِي عَلَيْكَ لِسَـانُ

اشرح البيتين ، ثمّ بين مدى تأثر الشاعر بهدي الرسول ﷺ .

---

1) الحكم : هنا بمعنى الحكمة .

الفصل الثاني

المذاهبُ الأدبيّة

المـذاهب الأدبيّـة الغربيـّة

وأثرهـا في الأدب العربـي

مـا المـذاهب الأدبيــة ؟

.المذاهب الأدبية حالات نفسية عامّة . ولّدتها حوادث التاريخ وملابسات الحياة في عصور مختلفة . فجاء الشعراء والكتاب والنُّقاد . فوضعوا للتعبير عن هذه الحالات النفسية أصولاً وقواعد . يتكوّن من مجموعها المذهب . أو ثاروا على هذه القواعد والأصول . لكي يتحرروا منها . وبذلك خلقوا مذهبا جديدًا[1] .

الأدباء العرب والمذاهب الأدبية الغربية :

اطلع الأدباء العرب ، في العصر الحديث . على المذاهب الأدبية الغربية وتأثروا بها ، ودعا النقاد منهم إلى تَبَنِّي بعض أصولها ومبادئها . وقد أُثْرِي الأدب العربي بفضل هذا التَّأَثُّر ، وأصبح يُجَاري أعظم الآداب العالمية ، من حيث مستواه الرفيع[2] ، ومن حيث أشكاله وموضوعاته .

أ ـ المـذهب الكلاسيكي :

المذهب الكلاسيكي أقدم مذهب أدبي نشأ في أوربا ، وقد نما وترعرع مباشرة بعد حركة النهضة العلمية التي انبعثت في القرن الخَامسَ عشرَ .

وقد قام المذهب الكلاسيكي على بَعْث الآداب والثقافة اليونانية واللاتينية ؛ ولذلك فقد كان معظم إنتاج أدباء هذا المذهب منحصرًا في الشعر المسرحي .

وكان الأديب الفرنسي (بَوَالُو) واضعَ أسس الكلاسيكية في كتاب ألّفه سنة 1647 ، سمّاه « فن الشعر » .

---

1) في الأدب والنقد ـ د . محمد مندور .

2) حصول الأدب العربي على جائزة (نوبل) من خلال أعمال نجيب محفوظ سنة 1988 .

مميزات الكلاسيكية :

تحرص الكلاسيكية ، من الناحية الفنية ، على محاكاة الآداب اليونانية واللاتينية القديمة ، من حيث الموضوعات ، والمبادئ ، والأساليب الفنية ؛ ولذلك فهي تتناول ـ كما هو الحال في الآداب القديمة ـ الإنسان في باطنه ، لا في مظهره الخارجي ،.في كونه نمطا ونموذجا ، لا فردا متميزا .

فَـ (مُولْيير) لم يقصد ، من خلال مسرحية البخلاء ، وصف شخص بعينه ، وإنّما أراد تشريح ظاهرة البخل . وأمّا (راسين) ، رسّام الأهواء البشرية ، في الأدب الفرنسي ، فلم يقف سوى عند ما هو عامّ وجوهري من القيم والنوازع البشرية .

ومن الناحية الفنية تحرص الكلاسيكية على جودة الصياغة اللغوية ، ومتانة التعبير ، في غير تكلف ، ولا زخرفة لفظية . ولما كان ذلك دأبُها ، فإنه من الطبيعي أن يكون اعتمادُها الأول على العقل الواعي المتزن ، الذي يكبح الغريزة ، ويسيطر على العواطف ؛ فهي تشيعّ بنور العقل ، وتنفر من كل إسراف عاطفيّ ، فلذلك تميزت بالقسط والاعتدال .

أثر الكلاسيكية الغربية في الأدب العربي :

اقتصر تأثير الكلاسيكية الغربية ، في الأدب العربي الحديث ، على الشعر المسرحي ؛ فبعد أن عرّبت بعض المسرحيات الكلاسيكية ، ظهرت آثار هذا المذهب في مسرحيات أحمد شوقي التاريخية . وتتمثل هذه الآثار في بناء مسرحياته على أساس الصراع بين الهوى والواجب ، بشتى أشكالها ، وفي اعتماده على الشعر أسلوبًا للتعبير ، وفي استخدامه اللغة الراقية ، وفي استمداده الموضوعات من التاريخ القديم .

ب ـ الرّومنسية :

في أواخر القرن الثامنَ عَشَرَ فرضت الرومنسية نفسها مذهبًا أدبيا يقوم على الثورة ضد الكلاسيكية وعلى كافّة أصولها وقواعدها «حتى يمكن القول بأنها قد كانت في جوهرها ثورة تحرير للأدب من سيطرة الآداب اليونانية واللاتينية القديمة ، ومن كافة القواعد والأصول التي استنبطت من تلك الآداب ، وأصبحت إنجيلا للكلاسيكية »[1] .

---

1) الأدب ومذاهبه ـ د . محمد مندور ، ص 59 .

والأدب الرومنسي هو«أدب العاطفة والخيال والتحرر الوجداني والفرار من الواقع ، والتخلص من ربقة الأصول الفنية التقليدية للأدب»[1] .

ومن الناحية الفنية ، فالرومنسية تنادي بتحطيم القيود والقواعِد ، وتركز على التلقائية ، والغنائية ، والفطرة ، والسليقة ، والموهبة . وهذا لا يعني أن الرومنسيين لا يحترمون قواعد الكتابة ، وإن كان المضمون والأفكار أهمَّ عندهم من الأسلوب . فقد تخلصت عندهم لغة الشعر من وُعُورَتِها ، وأصبحت سهلة ، مشرقة العبارة ، شديدة المرونة .

وقد بدأت مرحلة نضج الرومنسية ، في انجلترا ، بأشعار (توماس جراي) و (وليام بليك) . وبلغت أوجها بأشعار (وردزورث) و (كولريدج) ، أما في فرنسا ، فقد مهّد لها (فُلْتِير) و(رُوسُو) ، ودعّم أسسها (لَامَرْتِين) و(أَلْفْرِيد دِي مُوسِي) و(فِكْتُور هِيجُو) ؛ صاحب القول المشهور : «يجب أن نخلّص الشعر من الموضوعات المأخوذة من عصور غريبة عنا» .

أثر الرومنسية الغربية في الأدب العربي :

إن المذهب الرومنسي الغربي ترك آثارًا عميقة ، في الأدب العربي الحديث ، ويرجع ذلك إلى سببين هما :

- الحاجة إلى التجديد على مستوى الحياة السياسية والأدبية .
- استجابة الرومنسية لما تطفح به نفوس الأدباء من ثورة على الظلم والحرمان ، ولما تتوق إليه شعوبهم من كرامة وتحرر ورُقيّ .

وقد ظهرت الرومنسية في الأدب العربي الحديث ، على صورة مذهب نظري نقديّ ثائر ، قبل أن يجسدها الأدباء الرومنسيون في إنتاج فنّي راق . وقد تبلور هذا المذهب النظري في كتابين نقديين ، أولها **الديوان** ، الذي أصدره عباس محمود العقاد بالاشتراك مع إبراهيم عبد القادر المازني ، سنة 1921 ، وآخرهما كتاب الغربال ، الذي ألفه ميخائيل نعيمة سنة 1922 . وتحت ظل الرومنسية ، نشأت تنظيمات أدبية أهمها :

مدرسة **الديوان** ، **والرابطة القلمية** ، **وجماعة أبولو** ، وقد برز في إطارها شعراء رومنسيون كثيرون ، اشتهروا بتجديدهم في مضمون الشعر وشكله .

---

1) المرجع السابق ، ص 52 ـ

ج ـ الواقعيــة :

قام المذهب الواقعي في الثلث الثاني من القرن التاسعَ عشَرَ ، تحت تأثير الحركة العلمية والفلسفية ، من جهة ، ونتيجة ردّ فعل للإفراط العاطفي ، الذي اتسمت به الرومنسية من جهة ثانية . وبالرغم من أنّ الواقعية ظهرت نتيجة رد فعل لإغراق الرومنسية في الذاتية ، إلا أنها لم تكن مناوئةً لها ، ولا معادية لأصولها ومبادئها .

ويميز النقاد الآن بين ثلاثة اتجاهات رئيسية في المدرسة الواقعية ، وهي :

1 ـ **الواقعية الانتقادية** : ويقف أصحابها موقفا انتقاديا إزاء المجتمع . وقد اشتهر في هذا الاتجاه دُسْتُويِفَسْكي الروسي ، وإِبْسن النَّرويجي ، وإِرْنِسْت هِمِنْجواي الأمريكي[1] .

2 ـ **الواقعية الطبيعية** : «وهي شكل حاد جدًّا من أشكال الواقعية ، يلتصق بالمادي والملموس التصاقا مبالغًا فيه .. فقد عمل الواقعيون الطبيعيون على توثيق صلة الأدب بالحياة ، فراحوا يُصَوّرون الواقع الاجتماعي بمختلف أبعاده .. واستعانوا بالعلوم التجريبية العصرية .. ، وأخذوا يُطبّقون نظرياتها في أدبهم . وعلى هذا الاتجاه بنى إمِيل زُولا الفرنسي قصصه التجريبية معتقدا أن على الأديب أن يطبق مكتشفات داروين وكلود برنارد ونظرية أصل الأنواع ، وقانون الأثر الحاسم للبيئة»[2] .

إنّ تقيد الواقعية الطبيعية بالعلوم التجريبية ، جعلها تنفي عن الإنسان حرية الإرادة والاختيار ، وتعتقد بأن الإنسان يتصرف وفق ما تمليه عليه غُدده وأجهزته العضوية . ففي رأي أصحابها ، أن أفكار الإنسان وإحساسه وسلوكه إنّما هي كلها من نتاج الجانب العضوي الماديّ فيه .[3]

3 ـ **الواقعية الاشتراكية** : «وهي حصيلة النظرة الماركسية إلى الفن والأدب»[4] ، وموقف كتاب هذا الاتجاه هو «الالتزام بأهداف الطبقة العاملة ، والنضال في سبيل تحقيق الاشتراكية»[5]

---

1) الأدب ومذاهبه ـ د . محمد مندور ـ ص 94 .

2) مدخل إلى المدارس الأدبية ـ د . نسيب نشاوي ص 327 .

3) المرجع السابق ص : 328 .

4) و (5) المرجع السابق ص : 329 .

الفنون الأدبية التي جسّدت الواقعية :

ولمّا كان همّ الأدباء الواقعيين هو تصوير الواقع ، ولاسيما الجانب الحالك منه ، قصد علاج أمراضه ، وتوفير الدواء لكُلّ أدوائه ، وجدوا أنّ الفنون النثرية ، مثل القصّة والمسرحية ، هي وحدها القادرة على الاستجابة لرغباتهم .

وقد ثار الواقعيون على شرور الحياة ، فعمدوا إلى تشخيص الآفات الاجتماعية ، وتصوير ما تعانيه الطبقة الدنيا من حَيْف ، وما تنشده من إنصاف ، وبالغوا في ذلك حتّى اتسم أدبهم بطابع تشاؤمي ، وتَمَيَّزَ بمَسْحة سوداء .

ويُعد (أُونُورِيه دي بَلْزَاك) الرائد الأول للواقعية في فرنسا ؛ فقد ترك موسوعة في الأدب الواقعي ، تشمل نحو مائة وخمسين قصة أطلق على مجموعها ، آخِرَ حياته ، اسم (الكوميديا البشرية) .

وقد اشتهر عدة كُتّاب فرنسيين بإنتاجهم الواقعي ؛ مثل غُوستاف فلُوبير ، وجِي دِي مُوبَاسَان . كما اشتهر كتاب إنجليزيون مثل شرِيدَان ، وتشارلز دِكِنْز ، الذي قدم وصفًا عميقا للمجتمع الإنجليزي في رواياته المتعددة .

الواقعية في الأدب العربي الحديث :

إن الأدب العربي الحديث في اتجاهه الواقعي ، لم يسر على آثار الواقعية في الغرب ، فقد رسم لنفسه نهجًا خاصًّا مستوحًى من واقع الشعوب العربية بمشكلاتها وقضاياها السياسية . وكان في ذلك تحدوه أهدافٌ إصلاحية . فالواقعيون العرب ، بحكم اتصالهم الوثيق ، بالتراث العربي الإسلامي ، اكتسبوا نظرة متفائلة إلى الحياة ؛ فالإنسان خير وشر ، وجانب الخير هو الأصيل فيه ، لأنّ الشر إنّما يَتَوَلّد لديه بسبب الضغوط التي يخضع لها في حياته .

ويُعد محمود تيمور، بقصصه القصيرة، الواقعيَّ الأول في الأدب العربي الحديث . وقد تأثر في أسلوب وطريقة تناول موضوعاته بالكاتب الفرنسي (مُوبَاسَان) .

ومن خير ما أثمرته الواقعية : «يوميات نائب في الأرياف» من تأليف توفيق الحكيم . وكان طه حسين ، قبله ، قد ألّف مجموعته القصصية المشهورة : «المُعَذَّبون في الأرض» ، عبّر فيها عن رفضه لمظاهر الحرمان والفاقة التي يحيا فيها معظم الشعب .

ثم توالت القصص الواقعية في شتى بلاد الوطن العربي متناولة مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية التي تعيشها المجتمعات العربية .

مــذاهب أدبيــة أخــرى :

ظهرت . في القرن التاسعَ عَشَرَ . مذاهب أدبية أخرى . قامت لتُعبّر عن اتجاهات فكرية مختلفة :

ـ **المذهب البرناسي** : يدعو إلى اعتبار الأدب غاية في حدّ ذاته . وإلى الامتناع عن استعماله وسيلةً لعلاج القضايا الاجتماعية والسياسية .

ـ **مذهب الفن للفن** : وهو ناتج عن تطرف المذهب البرناسي . ويرى أصحابه أنّ الأدب ينبغي أن ينتج بعيدا عن الاعتبارات الوطنية والسياسية والاجتماعية .

ـ **المذهب الرمزي** :(أو الرمزية) ويعتمد على الإيحاء بأفكار وعواطف . باستعمال كلمات خاصة . أو أنغام الكلمة في نظام دقيق . لنقل المعنى بتأثير خفيّ أو غَامض[1] .

ـ **المذهب السريالي** : وهو مذهب متأثر بآراء ونظريات فرويد في التحليل النفسي ، لكنه لم يلق النجاح خارج وطنه الأول فرنسا .

أثر هذه المذاهب في الأدب العربي :

ليس لهذه المذاهب في الأدب العربي تأثير يُذكر ؛ فإذا كان شعور الأدباء العرب بواجباتهم . نحو مجتمعاتهم وأوطانهم . حال دون التفاتهم إلى البرناسية . فإنّ السريالية التي لم تكن لها أصداء في أوربا نفسها . لم تَسْتَرْعِ انتباههم . وتُسْتَثْنَى الرمزية التي لَقِيَت بعض الاهتمام لدى لفيف من الشعراء في الشام يتقدّمُهم سعيد عقل ويوسف غَصُوب .

ولعل أهم مظاهر الرمزية في الشعر العربي :

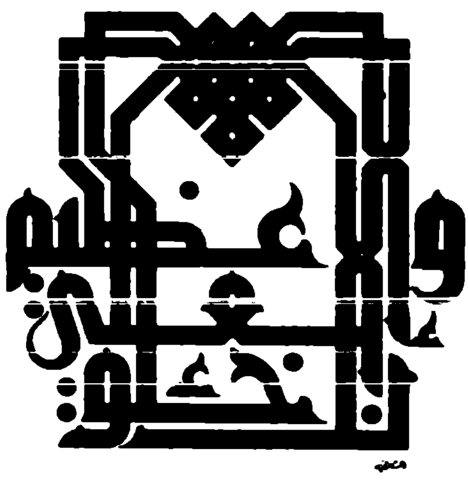
1) **التقيد بالوحدة العضوية** التي تجعل القصيدة تنمو من داخلها ، وتكوِّن نسيجا حيًّا متناميا نموا عضويا طبيعيا يكتمل فيه كل بيت بغيره تمامًا كما يكتمل التمثال بأعضائه .

---

1) المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ـ د . نسيب نشاوي ، ص 460 .

2 ـ **الحدس** : الرمزية تُؤْثِر الاقتصاد في التعبير . وتعتمد اللَّمْح الذي يشير إلى الانفعالات دون أن يُعَرِّيها . ومن ثم فهي تترك للقارىء الحرية لتجاوز النص المكتوب بخياله وحدسِه .

3 ـ **استعمال الرمز** : استعمل الرمزيون العرب الرمز لنقل التجارب ، والأسطورة للإيحاء بما تختلج به نفوسهم ، والمعطيات الدينية المؤثرة ، والقصص النبوي ، بل واستخدموا أيضا أسماء بعض الأعلام مثل (صقر قريش) و(عائشة) و (عنترة) الخ ...[1] لِبَثّ حَشْد منَ الذكريات والمواقف والعواطف في قصائدهم ..



4 – القلم

1) المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ص 469 وما بعدها .

الفصـــل الثّالـــث

المقـــال

1 ـ طبيعة الاستبداد وآثاره للكواكبي .
2 ـ خواطر عن الشباب الجزائري للإبراهيمي .
3 ـ وظيفة الناقد لميخائيل نعيمة .
4 ـ تطور المقال وخصائصه .

المقـــال

تعريـــف :

المقالة لُغةً تعني القول . وفي الاصطلاح تعني البحث القصير في العلم أو الأدب أو السياسة أو الاجتماع ... تتناول جانبا من جوانب موضوع ما . ويقدم للقارئ بطريقة مشوقة . تعتمد على الحكاية والمثل والإشارة . إلى جانب المادة التحصيلية[1] .

1) الأدب وفنونه د. عز الدين اسماعيل ط 6 ص 290 .

طبيعة الاستبداد وآثاره

للكواكبي

تمهيـد :



عبد الرحمن الكواكبي مصلح وكاتب سوري ، ولد سنة 1848 بمدينة « حلب » وبها تعلم العلوم العربية والإسلامية ، ونبغ فيها ، وأكمل دراسته بقراءته بعض العلوم الرياضية والطبيعية ، وبتعلمه اللغتين التركية والفارسية ، وبمطالعاته الكثيرة لكتب التاريخ ، وزادت خبرته وتجاربه ، وتعمقت ثقافته بالحياة العملية ، إذ عمل بالقضاء ، والتجارة ، والصحافة .

وقد اتجه في كتاباته إلى مقاومة الفساد الذي انتشر في بلاده ، في عهد السلطان العثماني « عبد الحميد » . مما جلب عليه كثيرا من النكبات ، فحبس وصودرت أملاكه ، وظل طول حياته متنقلا يجوب البلاد الإسلامية ، فزار كثيرا من البلاد العربية ، وشرق إفريقيا ، وبعض بلاد الهند ، وأينما حل من تلك البلاد ، كان يوقظ الأمة ، وينشر دعوة الحرية ، ويحارب الاستبداد ، حتى استقربه المقام في مصر عام 1900 . وتوفي بها مسموما رحمه الله . بعد ذلك بسنتين.

ويعتبر الكواكبي من أكبر دعاة الحرية في الأمة الإسلامية أواخر القرن التاسع عشر ، ويتجلى ذلك في كتابيه : « أم القرى » و « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » ، ومن هذا الأخير اختير المقال الآتي الذي يتناول حقيقة الاستبداد وآثاره السيئة في الفرد والجماعة .

النـص :

أ ـ مَا أَشْبَهَ الْمُسْتَبِدَّ ، فِي نِسْبَتِهِ إِلَى رَعِيَّتِهِ ، بِالْوَصِيِّ الْخَائِنِ الْقَوِيِّ عَلَى أَيْتَامٍ أَغْنِيَاءَ ، يَتَصَرَّفُ فِي أَمْوَالِهِمْ ، وَفِي أَنْفُسِهِمْ كَمَا يَهْوَى ، مَا دَامُوا قَاصِرِينَ ، فَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ صَالِحِ الْوَصِيِّ أَنْ يَبْلُغَ الْأَيْتَامُ رُشْدَهُمْ ، كَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ غَرَضِ الْمُسْتَبِدِّ أَنْ تَتَنَوَّرَ الرَّعِيَّةُ بِالْعِلْمِ .

لَا يَخْفَى عَلَى الْمُسْتَبِدِّ ، أَنْ لَا اسْتِعْبَادَ وَلَا اعْتِسَافَ ، مَا لَمْ تَكُنِ الرَّعِيَّةُ حَمْقَاءَ ، تَخْبِطُ فِي ظَلَامِ جَهْلٍ وَتِيهِ عَمَاءٍ ، فَلَوْ كَانَ الْمُسْتَبِدُّ طَيْرًا لَكَانَ خُفَّاشًا يَصْطَادُ هَوَامَّ الْعَوَامِّ فِي ظَلَامِ الْجَهْلِ ، وَلَوْ كَانَ وَحْشًا لَكَانَ ابْنَ آوَى ، يَتَلَقَّفُ دَوَاجِنَ الْحَوَاضِرِ فِي غِشَاءِ اللَّيْلِ .

ب ـ الْعِلْمُ قَبْسَةٌ مِنْ نُورِ اللَّهِ ، وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ النُّورَ كَشَّافًا مُبْصِرًا ، وَلَّادًا لِلْحَرَارَةِ وَالْقُوَّةِ ، وَجَعَلَ الْعِلْمَ مِثْلَهُ وَضَّاحًا لِلْخَيْرِ ، فَضَّاحًا لِلشَّرِّ ، يُوَلِّدُ فِي النُّفُوسِ حَرَارَةً ، وَفِي الرُّؤُوسِ شَهَامَةً .

إِنَّ الِاسْتِبْدَادَ وَالْعِلْمَ ضِدَّانِ مُتَغَالِبَانِ ، فَكُلُّ إِدَارَةٍ مُسْتَبِدَّةٍ تَسْعَى جَهْدَهَا فِي إِطْفَاءِ نُورِ الْعِلْمِ ، وَحَصْرِ الرَّعِيَّةِ فِي حَالِكِ الْجَهْلِ ، وَأَخْوَفُ مَا يَخَافُهُ الْمُسْتَبِدُّونَ مِنَ الْعِلْمِ ، أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ حَقِيقَةَ أَنَّ الْحُرِّيَّةَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ ، وَأَنْ يَعْرِفُوا النَّفْسَ وَعِزَّهَا ، وَالشَّرَفَ وَعَظَمَتَهُ ، وَالْحُقُوقَ وَكَيْفَ تُحْفَظُ ، وَالظُّلْمَ وَكَيْفَ يُرْفَعُ ، وَالْإِنْسَانِيَّةَ وَمَا هِيَ وَظَائِفُهَا ، وَالرَّحْمَةَ وَمَا هِيَ لَذَّاتُهَا .

جـ ـ يَعِيشُ الْإِنْسَانُ فِي ظِلِّ الْعَدَالَةِ وَالْحُرِّيَّةِ نَشِيطًا عَلَى الْعَمَلِ بَيَاضَ نَهَارِهِ ، وَعَلَى الْفِكْرِ سَوَادَ لَيْلِهِ : إِنْ طَعِمَ تَلَذَّذَ ، وَإِنْ تَلَهَّى تَرَوَّحَ وَتَرَيَّضَ ، لِأَنَّهُ هَكَذَا رَآى أَبَوَيْهِ وَأَقْرِبَاءَهُ ، وَهَكَذَا رَأَى قَوْمَهُ الَّذِينَ يَعِيشُ بَيْنَهُمْ ، يَرَاهُمْ رِجَالاً وَنِسَاءً ، أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ كُلَّهُمْ دَائِبِينَ عَلَى الْأَعْمَالِ ، يَفْتَخِرُ مِنْهُمْ

كَاسِبُ «الدّينَارِ» بِكدِّهِ وَجِدِّهِ ، عَلَى مَالِكِ «الْمِلْيَارِ» إرْثًا عَنْ أَبيهِ وَجَدِّهِ . نَعَمْ ، يَعِيشُ الْعَامِلُ النَّاعِمُ الْبَالِ ، يَسُرُّهُ النَّجَاحُ ، وَلَا تَقْبِضُهُ الْخَيْبَةُ ، إنَّمَا يَنْتَقِلُ مِنْ عَمَلٍ إلَى غَيْرِهِ ، وَمِنْ فِكْرٍ إلَى آخَرَ ، فَيَكُونُ سَعِيدًا بِآمَالِهِ ، إنْ لَمْ يُسَارِعْهُ السَّعْدُ فِي أَعْمَالِهِ ، وَكَيْفَمَا كَانَ ، يَبْلُغُ الْعُذْرَ عِنْدَ نَفْسِهِ وَذَوِيهِ بِمُجَرَّدِ إيفَائِهِ وَظِيفَةَ الْحَيَاةِ ، أَيِ الْعَمَلَ ، وَيَكُونُ فَخُورًا ، نَجَحَ أَوْ لَمْ يَنْجَحْ ، لِأَنَّهُ بَرِئَ مِنْ عَارِ الْعَجْزِ والْبَطَالَةِ .

أَمَّا أَسِيرُ الِاسْتِبْدَادِ ، فَيَعِيشُ خَامِلاً ، خَامِدًا ، ضَائِعَ الْقَصْدِ ، حَائِرًا ، لَا يَدْرِي كَيْفَ يُمِيتُ سَاعَاتِهِ وَأَوْقَاتَهُ ، وَيَدْرُجُ أَيَّامَهُ وَأَعْوَامَهُ ، كَأَنَّهُ حَرِيصٌ عَلَى بُلُوغِ أَجَلِهِ لِيَسْتَتِرَ تَحْتَ التُّرَابِ ... .

تحليـل وشـرح :

يعالج الكاتب في هذا النص طبيعة الاستبداد وآثاره في حياة الفرد والمجتمع . وتندرج تحت هذه الفكرة العامة أفكار أساسية ثلاث :

أ ـ علاقة المستبد بشعبه وموقفه من تعليمه .

ب ـ أثر العلم في تربية الشعب وتوعيته .

جـ ـ أثر كلٍّ من الحرية والاستبداد في نفسية الفرد وحياته .

أ ـ [**المستبد** : المتفرد بالحكم ـ **الوصي** : الموصَى على أموال اليتيم ـ **قاصرين** : لم يبلغوا سن الرشد ـ **الرشد** : سن التكليف ـ **الاعتساف** : الظلم ـ **حمقاء** : غير مستنيرة ـ **تيه عماء** : (التيه : الصحراء ، العماء : السحاب الكثيف .) والمراد : الحيرة ـ **الهوام** : الحشرات والزواحف ، مفردها : هامة ـ **ابن آوى** : حيوان مفترس ماكر في حجم الكلب .]

بيّن الكاتب في القسم الأول من النص علاقة المستبد بشعبه . فشبهها بعلاقة الوصيّ الخائن على أيتام أغنياء ، فكَمَا أن الوصي الخائن يريد ألّايبلغ اليتامى سن الرشد ، حتى يتمكن من أكل أموالهم بالباطل زمنا أطول ، فكذلك الحاكم المستبد ، يريد أن يبقى شعبه جاهلا ، حتى يستمر في استبداده واعتسافه ؛ لأن

قيادة الجهلاء أسهل بكثير من قيادة العلماء ، فهؤلاء يؤرّقون المتجبر بدعواتهم الإصلاحية ، ويُقِضُّون عليه مضجعه بمواقفهم الثورية ، فهو يستغل جهل الرعية لتحقيق منافعه الشخصية ، كما يستغل الخفاش أو الثعلب ظلام الليل ليصطاد فريسته الضعيفة .

ب ـ [**القبسة** : الشعلة ـ **متغالبان** : متقاهران ـ **حالك** : ظلام شديد السواد .]

وفي القسم الثاني يبين الكاتب دور العلم في إيقاظ النفوس ؛ فهو كالنور الذي يكشف ماحجبه الظلام ، ويولد الطاقة التي تدفع إلى الحركة والعمل ، سواء في الكائنات الحية ، أو الآلات الصناعية . والعلم ينير البصائر والقلوب ، ويوقظ النفوس ، ويدفعها إلى مقاومة الطغيان والجبروت ، ومن ثَم كان الصراع دائما بين العلم والاستبداد .

جـ ـ [**تروّح** : التمس الراحة ـ **دائبين** : مداومين ـ **الناعم البال** : المستريح النفس ـ **لاتقبضه الخيبة** : لاتكفُّه عن السعي ـ **يسارعه السعد** : يواتيه الحظ ـ **يدرج** : يطوي] .

وفي القسم الأخير يقارن الكواكبي بين الإنسان الذي يتمتع بالحرية ، وينعم بالعدالة ، وبين الإنسان الذي يرزح تحت نير العبودية ، وتُكبّله أغلال الدكتاتورية ؛ فالأول يتذوق طعم الحياة ، وينشط في عمله ، ويجدّ في السعي وراء رزقه ، ويعتز بما يحصل عليه من كسب يده ، مهما كان قليلا ، ويفخر به على الأثرياء الذين ورثوا ثراءهم بلاسعي ولاتعب ، ويحفزه النجاح ، ولايفُلّ من عزمه الإخفاق ، لأنه بلغ العذر من نفسه ، وقام بواجبه ، وبعُد عن وصمة التعطل والبطالة .

أما الثاني فإنه يعيش خاملا ، لاأمل له يوقد عزيمته ، ولارجاء يشحذ إرادته ، فتثقل عليه أيامه ، ويقتل الفراغ عمره ، ويقضي حياته كالميت ، كما قال الشاعر :

لَيْسَ مَنْ مَاتَ ، فَاسْتَرَاحَ ، بِمَيْتٍ ... إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ[1]

إِنَّمَا الْمَيْتُ مَنْ يَعِيشُ كَئِيبًا ... كَاسِفًا بَالُهُ قَلِيلَ الرَّجَاءِ

1) الميْت : بسكون الياء : مَن فارق الحياة ، والميّت بالكسر و التضعيف : له نفس المعنى ، أو هو مَن في حكم الميتِ وَليس به ، كما هو هنا .

الدّراسـة الأدبيـّة والفنيـّة :

أ ـ الأفكـار :

النص مقال سياسي ، يعالج قضية الحاكم المستبد الذي يخون أمانة المسؤولية ، ولايرعى شؤون الرعية ومصالحها ، كفاء الثقة التي وضعتها فيه ، ولايتّقي الله فيمن أسلمه قياده ، فيستسلم لمغريات السلطة ، ويضل سواء السبيل ، ويقود شعبه إلى الذل والهوان ، ويُجرّعه كؤوس الجهل والحرمان ، ويفقده الأمل في الحياة ، ويجعله يتمنّى الموت . فمن المفهوم الإسلامي للمسؤولية ، أنها تكليف لاتشريف ، ينطلق الكواكبي نافخا من نفسه الحرة الأبية في روح الأمة الإسلامية التي ترزح تحت نير العبودية والاستبداد .

وهذا النوع من النثر معروف في الأدب العربي منذ العصر العباسي ، لكن الموضوع المطروق هنا جديد ، لأنه يعالج مشكلة الاستبداد الذي تجرعت منه الأمة الإسلامية الأمَرَّيْن .

وقد وُفّق الكاتب في تحديد أبعاد موضوعه تحديدا دقيقا ، وتحليلها تحليلا منظما ، وفي إقناع القارئ بها إقناعا لايشوبه شك ، كما وُفّق في عرض أفكاره عرضا عميقا بالغوص في تحليل نفسية الحاكم المستبد ، ونفسية كل من الحر والمستعبد .

ب ـ العاطفـة :

تنازعت الكاتب عاطفتان : عاطفة السخط على الحاكم الظالم المستبد . وعاطفة الإشفاق على المستضعفين الذين يرسفون في قيود الجبروت والطغيان ، ويبدو صدقهما وقوتهما في تمكّنه من نقل تجربته إلى المتلقي ، وجعْله يشاركه سخطه وكرهه للاستبداد والمستبدين ، وعطفه على ضحاياهم وصرعاهم من أفراد الشعب .

جـ ـ الأسلـوب :

ألفاظ النص فصيحة موحية ، وعباراته قوية في دلالتها ، واضحة في معانيها ، تأمل مثلا : « وقد خلق الله النور كشافا مبصرا ، ولأّدا للحرارة والقوة » تجد أن كلمتي « كشافا » و « ولأّدا » جاءتا بصيغة المبالغة التي تدل على قوّة الكشف ، وعمق التأثير ، وفي : « إن طعم تلذذ ، وإن تلهّى تروّح وتريّض » صاغ الكاتب أفعالا من اللذة واللهو والراحة على صيغة « تفعّل » التي تدل على الامتزاج بالحدث والتفاعل معه .

وأسلوب النص خبري ، يلائم غاية الكاتب في توضيح الأمراض السياسية والاجتماعية ، وتقريرها لتثبيتها في الأذهان ، إلا ما جاء في بداية النص : « ما أشبه المستبد ... ! » حين أبدى تعجبه من شبَه المستبد بالوصي الخائن .

وفي النص بعض الصور البيانية ، استعان بها الكاتب على إيضاح الفكرة ، وتجلية المعنى ، فمن ذلك تشبيه الحاكم المستبد بالوصي الخائن ، وهو تشبيه تمثيلي[1] ، فيه إيحاء يثير في النفس الاشمئزاز واحتقار الحاكم الجائر ، لاقترانه في الذهن بالوصي الخائن على أيتام أغنياء ، فاليتيم يبعث في النفس دوافع الشفقة والرحمة ؛ لأنه يُذكِّر بالموت والعجز ، وأولى بالضعيف أن تُحفَظ حقوقه ، لا أن تسرق وتسلب ، وهناك صور تشبيهية أخرى تستطيع تحديدها ومعرفة جمالها وتأثيرها في جلاء المعنى .

وهناك ألوان بديعية مختلفة في النص ، قصد منها الكاتب تقوية المعنى وتأكيده ، كالسجع في قوله : «لا اعتساف مالم تكن الرعية حمقاء ، تخبط في ظلام جهل وتيه عماء» وكالجناس الناقص في «خاملا خامدا» والطباق بين «رجال ، نساء» والمقابلة بين «لايسره النجاح .. ولاتقبضهُ الخيبة» ولايخفى عليك مافي هذه المحسنات من جمال في الصياغة ، وإيضاح للمعنى .

د ـ الأحكام والقيم :

يبدو الكاتب من خلال النص مصلحا صادقا في دعوته إلى الحرية ، جادا في طلبها ، جريئا في الحق ، لايخاف في الله لومة لائم ، متشبعا بالثقافة الإسلامية ، بينما تبدو بيئة النص مكبلة بأغلال الاستبداد ، تائهة في ظلام الجهل ، محرومة من أبسط الحقوق .

وفي النص قيمة سياسية وقيمة اجتماعية ، تتمثل الأولى في علاقة المستبد بشعبه ، وظلمه إياه وتجهيله ، والثانية في بيان أثر العلم والحرية على نفوس الناس ، وبيان فضل العمل وشرفه .

---

1) تشبيه التمثيل : هو ما كان فيه وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد ، فهنا مثلا نجد الحاكم المستبد بشعبه الجاهل الضعيف يشترك في وجه الشبه : القوة والاختلاف والعجز ، مع الوصي الخائن على أيتام أغنياء

تمارين تطبيقية :

1) عقد الكاتب مقارنة بين العلم والنور ، اشرحها ، وبين أثر كلّ منهما في الماديات والمعنويات .

2) للعمل قيمة نفسية اجتماعية . كيف عرض الكاتب هذه القيمة ؟

3) ما هي المبادىء التي نادى بها الكواكبي ؟ وما مدى تحقيقها في العالم العربي ؟ وما العلاقة بينه وبين كل من ابن باديس والبشير رحمهم الله جميعًا ؟

4) ابحث في القسم الأول عن الصُّوَر البيانية غير المدروسة ، واشرحها على غرار الصورة المشروحة .

5) احفظ القسم الثاني من النص .

مقال أدبي :

« الاستبداد يقتل المواهب الفردية ، ويؤدي بالأمة إلى التدهور والانحطاط » .

وسع هذه الفكرة مستعينا بالنص . مع ذكر أمثلة من التاريخ . ومن واقع الحياة المعاصرة .



خواطر عن الشّباب الجزائريّ

للشّيخ البشير الإبراهيميّ



تمهيـد :

ولـد الكاتب سنة 1889 بولاية سطيف ، قرية أولاد أبراهم ، تعلم بها ، ثم هاجر إلى المدينة المنورة سنة 1912 ليلتحق بأسرته التي سبقته إليها قبل ذلك بأربع سنوات ، فأقام بها خمسة أعوام يغترف العلم عن علمائها وفي مكتباتها ، ثم رحل إلى دمشق ، حيث اختير أستاذا في المدرسة السلطانية وعلّم بها سنوات ، رجع بعدها إلى الوطن ، حيث أسس مع رفيقه في الكفاح الشيخ عبد الحميد بن باديس «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» ، وعاش ـ رحمه الله ـ طول حياته مجاهدا داخل الوطن وخارجه في سبيل الجزائر العربية الإسلامية . حتى وافته المنية سنة 1965

خلف كتبا عدة في اللغة والأدب والدين ، طبع منها «آثار الإبراهيمي» في أربعة أجزاء ، جمعت فيها مقالاته القيّمة .

ومن الجزء الثاني نقدم لك النص التالي الذي يظهر فيه اهتمام الشيخ الإبراهيمي ، الكبير بالشباب ، الذي يُعوَّل عليه في تحرير الوطن وبنائه ، فأراد له أن يكون متسلحا بالمبادئ والقيم السامية . حتى يحقق ما تصبو إليه أمته ، وما تأمله فيه .

النــص :

أ ـ أَتَمَثَّلُهُ مُتَسَامِيًا إِلَى مَعَالِي الْحَيَاةِ ، عِرْبِيدَ الشَّبَابِ فِي طَلَبِهَا ، طَاغِيًا عَنِ الْقُيُودِ الْعَائِقَةِ دُونَهَا ، جَامِحًا عَنِ الْأَعِنَّةِ الْكَابِحَةِ فِي مَيْدَانِهَا ، مُتَّقِدَ الْعَزَمَاتِ ، تَكَادُ تَحْتَدِمُ جَوَانِبُهُ مِنْ ذَكَاءِ الْقَلْبِ ، وَشَهَامَةِ الْفُؤَادِ ، وَنَشَاطِ الْجَوَارِحِ . أَتَمَثَّلُهُ مِقْدَامًا عَلَى الْعَظَائِمِ فِي غَيْرِ تَهَوُّرٍ ، مِحْجَامًا عَنِ الصَّغَائِرِ فِي غَيْرِ جُبْنٍ ، مُقَدِّرًا مَوْضِعَ الرِّجْلِ قَبْلَ الْخَطْوِ ، جَاعِلاً أَوَّلَ الْفِكْرِ آخِرَ الْعَمَلِ .

ب ـ أَتَمَثَّلُهُ وَاسِعَ الْوُجُودِ ، لَا تَقِفُ أَمَامَهُ الْحُدُودُ ، يَرَى كُلَّ عَرَبِيٍّ أَخًا لَهُ أُخُوَّةَ الدَّمِ ، وَكُلَّ مُسْلِمٍ أَخًا لَهُ أُخُوَّةَ الدِّينِ ، وَكُلَّ بَشَرٍ أَخًا لَهُ أُخُوَّةَ الْإِنْسَانِيَّةِ ، ثُمَّ يُعْطِي لِكُلِّ أُخُوَّةٍ حَقَّهَا فَضْلاً وَعَدْلاً .

جـ ـ أَتَمَثَّلُهُ حِلْفَ عَمَلٍ لَا حَلِيفَ بِطَالَةٍ ، وَحِلْسَ مَعْمَلٍ لَا حِلْسَ مَقْهًى ، وَبَطَلَ أَعْمَالٍ ، لَا مَاضِغَ أَقْوَالٍ ، وَمُرْتَادَ حَقِيقَةٍ لَا رَائِدَ خَيَالٍ . أَتَمَثَّلُهُ مُقْبِلاً عَلَى الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالنَّفْعِ ، إِقْبَالَ النَّحْلِ عَلَى الْأَزْهَارِ وَالثِّمَارِ لِتَصْنَعَ الشَّهْدَ وَالشَّمْعَ ، مُقْبِلاً عَلَى الِارْتِزَاقِ إِقْبَالَ النَّمْلِ ، تَجِدُّ لِتَجِدَ ، وَتَدَّخِرُ لِتَفْتَخِرَ ، وَلَا تُبَالِي ، مَادَامَتْ دَائِبَةً ، أَنْ تَرْجِعَ مَرَّةً مُنْجِحَةً ، وَمَرَّةً خَائِبَةً .

د ـ أُحِبُّ مِنْهُ مَا يُحِبُّ الْقَائِلُ :

أُحِبُّ الْفَتَى يَنْفِي الْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ ... كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقْرَا

وَأَهْوَى مِنْهُ مَا يَهْوَى الْمُتَنَبِّي :

وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلَّ سَمَيْدَعٍ ... أَرِيبٍ كَصَدْرِ السَّمْهَرِيِّ الْمُقَوَّمِ

خَطَتْ تَحْتَهُ الْعِيسُ الْفَلَاةَ وَخَالَطَتْ ... بِهِ الْخَيْلُ كَبَّاتِ الْخَمِيسِ الْعَرَمْرَمِ

يَا شَبَابَ الْجَزَائِرِ : هَكَذَا كُونُوا ... أَوْ لَا تَكُونُوا ...

تحليـل وشـرح :

يدعو الكاتب في هذا النص الشباب الجزائري إلى التمسك بالمبادئ والقيم السامية ، حتى يتمكنوا من إحياء أمتهم وبعث مجدهم . وتلك هي الفكرة العامة التي تنبَثق منها أربع أفكار أساسية :

أ ـ حثّ على طلب المعالي في شجاعة وتدبّر .

ب ـ دعوة إلى نبذ قيود العصبية .

جـ ـ تحريض على العمل وطلب العلم .

د ـ الاستقامة في السلوك .

أ ـ [**عربيد** : تطلق أصلا على مُدْمن الخمر ، وهنا بمعنى الإدمان والإلحاح ـ **طاغيا** : متجاوزا ـ **الأعنة** : **جمع** عِنان ، وهو لجام الدابة الذي تقاد به ـ **الكابحة** : من كبح جماح الفرس : ردعه وأخضعه ـ **التهور** : الوقوع في الأمر بلامبالاة وقلة اكتراث] .

في القسم الأول يدعو الكاتب الشباب إلى طلب المجد والعلا في شجاعة مع تعقُّل ، للحصول على المراتب الرفيعة في مجالات الحياة ، المختلفة ، الفكرية منها والاجتماعية والسياسية ، مذللا العقبات التي تعترض طريقه ، ويُعْلمه أنه لايصل إلى تلك المراتب إلا ببذل جهود جبارة ، وبعزيمة فولاذية ، وقلب جريئ شجاع . وإن دعاه إلى الرزانة والتدبر فإنه لايريده أن يكون هيّابا متخوّفا من الصعاب ، كما أنه ، لا ينبغي له أن يقدم إقدام المتهور من غير أن يفكر ويخطط ، ولا يحب له أن يلتفت لسفاسف الأشياء وصغائرها ، وألا يعُد الابتعاد عنها جبنا أو هزيمة ، وعلى الشباب الواعي اليقظ ألّا يقدم على عمل هام إلا بعد درس وتفكير ، وأن يظل على يقظته في عمله ذاك حتى ينتهي منه .

ب ـ [**واسع الوجود** : ذو أفق واسع في نظرته إلى الحياة والناس ـ **فضلا** : جمعه فضول : الإحسان .]

وفي القسم الثاني نجد الكاتب يُكرِّه إلى الشاب العصبية ، ويدعوه إلى سموّ النفس في علاقاته الإنسانية ؛ لأنه مرتبط بصلات الدم مع إخوانه العرب ، وبصلات الدين ، مع إخوانه المسلمين ، وبصلات الأخوة البشرية مع الناس جميعا ، ولكل علاقة من تلك العلاقات واجبات يلزم عليه أداؤها لتحقيق وجوده في مجتمعه .

جـ ـ [**حلس** : غطاء ظهر الدابة تحت السرج ، وهنا بمعنى الملازمة ـ **مرتاد حقيقة** : باحث عنها ـ **دائبة** : مستمرة ـ **منجحة** : ناجحة] .

وينتقل الشيخ الإبراهيمي ، رحمه الله ، في القسم الثالث إلى حثّ الشباب على العمل ، وطلب العلم ؛ محرِّضا إياهم على استغلال الوقت ، وعدم تضييعه في اللهو والعبث مع رفاق السوء ، طالبا منهم أن يتَّسموا بالواقعية في تقدير الأشياء ، وألا يذهب بهم الخيال ، بعيدا عن الحقيقة ، وإذا طلبوا العلم فليكن غرضهم من ذلك استعماله في نفع أنفسهم ومجتمعهم والإنسانيه جمعاء ، وليكن إقبالهم على الدرس والتحصيل في شغف ورغبة ، كما تقبل النحلة على رحيق الأزهار لتقدم منها للناس العسل اللذيذ ، الذي فيه شفاء للناس ، ولْيسعوا إلى أهدافهم النبيلة بغير تخاذل ولا تكاسل ، سواء حالفهم الحظ أم خانهم ، لأن الدنيا ليست دائما مبتسمة ، وإذا أرادوا أن يتخذوا عبرة ودرسا في ذلك فليتّخذوها من النملة الساعية وراء رزقها غير مبالية بما حققت من نجاح ، مادامت ، في عملها الدؤوب ، تحقق وجودها .

د ـ [**الفواحش** : جمع فاحشة : القبيح من قول أو فعل ـ **وقْر** : صَمَم ـ **سميدع** : شجاع ـ **الفلاة** : الصحراء ـ **العيس** : الإبل ـ **كبات** : جماعات] .

وفي القسم الأخير يلفت الكاتب نظر الشباب إلى أهم الصفات التي يتمنى أن يراهم متصفين بها مقتدين في ذلك بأسلافهم الأمجاد ، وتلك الصفات هي استقامة الخُلق ، والبعد عن الشائن القبيح من قول أو فعل ، مع رزانة وتعقل ، وشجاعة الفؤاد .

وختاما ينصح الشيخ البشير الشباب ويهددهم قائلا لهم : إذا شئتم أن تفرضوا وجودكم في هذه الحياة فما عليكم إلا أن تتمسكوا بهذه المثل السامية ، والأخلاق العالية ، لأنه لا وجود لكم بدونها ولا حياة .

الدّراسـة الأدبيّـة والفنيـّة :

أ ـ الأفكـار :

يهدف النص إلى تكوين مجتمع قوي سليم عن طريق تربية الشباب ، وتوعيتهم ، وقد انتشر هذا اللون من النثر الاجتماعي في العصر العباسي ، وذاع أكثر في العصر الحديث ، لحاجة المجتمعات العربية إليه في التوجيه والتوعية ، لأنها كانت تعيش في ظل الاستبداد والاحتلال ، وتريد الخروج إلى نور الحرية والعدالة .

والموضوع عبارة عن خواطر موجهة إلى الشباب ، تدعوهم إلى التمسك والعمل بالقيم الخالدة ، لذا لا نجد بين هذه الخواطر ترتيبا مُحكما ؛ إذ نستطيع التقديم والتأخير فيها دون أن يحدث خلل أو فساد في المعنى ، لكننا نجدها ، مع ذلك ، أفكارا متجانسة لها اتجاه واحد ، يهدف إلى تحقيق غاية واحدة ، هي تربية سليمة صالحة .

وإلى جانب هذا فالأفكار بيّنة واضحة ، لا يعاني القارئ في فهمها عناء بعد معرفته معاني بعض الكلمات الصعبة ، وهي أفكار مستقاة من التراث الإسلامي ، صيغت في قالب جديد يخدم هدف الكاتب ، كما أنها ملائمة لأفهام المخاطبين من أمته آباء وأبناء ، وقد استوفت الخواطر المعاني التي أراد تبليغها ، رغم الإيجاز الذي اتسمت به ، واستوفت كذلك الجوانب المفيدة للشباب في حياتهم العلمية والعملية والخلقية .

ب ـ العاطفـة :

عاطفة الكاتب تبدو هادئة خاضعة للعقل ، وهي حب الخير لأبناء وطنه ، وإخلاص النصح لهم ، لأنه يريد إعداد الشباب لتحرير الوطن وتقدمه ، وهي عاطفة صادقة صدرت من شخص وهب حياته لخدمة شعبه الذي أخلص له طول حياته ، كما يدل على صدق العاطفة أن قارئ هذه الخواطر يعجب ويتأثر بها .

جـ ـ الأسلـوب :

أسلوب النص جزل قوي ، صادر عن كاتب ذي ثقافة عربية واسعة وأصيلة ، واضح لاغموض فيه إلا في قوله : « جاعلا أول الفكر آخر العمل » فهو يريد أن يقول : يجب التفكير في العمل ونتائجه قبل البدء فيه وأثناءه حتى لا يقع في هوّة التهور والاندفاع .

وكانت الألفاظ ملائمة للمعاني موحية بها ، من ذلك كلمة (عربيد) وهي وصف للشباب المتطلع ، موضوعة في أصلها للسكير المدمن ، لكن الكاتب استعملها للدلالة على سعي الشباب للمجد بجد وقوة ودأب ، وكذلك كلمتا : (جامحا) و (الأعنة) ، فالأولى موحية بالتذمر والثورة على القيود ، والثانية بالردع والإخضاع .

والأسلوب الخبري هو الذي يطغى على النص ، ماعدا العبارة الأخيرة : « ياشاب الجزائر ، هكذا كونوا أولا تكونوا » ففيها أسلوب النداء الهادف إلى لفت النظر والانتباه ، وفيها أمر يشير إلى الإنذار والتهديد ، ويوحي بإخلاص الكاتب وحرصه على

أن يعمل الشباب بما قدم لهم من توجيهات ، أما الأسلوب الخبري فغرضه النصح والإرشاد .

والموضوع مليء بالصور البيانية والمحسنات البديعية ، وأسلوبه يُعَد امتدادًا لمدرسة الصنعة اللفظية التي تهتم باختيار الألفاظ وتجويد العبارة ، والعناية باستعمال البيان والبديع ؛ فمن الصور المتعددة ماجاء في : « جامحا عن الأعنة » أي كفرس جامح ، فهي استعارة مكنية تجسد قوة تمرُّد الشباب على الصعاب والعقبات ، وهناك استعارة مكنية أخرى في : « متَّقد العزمات » ؛ إذ شبه الكاتب العزمات بالنار ، فحذف المشبه به ، وأشار إليه بـ (متقد) وهي صورة شخصت معنى مجردا ، ومن الكناية : « حلف عمل لاحليف بطالة » ، فهي كناية توحي بحب العمل والدأب عليه ، وبالتنفير من البطالة .

كما نجد أسلوب الكاتب مزينا ببعض ألوان البديع ، منها ما يسمّى «بالتلميح » في قوله : « مقدرا موضع الرجل قبل الخطو » فهو يُلمّح ويشير إلى قول الشاعر :

قَدِّرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا   فَمَنْ عَلاَ زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلَقَا [1]

ومنها كذلك السجع والجناس اللذان أحدثا نغما جميلا في العبارة : « واسع الوجود ، لاتقف أمامه الحدود » ، « تجدّ لتجد » ، كما ورد طباقان ، أكد بهما المعنى بذكر الشيء ونقيضه في : « جاعلا أول الفكر آخر العمل » و « مرتاد حقيقة لا رائد خيال » ومقابلة بذكر ثلاثة أشياء ونقائضها في : « أتمثله مقداما على العظائم في غير تهور ، محجاما عن الصغائر في غير جبن »

د ـ الأحكـام والقيـم :

تبدو لنا ملامح شخصية الشيخ الإبراهيمي من خلال النص : فهو مرب ومصلح ، وذو معرفة عميقة بالحياة ، يقدر مسؤوليته كرائد يسعى ليعيد للشعب الجزائري شخصيته العربية الإسلامية ، كما يبدو ذا تجارب استفادها من دراساته وأسفاره وجهاده الدؤوب في ميادين مختلفة .

---

1) **عـلا** : صعد وارتقى ـ **زلقـا** : أرض ملساء ـ **غِرة** : غفلة وقلة خبرة ـ **زلـق** : زل وانزلق .
والمعنى : أن من لايفكر قبل الإقدام على عمل ما ، كان كمن صعد عن غفلة مكانا أملس فزل وانزلق .

وقد جاء النص عامرا بقيم إنسانية واجتماعية وخلقية ، فالإنسانية منها نلاحظها في حثه الشباب على نبذ التعصب مهما كان نوعه ، والقيمة الاجتماعية نستشفها في دعوته إلى العلم والعمل اللذين هما عماد كل نهضة وتقدم ، أما الخلقية فتظهر في حث الشباب على الطموح إلى المعالي وعلى الشجاعة والإقدام ، والتعقل والرزانة ، واستقامة الخلق ، والبعد عن كل قبيح قولا وفعلا .

ومن دراسة أسلوب النص نستنتج قيمة فنية هي تأثر الكاتب (بمدرسة الصنعة) التي تُعنى كثيرا بانتقاء الألفاظ ، وزخرفة العبارة بألوان البيان والبديع ، من غير إهمال جانب المعاني والأفكار .

تماريـن تطبيقيـة :

1) في النص حضّ على الشجاعة والاتّزان ، وحث على العمل ، والبحث عن الحقيقة .ماهي العبارات الدالة على ذلك ؟
2) ما الصفات الخلقية التي يحب الكاتب أن تتوفر في الشباب ؟ وما أثرها في رقي البلاد وازدهارها ؟
3) إلى أي مدى تحققت أماني الكاتب في الشباب الجزائري ؟
4) استخرج من الفقرة الثالثة استعارة وكناية ، واشرحها ، وبين أثرهما في المعنى .
5) ابحث في الفقرة الثالثة كذلك عن سجع وجناس وطباق ، وبين أثرها في اللفظ والمعنى .
6) احفظ القسم الثالث من النص .

بحـث أدبـي :

يعد المرحوم الشيخ البشير الإبراهمي دعامة أساسية من دعائم النهضة الإصلاحية والفكرية في الجزائر .

اكتب بحثا تتناول فيه حياته ، وعوامل نبوغه ، ونشاطه في الإصلاح الديني والاجتماعي ، وخصائص نثره الفني .

المراجـع :

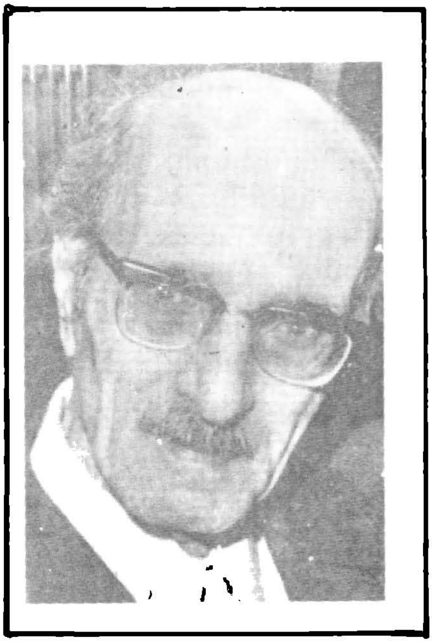
المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر. لأنور الجندي .
نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر لعبد الملك مرتاض .
آثار الشيخ البشير الإبراهيمى في أربعة أجزاء . للشيخ البشير الإبراهيمي .
مجلة الثقافة . عدد خاص . السنة الخامسة عشرة العدد (87) ، شعبان رمضان 1405 ، ماي جوان 1985



وظيفـة النّاقـد

لميخائيل نعيمـة

تمهيـد :



ولد ميخائيل نُعَيْمَة في قرية (بسكنتا) بلبنان سنة 1889 في عائلة مسيحية أُرْثُوذُكْسِيّة . تَلَقَّى تعلّمه الأول في قريته ، ثم انتقل إلى دار المعلمين الروسية بالناصرة ، في فلسطين ، حيث مكث حتى سنة 1906 . وأرسل تلك السنة إلى روسيا لمواصلة دراسته في (يلتافا) مُكَافأة على نجابته ، أتَمَّ دراسته بها سنة 1911 ، فذهب إلى أمريكا صحبة أخيه ، والتحق بجامعة واشنطن لدراسة الحقوق والآداب . وفي سنة 1920 كوّن في نيويورك مع جماعة من الأدباء السوريين واللبنانيين « الرابِطَة القَلَمِيّة »[1] . وبقي ينشط فيها حتى سنة 1931 ، ثم عَاد إلى لبنان سنة 1932 .

وقد عالج جميع أنواع الأدب : الشعر والقصة ، والمسرحية والسيرة ، والخطبة والمقالة ، فأجاد فيها جميعا بأسلوب شيّق مُبين ، ولم يمنعه تقدم السن من مواصلة الإبْداع ، حيث إنه بقيَ ينتج حتى وافته المنية عن عمر يناهز مائة سنة ، عام 1988 .

من أشهر إنتاجه : همس الجفون ـ كان ما كان ـ النور والديجور ـ سبعون ـ زاد المعاد ـ في مهب الريح ، والغربال الذي اقتطف منه هذا النص :

1) تضُمّ أدباء تشبعوا بالآداب العالمية ، مثل جبران خليل جبران ، وإيليا أبي ماضي ، ونسيب عريضة ، ويرون أن الأدب إبداع وأنّ التقليد يعقّم الفكر .

النـص :

إِنَّ النَّاقِدِينَ طَبَقَاتٌ ، كَمَا أَنَّ الشُّعَرَاءَ وَالْكُتَّابَ طَبَقَاتٌ ، فَمَا يَصْلُحُ أَنْ يُقَالَ فِي الْوَاحِدِ مِنْهُمْ لَا يَصْلُحُ أَنْ يُقَالُ فِي كُلِّهِمْ . إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ خُلَّةً لَا يَكُونُ النَّاقِدُ نَاقِدًا إِذَا تَجَرَّدَ مِنْهَا . وَهِيَ قُوَّةُ التَّمْيِيزِ الْفِطْرِيَّةُ ؛ تِلْكَ الْقُوَّةُ الَّتِي تُوجِدُ لِنَفْسِهَا قَوَاعِدَ وَلَا تُوجِدُهَا الْقَوَاعِدُ ، وَالَّتِي تَبْتَدِعُ لِنَفْسِهَا مَقَايِيسَ وَمَوَازِينَ وَلَا تَبْتَدِعُهَا الْمَقَايِيسُ وَالْمَوَازِينُ . فَالنَّاقِدُ الَّذِي يَنْقُدُ «حَسْبَ الْقَوَاعِدِ» الَّتِي وَضَعَهَا سِوَاهُ لَا يَنْفَعُ نَفْسَهُ ، وَلَا مَنْقُودَهُ ، وَلَا الْأَدَبَ بِشَيْءٍ ؛ إِذْ لَوْ كَانَتْ لَنَا «قَوَاعِدُ» ثَابِتَةٌ لِتَمْيِيزِ الْجَمِيلِ مِنَ الشَّنِيعِ ، وَالصَّحِيحِ مِنَ الْفَاسِدِ لَمَا كَانَ مِنْ حَاجَةٍ بِنَا إِلَى النَّقْدِ وَالنَّاقِدِينَ . بَلْ كَانَ مِنَ السَّهْلِ عَلَى كُلِّ قَارِىءٍ أَنْ يَأْخُذَ تِلْكَ «الْقَوَاعِدَ» وَيُطَبِّقَ عَلَيْهَا مَا يَقْرَؤُهُ ، لَكِنَّنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى النَّاقِدِينَ ، لِأَنَّ أَذْوَاقَ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ مِنَّا مُشَوَّهَةٌ بِخُرَافَاتٍ رَضَعْنَاهَا مِنْ ثَدْيِ أَمْسِنَا ، وَتُرَّهَاتٍ اقْتَبَلْنَاهَا مِنْ كَفِّ يَوْمِنَا ، وَالَّذِي يَضَعُ لَنَا الْيَوْمَ مَحَجَّةً لِنُدْرِكَهَا فِي الْغَدِ هُوَ الرَّائِدُ الَّذِي سَنَتْبَعُهُ ، وَالْحَادِي الَّذِي سَنَسِيرُ عَلَى حَدْوِهِ .

قَدْ يَسْأَلُ الْبَعْضُ : وَأَيُّ فَضْلٍ لِلنَّاقِدِ إِذَا كَانَتْ مَهَمَّتُهُ لَا تَتَعَدَّى الْغَرْبَلَةَ ؟ فَهُوَ لَا يَنْظِمُ قَصِيدَةً ، بَلْ يَقُولُ لَكَ عَنِ الْقَصِيدَةِ الْحَسَنَةِ إِنَّهَا حَسَنَةٌ ، وَعَنِ الْقَبِيحَةِ إِنَّهَا قَبِيحَةٌ وَلَا يُؤَلِّفُ رِوَايَةً ، بَلْ يَنْظُرُ فِي رِوَايَةٍ أَلَّفَهَا سِوَاهُ وَيَقُولُ : أَعْجَبَنِي مِنْهَا كَذَا ، وَلَمْ يُعْجِبْنِي كَذَا .

فَأُجِيبُهُمْ : وَأَيُّ فَضْلٍ لِلصَّائِغِ الَّذِي تَعْرِضُ عَلَيْهِ قِطْعَتَيْنِ مِنَ الْمَعْدِنِ مُتَشَابِهَتَيْنِ فَيَقُولُ فِي الْوَاحِدَةِ إِنَّهَا ذَهَبٌ وَفِي الْأُخْرَى إِنَّهَا نُحَاسٌ ؟ أَوْ تُعْطِيهِ قَبْضَةً مِنَ الْحِجَارَةِ الْبِلَّوْرِيَّةِ الْبَرَّاقَةِ ، فَيَنْتَقِي بَعْضَهَا قَائِلاً : هَذَا أَلْمَاسٌ ، وَيَقُولُ فِي مَا بَقِيَ : هَذَا زُجَاجٌ ؟ إِنَّ الصَّائِغَ لَمْ يَخْلُقِ الذَّهَبَ وَلَا أَوْجَدَ الْأَلْمَاسَ ، لَمْ يَخْلُقْهُمَا كَمَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَالَمَ مِنْ لَا شَيْءَ ، لَكِنَّهُ «خَلَقَهُمَا»

لِكُلِّ مَنْ يَجْهَلُ قِيمَتَهُمَا . وَلَوْلَاهُ لَظَلَّ الذَّهَبُ نُحَاسًا وَالْأَلْمَاسُ زُجَاجًا أَوِ الْعَكْسُ بِالْعَكْسِ . وَكَمْ هُمُ الَّذِينَ يُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْأَلْمَاسِ وَتَقْلِيدِ الْأَلْمَاسِ ؟

إذا لَمْ يَكُنْ لِلنَّاقِدِ مِنْ فَضْلٍ سِوَى فَضْلِ رَدِّ الْأُمُورِ إِلَى مَصَادِرِهَا وَتَسْمِيَتِهَا بِأَسْمَائِهَا لَكَفَاهُ ذَاكَ ثَوَابًا . إِلَّا أَنَّ فَضْلَ النَّاقِدِ لَا يَنْحَصِرُ فِي التَّمْحِيصِ وَالتَّثْمِينِ وَالتَّرْتِيبِ ، فَهُوَ مُبْدِعٌ وَمُوَلِّدٌ وَمُرْشِدٌ مِثْلَمَا هُوَ مُمَحِّصٌ وَمُثَمِّنٌ ومُرَتِّب .

تحليل وشرح :

1 ـ ما هي فكرة المقال العامة ؟

2 ـ قسم المقال إلى أفكاره الأساسية ، وضع لكل فقرة عنوانا ملائما .

3 ـ اشرح الألفاظ الآتية واستعملها في جمل من إنشائك : خُلة ـ الفطرية ـ المقاييس ـ تُرَّهات ـ محجة .

4 ـ اشرح العبارات الآتية :

قوة التمييز الفطرية ـ السواد الأعظم ـ الحادي الذي نسير على حدوه .

5 ـ الناقد « مُبْدع ومُوَلّد ومُرْشِدٌ مثلما هو ممحّص ومثمّن ومُرَتّب » استنبط من هذه الجملة مهمة الناقد .

6 ـ ما هي الصفة الفطرية التي نجدها عند كافة النقاد ؟

7 ـ ما هي وظيفة الناقد كما تتبين ذلك من المقال ؟ وما مدى أهميتها ؟

8 ـ ثمّة ميادين للنقد غير ميدان الأدب . اذكر بعضها .

9 ـ بماذا استدل الكاتب على أهمية وظيفة الناقد ؟

10 ـ ما هو فضل الناقد على سائر الناس ؟

الدّراسة الأدبيّة والفنيّة :

أ ـ الأفكار :

1 ـ ما هي القضية التي تناولها الكاتب ؟ أهي جديدة أم قديمة ؟

2 ـ ما هو غرض الكاتب المتوخّى من خلال النص ؟

3 ـ للكاتب قدرة على إقناع القارئ . فإلاَمَ تَعْزُو هذه القُدْرَة ؟

4 ـ لماذا تختلف مقاييس وموازين النقاد في نظرك ؟
5 ـ أراد الكاتب أن يُقنع القُرّاء بما ذهب إليه . فما هي الطريقة التي لجأ إليها ؟
6 ـ هل يستطيع الأدب أن يستغني عن النقد ؟ علّل رأيك .
7 ـ أفكار النصّ سهلة غير مستعصية . أيعود ذلك إلى بساطة الموضوع أم إلى سطحية المعالجة ؟

ب ـ العاطفـة :

1 ـ هل تحس بذاتية الكاتب من خلال النص ؟ علل إجابتك .
2 ـ نلمس في آخر النص إلْحَاحًا قويًّا . غرضه إقناع القارئ بأهمية وظيفة الناقد . أليس في ذلك عاطفة ما ؟

جـ ـ الأسلـوب :

يتناول ميخائيل نعيمة في نصه هذا ، قضية نقدية ، هي تحديدُ وظيفة الناقد ، وتبيينُ فضْله على سائر الناس .

وأوّل سِمَة نلمحها في النص هي السهولة . ومرجع ذلك هو اعتماد الكاتب على اللغة البسيطة المتداولة ؛ فألفاظ النص مألوفة ، وعباراته واضحة ليس فيها عويص ولا مستغلق ولا مبهم .

وقد مزج الكاتب بين الأسلوبين الخبري والإنشائي ؛ فلما كان بصدد تقرير الحقائق ، وإصدار الأحكام النقدية ، اعتمد على الأساليب الخبرية ، لأنها لذلك أطوع وأنسب . ولما احتاج إلى اعتماد أسلوب المحاورة لتقديم الحجج المنطقية لدعم رأيه التجأ إلى الأسلوب الإنشائي المناسب لذلك وهو : الاستفهام .

ولا نعثر في النص على كثير من الصور البيانية ، فما ورد فيه إنما جاء لتجلية المعنى وإبرازه ؛ تَأملْ مثلا الاستعارات الآتية تَجِدْ أن الكاتب لم يقصدها ولم يتكلَّفْها ، وإنّما انْسَابَتْ على قلَمه انسيابا : (خرافات رضعناها) ، (ثدي أمسنا) ، (كف يومنا) . ولا شك أن هذه الاستعارات تُسْهِم في تجلية المعنى ، ونقله من صورته المجرّدة إلى صورة محسوسة . فقد جعلت الاستعارة الأولى الخُرَافاتِ لبنًا يُرضَع ، ووجه الجمال فيها أنها تُوحي بأَنّ الخُرَافَات تَتَمَكّنُ من النفس ، وتَرْسَخ فيها ، كما يتمكّنُ اللبن من جسم الرّضيع ، فيُقَوّي عظامه ويُمَتّن صلبه .

وما قيل عن الاستعارة الأولى يمكن أن يُقال ما يماثله عن الاستعارتين الثانية والثالثة .

وقد خلا النص من البديع إلاّ ما جاء فيه من غير تكلّف ولا قصد ، مثل الطباق بين (جميل وشنيع) و(صحيح وفاسد) .

وفي النصّ بعض التكرار ، إلاّ أنّه تكرار مفيد ، غايته تأكيد المعنى وتوضيحه ؛ فعبارة : (تلك القوة التي توجد لنفسها قواعد ، ولا توجدُها القواعدُ) تكرر معناها في : (والتي تبدع للنفس مقاييس وموازين ، ولا تبدعها المقاييس والموازين)

د ـ الأحكام والقيم :

نص ميخائيل نعيمة من الأدب الوصفي ، أو هو من النقد . فقد حدّد فيه الكاتب سمات الناقد القوي وأبرز حدود وظيفته . ومن خلاله نلمس بعض ملامح الكاتب ، وبعض خصائص أسلوبه .

فنُعيمة أديب وناقد ممتاز ، يتصف بهدوء المزاج ، يُصدر أحكامه النقدية في تروٍّ ، ثم يشفعها بالدليل المؤكد والحجة البينة ، ولا يكاد القارئ يقرأ له مقالاً أو فصلا في النقد حتى يُعْجَبَ بآرائه ، ويقتنع بالأحكام التي يُصدرها ، أمّا أسلوبه فسهل ممتنع . يخلو من التكلف والغريب ، ويتسم بالبساطة والوضوح . وتلك ميزة نجدها عند عامّة الكتاب المهجريين .



14 المؤمنون

تطوّر فنّ المقال وخصائصه

المقالة بالمعنى الاصطلاحي فن مرتبط بظهور الصحافة ، ومن ثمَّ ،فإنه لم يبرز في الأدب العربي إلا في بداية العصر الحديث مع ظهور أولى الصحف العربية[1] .

« ولا يعني هذا أن العرب لم يعرفوا الكتابة فيما يشبه المقالة : فعبد الحميد الكاتب حين تكلم عن الشطرنج أو الصيد أو الكتابة ، كان يكتب شيئًا قريبا من المقال . والفصول الأدبية التي أنشأها الجاحظ في كُتُبه : البخلاء ، والمحاسن والأضداد ، والحيوان ، والبيان والتبيين ، مقالات مطولة تنقصها شروط المقالة الحديثة »[2] .

وقد تناول القدامى التّعبير عن آرائهم وأفكارهم وعواطفهم . . في فصول موجزة ، تشترك مع فن المقال ــ في شكله الحديث ــ في عدد من الخصائص ، مثل الاقتصار على فكرة محددة ، واستيفاء جميع جوانبها ، والاستعانة بأدوات الإقناع كالتعليل والاحتجاج وإجراء المقارنة ، وغيرها .

وقد اشتهر في هذا المجال عدد من الكتاب ، نذكر منهم ابن المقفع ، والجاحظ ، وابن قتيبة ، وغسّان عبد الحميد ، وأبا حيان إلتوحيدي .[3]

وابتداء من القرن الرابع خطا هذا النمط الفني خطوة مذمومة نحو التكلّف . . فغَدَا ، وإن تنوعت موضوعاته ، متحجِّرَ الأسلوب ، ممّا يبعده في نظر النقد عمّا يقتضيه أسلوب المقالة الحديثة من تدفق وحرية وانطلاق .[4] .

في العصر الحديث ، مرّت المقالة العربية بعِدّة مراحل ، فقد ظهرت في أول الأمر بدائية فَجّة ، يشبه أسلوبها أساليب عصر الضعف . فقد كانت مثقلة بالمحسنات البديعية

---

1) أولى الصحف العربية : « الوقائع المصرية » 1828 ، « حدائق الأخبار » البيروتية 1828 ، الأهرام 1875 ، « المُقطَّم » 1888 .

2) في الأدب الحديث ، تأليف عمر الدسوقي . ج . 1 . ص 408 .

3) انظر تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول ، لشوقي ضيف .

4) فن المقال : تأليف محمد يوسف نجم .

مزهوة بالزخارف المتكلّفة الممجوجة . وكانت تتناول في الغالب مواضيع سياسية . وقد كان رافع رفاعة الطهطاوي (1801 ـ 1873) من الكتاب الأوائل الذين كان لهم فضل الريادة ، في تخليص أسلوب النثر من تعقيدات التكلّف . فالنموذج الآتي يُعطي فكرة عن المقال في صوره الأولى في مطلع هذا العصر ، كتب الطهطاوي قائلا :

«كان الّذين عاشُوا زَمَنَ الحَجَّاج إذا أصْبَحُوا يَتَسَاءَلُون : مَنْ قُتِلَ البَارِحة ؟ ومَن صُلِب ؟ ومَنْ جُلِدَ ؟ وكَانَ الْوَلِيد صَاحِبَ ضِيَاعٍ ومصانِعَ ، فكان الناسُ في زَمَنِهِ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الدُّنْيَا وَالْمَصَانِعِ والصَّنَائِعِ ، وشَقِّ الأَنْهَار ، وغَرْسِ الْأَشْجَار . ولَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيز كَانَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ : كَمْ تحْفَظُ مِنْ الْقُرْآنِ ؟ وَمَتَى تَخْتِمُ ؟ وَكَمْ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ ؟ ..) .

ثم تطورت المقالة قليلا ، وقلّت من قيود السجع إلى حدّ بعيد ، وأخذت تقترب من عامّة الناس شيئا فشيئا ، بتأثير دعوة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده الإصلاحية . وقد اشتهر بالكتابة في فن المقال ، في هذه المرحلة ، أديب إسحاق وسليم النقّاش ، وعبد الرحمن الكواكبي ، وعبد الله النديم وإبراهيم اليازجي ، ومحمد عباء .

ثم ما فتئت تخطو خطوات حثيثة إلى الأمام ، فتخلّصت من قيود الصنعة ، وانطلقت حرّة بسيطة ، تُعنى بالأفكار أكثر من عنايتها بالزخارف . وخلصت بعد هذا ، إلى الصوره التي نعرفها بها اليوم ، وذلك ابتداء من الحرب العالمية الأولى . وامتازت في هذا الطور بالتركيز ، والدقّة ، والميل إلى بث الثقافة العامّة ، لتربية أذواق الناس وعقولهم . وأمّا أسلوبُها ، فهو الأسلوب الأدبي الحديث الذي نجده عند كبار الأدباء في هذه المرحلة .

وجمعت عيون ما ألفه الأدباء الكبار من مقالات ، وأخرجت في كتب ؛ فقد جمعت مقالات مصطفى صادق الرافعي في كتاب في ثلاثة أجزاء أُطلق عليه اسم (**وَحْيِ الْقَلَمِ**) . وجُمعت مقالات أحمد حسن الزيات في كتاب سمّي بـ (**وحي الرسالة**) ، كما جمعت مقالات محمد البشير الإبراهيمي التي أصدرها في جريدة البصائر في كتاب أطلق عليه (**عُيُون البصائر**) .

وقد برز في مجال المقالة كُتّاب كثيرون منهم : محمّد حسين هيكل ، طه حسين ، ابراهيم عبد القادر المازني ، وعباس محمود العقاد ، وأحمد أمين ، وابن باديس والبشير

خصائص فن المقال :

المقالة قطعة نثرية محدودة الطول ، تكتب لتنشر على صفحات جريدة أو مجلّة . تبحث في جانب من جوانب موضوع ما .

ويميز النقاد بين أنواع مختلفة من المقالات بالنظر إلى مادتها وأسلوبها ؛ فإذا تناولت الشعر والنثر بالدراسة والتحليل فهي مقالة أدبية أو نقدية ، وإذا تناولت قضية اجتماعية أوسياسية ، فهي مقالة اجتماعية أو سياسية ...

وتشترك جميع صنوف المقالة في التزام منهج محدّد في عرض مادّتها . ويتمثل هذا المنهج في مقدمة وعرض وخاتمة[1] . فأما المقدّمة فيعمد فيها الكاتب إلى وضع القارئ في جوّ المقالة . وأمّا العرض فيبسط فيه فكرته مستعينا بالأسلوب الموائِم ، والحجج والأمثلة المناسبة . وأمّا الخاتمة فتختلف باختلاف موضوع المقالة ومادتها ، فقد يذكر الكاتب فيها الانطباع الذي يريد أن يُحْدِثَه في نفس القارئ ، أو يلفت النظر إلى أهمية الحُلُول التي يقترحها ...

ويختلف أسلوب المقالة باختلاف مادّتها وموضوعها أيضا ، فإذا كانت مادّتها في الأدب المحض جاءت صورها وتعابيرها منتقاة ، ووردت ألفاظها وتراكيبها متخيرة . وإذا كانت في السياسة مالت إلى السهولة ، والتزمت طرق الإقناع والاحتجاج[2] ، واستكثرت من الترادف والنعوت والتكرار .

على أنه يمكن التفرقة ـ بصورة عامة ـ بين الموضوعات التي تحتاج إلى الأسلوب الأدبي ، والموضوعات التي تعتمد على الأسلوب العلمي ، فما كان في سبيل معالجة المشاكل الاجتماعية والفكرية والقضايا السياسية فهو بالأسلوب الأول أَلْصَق . وما كان في سبيل بحث قضايا الاقتصاد والعلم والصناعة . . ، فهو بالأسلوب الثاني أجدر .

وإنما يتميز الأسلوب الأول منهما باعتماده على العاطفة والخيال والتصوير ، ومحاولة الإقناع بالكَلِم المُصَفَّى ، وبروعة التعبير وجمال الصورة ، وعذوبة الموسيقى ، فهو لغة القلب والعاطفة والصنعة المتأنية .

أمّا الأسلوب الثاني فيبعد عن هذا ، لأنه لغة العقل وسبيل الفِكر إلى إبَانة الحقيقة ، مع الدقة في تحديد المفاهيم ، ولذلك كانت عباراته أكثر وُضُوحًا وأشدّ حَصْرًا للمعاني ، وأعظم اعتمادًا على السهولة في التركيب والبعد عن الخيال .

1) قد لاتظهر هذه العناصر بشكل واضح في بعض المقالات .

2) الاحتجاج : الإتيان بالحجة .

الفصل الرّابع

التّراجِمْ والسِّيَر

1 ـ من حياة الرسول (ﷺ) . لطه حسين
2 ـ عبقري . للعقاد .
3 ـ حياتي . لأحمد أمين
4 ـ تطور أدب التراجم والسير وخصائصه .

التَّراجِـم والسِّيَـر

تعريـفَ الترجمـة :

الترجمة[1] من الفنون الأدبية ، تتناول التعريف بحياة عَلَم[2] له مكانة في مجال العلم أو الأدب أو السياسة تعريفًا يطول أو يقصُر ، ويتعمّق في تحليل الأحداث أو يطفو على السطح .

وتتناول الترجمة حياة المترجَم له.، بالتعرّض إلى نسبه ومولده وطفولته وتعلّمه . وعوامل نبوغه ، ومواقفه ، وأهمّ آثاره ، وظروف وفاته .

وقد تتناول إلى جانب ذلك تسليطَ الضوء على بيئَتِه السياسية والاجتماعية والفكرية ، لتبيين مدى تفاعله معها بشكل عام .

تعريـف السِّيـرة :

السيرة ترجمة مطوّلة ، تنفرد بمُصَنّف على حدة ، وتختلف عن الترجمة بسبب إمعانها في الطول ، واستيفاء جميع جوانب حياة صاحب السيرة . وقد تستغرق عدّة أجزاء ، كما هو الحال في سيرة النبي (ﷺ) التي صنفها ابن هشام .

---

1) التراجم تنقسم إلى ذاتية ؛ وهي التي يسجّل بها الكاتب مراحل حياته . وغير ذاتية وهي التي تخصّ واحدًا من الأعيان أو أكثر .

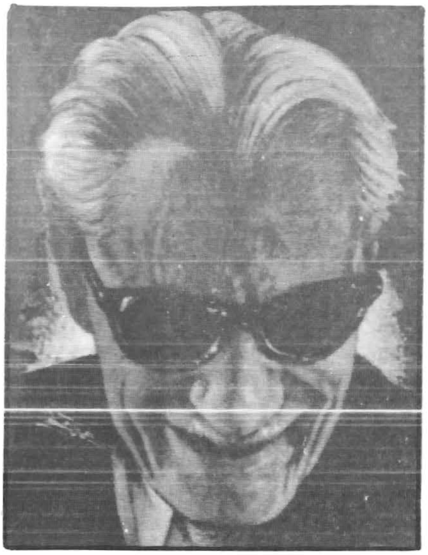
2) العلم هنا بمعنى الشخص المشهور .

من حياة الرّسول ﷺ

لطه حسين

تمهيد :

ولد الدكتور طه حسين سنة 1307 هـ .



1889 م . بقرية في صعيد مصر ، فَقَد بصره في صغره ، وحفظ القرآن في كُتّاب القرية ، ودرس في الأزهر ، ثم في الجامعة الأهلية التي نال منها الدكتورة عن أبي العلاء المعري سنة 1914 ، وحصل من جامعة « السربون » بفرنسا على دكتورة الدولة عن ابن خلدون .

اشتغل مدرسا بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، ثم عميدا لها ، وبعد ذلك عُيّن مستشارا لوزارة التربية ثم وزيرا ، فأدخل إصلاحات في التعليم ، وكان عضوا بمجمع اللغة العربية . توفي سنة 1973 .

والكاتب ذو إنتاج غزير ، يفوق الثمانين كتابا ، بالإضافة إلى المقالات الكثيرة ، المنشورة له في الصحف والمجلات ، في الأدب والنقد والسياسة والتاريخ ، ومن أشهر كتبه : الأيام ، حديث الأربعاء ، على هامش السيرة ، الفتنة الكبرى ، مع أبي العلاء . مرآة الإسلام .

ومن هذا الكتاب الأخير نقدم لك النص التالي الذي يعرض فيه الكاتب مرحلة من حياة الرسول (ﷺ) ، ووصفا لبعض أخلاقه الكريمة في شبابه .

النـص :

أ ـ كَانَ فَقِيرًا لاَ يَكَادُ يَمْلِكُ شَيْئًا ، وَكَانَ يَكْتَسِبُ قُوتَهُ مِنْ رَعْيِ الْغَنَمِ ، وَلَكِنَّهُ فَتًى مِنْ قُرَيْشٍ ، وَمِنْ أَشْرَافِهَا ، وَرَعْيُ الْغَنَمِ قَدْ يَلِيقُ بِالصِّبْيَةِ وَبِأَمْثَالِهِمْ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَتَقَدَّمْ بِهِمُ الشَّبَابُ . فَأَمَّا إِذَا شَبُّوا وَاسْتَتَمُّوا قُوَّتَهُمْ فَلَيْسَ لَهُمْ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَسْلُكُوا طُرُقًا أُخْرَى إِلَى الرِّزْقِ ، وَعَمُّهُ صَاحِبُ تِجَارَةٍ ، وَقَدْ مَاتَ أَبُوهُ تَاجِرًا ، وَجَدُّهُ كَانَ صَاحِبَ تِجَارَةٍ أَيْضًا . فَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَسْلُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي أَلِفَتْ قُرَيْشٌ سُلُوكَهَا ؟

ب ـ وَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ عَمُّهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَنْبَأَهُ بِأَنَّ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ ، مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالاً ، وَأَوْسَطِهِمْ نَسبًا . قَدْ جَهَّزَتْ تِجَارَةً ضَخْمَةً إِلَى الشَّامِ ، وَنَصَحَ لَهُ بِأَنْ يَكُونَ رَسُولَهَا بِتِجَارَتِهَا تِلْكَ ، وَأَنْبَأَهُ بِأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْعَى فِي ذَلِكَ عِنْدَ خَدِيجَةَ إِنْ صَحَّ عَزْمُهُ عَلَى السَّفَرِ . فَقَبِلَ الْفَتَى ، وَرَضِيَتْ خَدِيجَةُ ، وَرَأَتْهُ مَكَّةُ ذَاتَ يَوْمٍ خَارِجًا فِي قَافِلَتِهَا إِلَى الشَّامِ ، يَصْحَبُهُ غُلاَمٌ لِخَدِيجَةَ يُقَالُ لَهُ : مَيْسَرَةُ . وَقَدْ بَلَغَ الشَّامَ فَبَاعَ وَاشْتَرَى ، وَعَادَ مَعَ الْقَافِلَةِ ، فَأَدَّى إِلَى خَدِيجَةَ تِجَارَتَهَا ، وَأَدَّى إِلَيْهَا مَعَ هَذِهِ التِّجَارَةِ رِبْحًا لَمْ يُتَحْ لَهَا فِي تِجَارَةٍ قَطُّ ، وَكَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ هَذِهِ التِّجَارَةَ إِلَّا وَسِيلَةً لِشَيْءٍ آخَرَ وَرَاءَهَا ، فَقَدْ وَقَعَ الْفَتَى مِنْ قَلْبِ خَدِيجَةَ ، وَإِذَا هِيَ تُرْسِلُ إِلَيْهِ مُغْرِيَةً لَهُ بِخِطْبَتِهَا ، وَإِذَا هُوَ يَخْطُبُهَا ثُمَّ يُصْبِحُ لَهَا زَوْجًا ، وَهِيَ تَكْبُرُهُ بِخَمْسَ عَشَرَةَ سَنَةً فِيمَا يَقُولُ الرُّوَاةُ .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ عَاشَ فِي مَكَّةَ عِيشَةَ الْمَوْفُورِينَ ، لاَ يَشْكُو حَاجَةً ، وَلاَيَجِدُ ضِيْقًا ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ فِي سُورَةِ الضُّحَى : « وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى » وَقَدْ أُتِيحَ لَهُ مِنْ خَدِيجَةَ الْوَلَدُ ، وَأُتِيحَ لَهُ مَعَهَا الأَمْنُ والدَّعَةُ .

جـ ـ وَلَكِنَّهُ فِي ذَلِكَ الطَّوْرِ مِنْ أَطْوَارِ حَيَاتِهِ ظَهَرَتْ فِيهِ خِصَالٌ لَمْ تَكُنْ مَأْلُوفَةً فِي شَبَابِ قُرَيْشٍ ، فَهُوَ شَدِيدُ النَّفْرَةِ مِنَ اللَّهْوِ ، وشَدِيدُ النَّفْرَةِ مِنَ اللَّغْوِ أَيْضًا ، وَهُوَ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ التَّكَلُّفِ ، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَى الإِسْمَاحِ وَالْيُسْرِ . وَهُوَ أَبْغَضُ النَّاسِ لِهَذِهِ الأَوْثَانِ الَّتِي كَانَ قَوْمُهُ يَعْبُدُونَهَا مُخْلِصِينَ ، أَوْ مُتَكَلِّفِينَ ،

وَهُوَ أَصْدَقُ النَّاسِ إِذَا تَكَلَّمَ ، وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَامَلَ ، وَأَبْعَدُهُمْ مِنْ كُلِّ مَا يُزْرِي بِالرَّجُلِ الْكَرِيمِ ، وَهُوَ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْصَلُ النَّاسِ لِلرَّحِمِ ، وَأَرْعَاهُمْ لِلْحَقِّ ، وَأَشَدُّهُمْ إِيثَارًا لِلْبِرِّ ، فَهُوَ يَجِدُ عَمَّهُ الَّذِي كَفَلَهُ صَبِيًّا وَيَافِعًا ، قَدْ كَثُرَ وَلَدُهُ ، وَقَلَّ مَالُهُ ، وَيُرِيدُ أَنْ يُعِينَهُ دُونَ أَنْ يُؤْذِيَهُ ، فَيَأْخُذُ مِنْهُ صَبِيَّهُ « عَلِيًّا » وَيَرُدُّ عَلَيْهِ مِنَ الْعِنَايَةِ واللُّطْف وَالْبِرّ بَعْضَ مَا أَدَّى إِلَيْهِ أَبُوهُ حِينَ كَانَ صَبِيًّا يَتِيمًا ، وَقَدْ شَاعَتْ عَنْهُ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ ، وَعُرِفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ حَتَّى أَحَبَّتْهُ قُرَيْشٌ ، وَسَمَّتْهُ « الْأَمِينَ » ، وَعَامَلَتْهُ عَلَى أَنَّه الْأَمِينُ حَقًّا .

تحليل وشرح :

1) حدد فكرة النص العامة بعد قراءتك له قراءة متمعّنة .

2) في النص ثلاثة أقسام . عيّن لكل منها فكرته الأساسية .

3) استعن بالقاموس على شرح الألفاظ الآتية :

أوسطهم ـ الموفورين ـ عائلا ـ الدّعة ـ اللغو ـ يزري ـ يافعا .

4) عمل الرسول (ﷺ) في رعي الغنم قبل شبابه . فما العمل المناسب له في شبابه ؟

5) أخبر أبو طالب ابن أخيه بخبر ، فما هو ؟ وبماذا نصحه ؟ وماذا عرض عليه ؟

6) كيف كان جواب محمد (ص) ؟ وما هو موقف خديجة (ض) ؟

7) من الذي رافقه في سفر تجارته إلى الشام ؟ وبم عاد ؟

8) كانت هذه الرحلة سببا في زواج محمد (ﷺ) من خديجة (ض) . فكيف عاش بعد زواجه ؟ وماذا أتيح له مع زوجته ؟

9) ما هي الخصال التي اتصف بها الرسول (ﷺ) في شبابه ؟

10) كيف أحسن محمد (ﷺ) إلى عمه ؟ وما معنى قول الكاتب : « ويريد أن يعينه دون أن يؤذيه » ؟

11) لماذا سمّت قريش محمدًا (ﷺ) : (الأمين) ؟

الدّراسـة الأدبيـّة والفنيـّة :

ا ـ الأفكـار :

1) إلى أي لون أدبي ينتمي هذا النص ؟

2) من التاريخ استقى الكاتب أفكاره . ففي أي قالب صاغها ؟

3) أفكار النص واضحة مترابطة . علل ذلك .

4) مارأيك في الأفكار من حيث العمق والبساطة ؟ وهل أوفت بالغرض المقصود ؟ علل حكمك .

ب ـ العاطفـة :

1) هل أثّرت فيك أفكار الكاتب ؟ ما نوع العاطفة التي تأثرت بها ؟

2) أترى عاطفة الكاتب قوية صادقة أم لا ؟ علل ماتقول .

جـ ـ الأسلـوب :

يمتاز أسلوب طه حسين بالأناقة ، وبالسلاسة والوضوح ، وهو من نوع : (السهل الممتنع) ، ألفاظه عذبة موحية بالمعاني ، وكمثال عن ذلك العبارات والكلمات التالية . (يسعى) الموحية بالنشاط في اهتمام ، وفي (شديد النفرة من اللهو) إشارة إلى نفور النبي (ص) من اللهو نفورا لاشك فيه ، لأنه معصوم من الخطإ . والكاتب لم يكتف بذكر النفور ، بل وصفه بالشدة ، ثم لاحظ أسماء التفضيل الكثيرة في الفقرة الأخيرة ؛ « أبعد الناس ... أبغض ... أوفر » فإنها كلها توحي بأن محمدا (ص) في أعلى مراتب الكمال البشري ، وذلك ماشهد له به القرآن الكريم في أوائل سورة القلم : «**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**» 4– القلم.

والاسلوب الخبري هو الغالب على النص ، لأنه يلائم السرد التاريخي والقصصي ،و غرضه الأدبي التقرير ، وكان النفي هو الغرض من الاستفهام الوارد في آخر الفقرة الثانية . « فما يمنعه أن يسلك الطريق التي ألفت قريش سلوكها ؟ »

ولم يكن الكاتب في حاجة إلى الخيال والصور ، وكان أسلوبه مباشرا في سرد الجوانب التاريخية من حياة الرسول (ص) .

أما المحسنات البديعية القليلة التي استعملها فقد زادت أسلوبه العذب رقة وجمالا ، كالجناس بين « اللهو ... اللغو » ، والطباق بين « أبعد الناس ... وأقربهم » إلى غيرهما من محسنات يمكن التعرّف عليها بسهولة .

وطه حسين من الكتاب الذين يؤثرون جمال الأسلوب وعذوبته في الدرجة الأولى دون إهمال جانب الأفكار ، وطريقته في الكتابة تمتاز باستخدامه الجمل القصيرة غالبا ، وبالإكثار من استعمال الروابط كحروف الجر والعطف ونحوها في تنوّع وَتَفَنُّن ، يبدو ذلك في مثل قوله : « ورعي الغنم قد يليق بالصبية وبأمثالهم من الذين لم يتقدم بهم الشباب » ، « خارجا في قافلتها إلى الشام يصحبه غلام لخديجة » ، كما يميل إلى الإطناب ، يتضح ذلك في : « عمه صاحب تجارة ، وقد مات أبوه تاجرا ، وجده كان صاحب تجارة أيضا » ، إذ يمكن الاستغناء عن الجمل الثلاث بقولنا : (كان أبوه وعمه وجده تجارا) ، ويلاحظ في أسلوب الكاتب تكرار متعمَّد ، يهدف إلى إشاعة نغم موسيقي خاص ، وإلى الإلحاح على المعنى ، وعلَّل النقاد هذا التكرار بأن طه حسين كان يملي ولايكتب ، فأخذت كتابته بعض خصائص الخطابة .

د ـ الأحكام والقيم :

طه حسين كاتب ناقد ، ومفكر مجدد في الأسلوب وطريقة الكتابة ، بارع في تصوير المواقف التاريخية ، كما في هذا النص الذي يخيِّل للقارئ أن ما يرويه كان مجهولا لديه ، لأنه صاغه في قالب قصصي جذاب .

وبين ثنايا النص تبدو لنا قيمة اجتماعية تتمثل في سعي النبي (ص) لكسب قوته بعرق جبينه ، وتبدو كذلك قيم خلقية في خصاله (ص) قبل البعثة ، وهي خصال دعا إليها بعد بعثته ، وكانت إرهاصا وتبشيرا بنبوته .

وهناك قيمة فنية تظهر في خصائص أسلوب الكاتب المذكورة من قبل ، والتي تأثر بها كثير من الكتاب .

تمرين كتابي :

أطنب الكاتب في الموضوع كما رأيت ، حاول أن توجز ما قاله في فقرة من إنشائك .

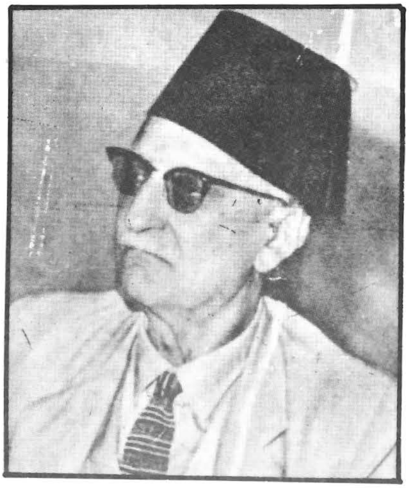
* احفظ الفقرة الأخيرة .

مقال أدبي :

كان للسيدة خديجة (ض) دور فعال في حياة الرسول (ص) ، جعله يقول في مقام المفاضلة بين نسائه : « ما أبدلني الله خيرا منها » . وضح هذا الدور مبينا أثره على الدعوة المحمدية في مراحلها الأولى ، مستعينا في ذلك بكتب السيرة .

عبقـــريٌّ
« للعقّـــاد »

تمهيـد :



عباس محمود العقاد ولد في مدينة أسوان بمصر سنة 1889 ، لم يتجاوز في تعلمه المرحلة الابتدائية ، إلا أنه نشأ عصاميا ، اعتمد على نفسه في تكوينه الثقافي بكثرة مطالعاته في مجالات المعرفة المختلفة باللغتين العربية والإنكليزية .

وعرف العقاد بحبه للحرية ، وإيمانه بأنها عماد صلاح الفرد والمجتمع وسعادتهما ، كما عرف بصلابته في الحق ، وثباته على رأيه الذي يعتقد صوابه .

عمل في وظائف حكومية ، ثم تخلى عنها ليتفرغ للصحافة والتأليف في مجالات متعددة ؛ فهو صحفي ، وكاتب وشاعر مجدد ، وباحث ناقد ، ألّف نحو مائة كتاب ، منها كتب تحليلية لشخصيات إسلامية سماها العبقريات ، كعبقرية محمد (ﷺ) وعبقرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه . توفي سنة 1964 وقد كتب تلك العبقريات ردا على حملات مسعورة على الإسلام وشخصياته ، شنها متعصبون أوربيون ، وملحدون كافرون ، فدافع عن دينه دفاعا مرتكزا على الموضوعية ، وعلى الحجة والمنطق .

ومن كتابه : عبقرية عمر نقدم لك النص التالي الذي صور فيه جانبا من جوانب عظمة عمر . وكيف كان ظهور عظمته مرتبطا بظهور الإسلام

النـص :

أ ـ « ... لَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرْيَهُ ... » كَلِمَةٌ قَالَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ لَا يَقُولُهَا إِلَّا عَظِيمٌ عُظَمَاءَ ، خُلِقَ لِسِيَاسَةِ الأُمَمِ وَقِيَادَةِ الرِّجَالِ .

ب ـ فَمِنْ عَلاَمَاتِ الْعَظَمَةِ الَّتِي تُحْيِي مَواتَ الْأُمَمِ أَنْ تَخْتَصَّ بِقُدْرَتَيْنِ لاَ تُعْهَدَانِ فِي غَيْرِهَا :

أُولَاهُمَا : أَنْ تَبْتَعِثَ كَوَامِنَ الْحَيَاةِ وَدَوَافِعَ الْعَمَلِ فِي الْأُمَّةِ بِأَسْرِهَا وَفِي رِجَالِهَا الصَّالِحِينَ لِخِدْمَتِهَا .

وَالْأُخْرَى : أَنْ تَنْفُذَ بِبَصِيرَتِهَا إِلَى أَعْمَاقِ النُّفُوسِ . فَتَعْرِفَ بِالْبَدِيهَةِ الصَّائِبَةِ وَالْوَحْيِ الصَّادِقِ فِيمَ تَكُونُ عَظَمَةُ الْعَظِيمِ . وَلِأَيِّ الْمَوَاقِفِ يَصْلُحُ . وَبِأَيِّ الْأَعْمَالِ يَضْطَلِعُ . وَمَتَى يَحِينُ أَوَانُهُ وَتَجِبُ نُدْبَتُهُ . وَمَتَى يَنْبَغِي التَّرَيُّثُ فِي أَمْرِهِ إِلَى حِينٍ

جـ ـ كِلْتَا الْقُدْرَتَيْنِ كَانَ لَهُمَا الْحَظُّ الْوَافِرُ فِي سِيرَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ . فَأَيْنَ ـ لَوْلَا الدَّعْوَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ الَّتِي بَعَثَتْ كَوَامِنَ الْعَظَمَةِ فِي أُمَّةِ الْعَرَبِ ـ كُنَّا نَسْمَعُ بِابْنِ الْخَطَّابِ ؟ وَأَيُّ مَوْضِعٍ لَهُ كَانَ مِنْ مَوَاضِعِ هَذَا التَّارِيخِ الْعَالَمِيِّ الَّذِي يَزْخَرُ بِكِبَارِ الْأَسْمَاءِ ؟

إِنَّهُ الْآنَ اسْمٌ يَقْتَرِنُ بِدَوْلَةِ الْإِسْلَامِ ، وَدَوْلَةِ الْفُرْسِ ، وَدَوْلَةِ الرُّومِ ، وَكُلِّ دَوْلَةٍ لَهَا نَصِيبٌ فِي التَّارِيخِ . فَأَيْنَ كُنَّا نَسْمَعُ بِاسْمِ عُمَرَ لَوْلَا الْبِعْثَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ؟

د ـ لَقَدْ كَانَ ـ وَلَا رَيْبَ ـ خَلِيقًا أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى مَكَانِ الزَّعَامَةِ بَيْنَ عَدِيٍّ ، آلِهِ الْأَقْرَبِينَ ، أَوْ بَيْنَ قُرَيْشٍ ، قَبِيلَتِهِ الْكُبْرَى ، ثُمَّ يَنْتَهِي شَأْنُهُ هُنَاكَ

كَمَا انْتَهَى شَأْنُ زُعَمَاءَ آخَرِينَ لَمْ نَسْمَعْ لَهُمْ بِخَبَرٍ ، لِأَنَّهُمْ ـ عَظُمُوا أَوْ لَمْ يَعْظُمُوا ـ يُعْطُونَ الْبِيئَةَ كِفَاءَ مَا تَطْلُبُ مِنْ جُهْدٍ وَدِرَايَةٍ ، وَهِيَ تَطْلُبُ مِنْهُمْ مَا يُذْكَرُونَ بِهِ فِي بِيئَتِهِمْ ، وَلَكِنَّهَا لَا تَطْلُبُ مِنْهُمْ مَا يُذْكَرُونَ بِهِ فِي أَقْطَارِ الْعَالَمِ الْبَعِيدِ .

وَقَدْ كَانَ عُمَرُ قَوِيَّ النَّفْسِ بَالِغًا فِي الْقُوَّةِ النَّفْسِيَّةِ ، وَلَكِنَّهُ عَلَى قُوَّتِهِ الْبَالِغَةِ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَصْحَابِ الطَّمَعِ وَالِاقْتِحَامِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَنْدَفِعُونَ إِلَى الْغَلَبَةِ وَالتَّوَسُّعِ فِي الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ بِغَيْرِ دَافِعٍ يَحْفِزُهُ إِلَيْهِ وَهُوَ كَارِهٌ ، لِأَنَّهُ كَانَ مَفْطُورًا عَلَى الْعَدْلِ وَإِعْطَاءِ الْحُقُوقِ ، وَالْتِزَامِ الْحُرُمَاتِ مَا الْتَزَمَهَا النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ ، وَكَانَ مِنَ الْجَائِزِ أَنْ يُهَيِّجَهُ خَطَرٌ عَلَى قَبِيلَتِهِ أَوْ عَلَى الْحِجَازِ وَمَحَارِمِهِ الْمُقَدَّسَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَيَنْبَرِي لِدَفْعِهِ ، وَيُبْلِي فِي ذَلِكَ بَلَاءً يَتَسَامَعُ بِهِ الْعَرَبُ فِي جِيلِهِ وَبَعْدَ جِيلِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَعْدُو ذَلِكَ النِّطَاقَ ، وَلَا هُوَ يُبَالِي أَنْ يُمْعِنَ فِي بَلَائِهِ حَتَّى يَعْدُوَهُ ، بَلْ كَانَ مِنَ الْجَائِزِ غَيْرُ هَذَا وَعَلَى نَقِيضِهِ .

كَانَ مِنَ الْجَائِزِ أَنْ تَفْسُدَ تِلْكَ الْقُوَّةُ بِمُعَاقَرَةِ الْخَمْرِ وَالِانْحِرَافِ ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ـ كَمَا قَالَ ـ صَاحِبَ خَمْرٍ يَشْرَبُهَا وَيُحِبُّهَا ، وَهِيَ مُوبِقَةٌ لَا تُؤْمَنُ حَتَّى عَلَى الْأَقْوِيَاءِ إِذَا أَدْمَنُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا مِنْ زَوَاجِرِ الدِّينِ أَوِ الْحَوَادِثِ مَا يَصْرِفُهُمْ عَنْهَا ، وَيَكُفُّهُمْ عَنِ الْإِفْرَاطِ فِي مُعَاطَاتِهَا .

فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ-الَّذِي عَرَفَهُ تَارِيخُ الْعَالَمِ ـ وَلِيدُ الدَّعْوَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ دُونَ سِوَاهَا بِهَا عُرِفَ ، وَبِغَيْرِهَا لَمْ يَكُنْ لِيُعْرَفَ فِي غَيْرِ الْحِجَازِ أَوْ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

تحليـل وشـرح :

افتتح العقاد كتابه عن عبقرية عمر بهذا النص الذي تتضمن فكرته العامة : أثر الدعوة المحمدية في تكوين شخصية عمر ، وتحت هذه الفكرة تندرج أربع أفكار أساسية :

ا - إشادة الرسول (ﷺ) بعبقرية عمر (ض) .
ب - آيات العظمة التي تبني الأمم .
جـ - حظ عمر من الدعوة المحمدية .
د - شخصية عمر قبل وبعد ظهور الدعوة .

أ - [**عبقري** : عبقر : واد في شبه الجزيرة . تزعم العرب أن الجن تسكنه . وينسب إليه كل عظيم فريد من نوعه . وهنا بمعنى امتلاك الإبداع والحزم - **يفري** : من فرى الجلد ، قطعه لإصلاحه . وفرى الفريّ : أتى بالعجب . وهنا بمعنى التفرُّد في الإبداع والحزم] .

استهل الكاتب النص في قسمه الأول بما قاله الرسول (ﷺ) في عمر ، من أنه حكيم ، حازم صارم ، يضع الحل المحدد لكل مشكلة تعترضه ، وهو في هذه الصفة حائز قصب السبق ، لايبلغ غيره من العباقرة مبلغه بعد النبي (ص) ، وحسبك برهانا على ذلك شهادة أعظم العظماء في السياسة وقيادة الرجال ، محمد بن عبد الله (ص) .

ب - [**موات الأمم** : الأمم التي لاحياة فيها - **تُعهدان** : تُعلمان - **كوامن** : جمع كامن : مخفًى ومستتر - **بأسرها** : بأجمعها - **تنفذ** : تخترق - **البديهة** : سداد الرأي عند المفاجأة وبدون إعمال فكر - **يضطلع بالأمر** : ينهض به - **التريث** : التمهل .]

وفي القسم الثاني يرى العقاد أن إحياء أمة ما في حاجة إلى عبقرية عظمى مثل عبقرية الرسول (ص) ، ومن علامات تلك العظمة أمران :

أولهما : القدرة على البحث والتغيير الشاملين ، وإنهاض عزائم أفراد الأمة ، ولا سيما الموهوبين منهم ، كي يتحولوا إلى طاقة حية نشيطة .

ثانيهما : موهبة ومقدرة العبقري العظيم على فهم طبائع الناس بالبداهة ، أو عن طريق الإلهام ، فيجعل كل شخص في موضعه المناسب له ، والذي يمكن أن ينتج وينجح فيه ، مع قدرته على اختيار الوقت الملائم لإسناد المهمات له ، لينهض بها على أحسن وجه وأكمله .

جـ - [**يزخرُ** : يمتلئ .]

وفي القسم الثالث يشرح الكاتب وجود الشرطين السابقين في تكوين شخصية عمر ، إن القدرة على إحياء الأمة متوفرة في الرسول (ص) ، كما أُلْهِم فهم طبائع

الناس ، فكان يضع كُلاً ، حسب موهبته ، في الموضع المناسب له ، ومن هنا برزت عبقرية عمر ، فلولا الدعوة المحمدية ماسمع التاريخ باسمه المقرون بدولة الإسلام ودولتي الفرس والروم ، وكل دولة ذات شأن في التاريخ .

د ـ [**لاريب** : لاشك ـ **خليقا** : حقيقا وأهلا ـ **كفاء** ماتطلب : بقدر ماتطلب ـ **يحفزه** : يدفعه ـ **مفطورا** : مطبوعا ـ **ينبري** : يتصدى ـ **يبلي** : من أبلى بلاء : اختبره ، وهنا بمعنى إظهار البأس وبذل الجهد ـ **لايعدو** ذلك **النطاق** : لايتجاوز ذلك المجال ـ **يمعن** : يبالغ وهنا بمعنى يستمر ـ **موبقة** : مفسدة ـ **زواجر** : جمع زاجر ، رادع ومانع .]

شرح العقاد في القسم الأخير مواهب شخصية عمر التي يمكن بها أن يصبح زعيما في قومه أو على قريش كلها ، إلا أنه لايصل إلى ما وصل إليه لولا الدعوة المحمدية التي جعلته شخصية عالمية .

وتلك المواهب تتمثل في ميله الطبيعي إلى العدل ، والتزام الحرمات ما التزمها الناس ، لكن من غير رغبة في الطموح والاندفاع ، مالم يُدفَع إلى ذلك لضرورة ما ، كالإغارة على قبيلته فيتصدى للدفاع عنها ، وينتصر على الأعداء ، فيشتهر بين الناس في زمانه أو بعد زمانه ، لكنه لايتجاوز بشهرته تلك إلى أن يصبح خليفة على أقطار عديدة ، أو أن يكون مؤسس دولة اقترن ظهورها الحقيقي في التاريخ بالفاروق عمر .

وبالإضافة إلى هذا فإن عمر كان ممن يشرب الخمر في الجاهلية . والخمر تهلك وتفسد شاربها . وكان من الممكن أن يُعطِّل إدمانها تلك القوة النفسية التي عرف بها . إذن فعبقرية عمر . بلا شك . وليدة الدعوة المحمدية . لولاها لم يكن له ذكر خارج شبه الجزيرة العربية .

الدّراسة الأدبيّة والفنيّة :

أ ـ الأفكار :

غرض الكاتب في تراجم عظماء الإسلام ، عموما ، هو إحياء التاريخ الإسلامي الصحيح . وذلك بنشر أفكارهم وإظهار جوانب عظمتهم ، كي يكونوا قدوة للناس عامة ، وللشباب خاصة ، لحماية أفكارهم من خطر تيارات المستشرقين المغرضين

والملحدين الذين يشككون في الإسلام ورجاله : « **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** » [1]

وأدب التراجم والسير قديم في الثقافة الإسلامية ، لكنه في عصرنا تطور في طريقة كتابته والهدف منه ، ولذا نرى في تلك الطريقة تجديدا متأثرا بمناهج البحث في العصر الحديث ، وبالعلوم المستحدثة كعلم النفس وعلم الاجتماع .

أفكار النص واضحة في أغلبها ، لكن لاتدرك معانيها القريبة والبعيدة إلا بعد تأمل وإمعان ، ويعود ذلك إلى تغليب الكاتب جانب الاهتمام بالفكرة أكثر من الاهتمام بالأسلوب ، ولا يعود الغموض أحيانا إلى قلق في التعبير ، أو غرابة في الألفاظ . يقول العقاد عن صعوبة الفهم عنه فيما يكتب : « أنا لا أكون مروحة للكسالى النائمين » ، وهذا عكس مارأيت عند طه حسين .

والكاتب بارع في تحليل الموضوع وترتيب أفكاره ، مع اتباع الأسلوب المنطقي في المعالجة ؛ فقد استهل كلامه بشهادة النبي (ص) في عمر (ض) ، ليدخل في تحليل الموضوع ، فيبين صفتين من صفات الرسول هما من علامات العظمة التي بها تحيا الأمم ، وتُبنى الحضارات ، ويُرْدِف ذلك بحظ عمر من الدعوة المحمدية ، وينتقل بعدها إلى شرح صفات عمر قبل البعثة المحمدية ليستنتج من ذلك أن عظمة عمر وليدة ظهور هذه الدعوة . ولولاها لكان كسائر أفراد قومه في الجاهلية ، وهذا الأسلوب المنطقي ، وذلك التحليل جعلا أفكاره شديدة التلاحم والانسجام ، والكاتب في كل ذلك ملتزم بالموضوعية فيما يصدر من أحكام ، بعيد عن التحيُّز للعاطفة الدينية .

ب ـ العاطفــة :

رغم أن العقاد ، في معالجة موضوعه ، اتبع المنهج العلمي الموضوعي المبني على حقائق تاريخية ، فإننا نشعر في ثنايا النص بعاطفة التقدير والإعجاب بشخصية عظيم العظماء محمد (ﷺ) وبشخصية عمر تلميذه الممتاز ، وصِدْق هذه العاطفة يدل عليه الإلحاح والتأكيد على إبراز الفكرة ومناقشتها لإقناع القارئ والتأثير فيه .

(1) الآية (8) من سورة الصف .

جـ ـ الأسلـوب :

1) يبدو في النص الاهتمام بالفكرة أكثر من الاهتمام بالأسلوب ، فما رأيك في الأسلوب من حيث الوضوح وسلامة التركيب ؟
2) أترى أسلوب الكاتب قريبا من الأسلوب العلمي أم قريبا من الأسلوب الأدبي ؟ علل حكمك .
3) عبارات النص محكمة النسج ، وألفاظه قوية . علل هذا ، واذكر أمثلة عنه .
4) الأسلوب الخبري هوالغالب على النص . ايت بمثالين من الفقرة الأخيرة ، واذكر غرضهما الأدبي .
5) في الفقرة الثالثة أسلوب إنشائي . بين نوعه ، واذكر غرضه الأدبي .
6) استعمل الكاتب أساليب قصر كثيرة للتأكيد . اختر منها واحدا ، واذكر طريقته .
7) لماذ كان الأسلوب مباشرا من غير صور ولامحسنات ؟
8) لماذا يشعر القارئ بصعوبة فهم أسلوب العقاد ؟

د ـ الأحكـام والقيـم :

1 ـ في هذا النص يبدو العقاد موضوعيا ، وذا غيرة على دينه ، ويحب الخير لأمته . استعن بما ورد في النص ودراسته لتعليل هذه الأحكام .
2 ـ للعقاد منهجية خاصة في كتابته . حاول أن تستخلص أهم ما يميز كتابته فكرا وأسلوبا .

* احفظ الفقرتين الأوليين .

مقال أدبي :

في حياة الفاروق عمر (رضي الله عنه) مواقفُ خالدةٌ ، تشهد على عدله . تخيَّر موقفا منها وصوّره بأسلوبك ، مستعينا بمعلوماتك التاريخية .

فَلسَفَتِي فِي العَمَل
للعقَّـاد

... وَفَلْسَفَتِي فِي الْعَمَلِ تَتَلَخَّصُ فِي أُصُولٍ ثَلَاثَةٍ هِيَ : قِيمَةُ الْعَمَلِ فِيهِ ، وَقِيمَةُ الْعَمَلِ فِي بَوَاعِثِهِ لَا غَايَاتِهِ ، وَأَسَاسُ الْعَمَلِ كُلِّهُ نِظَامٌ .

فَإِذَا عَمِلْتَ شَيْئًا لَهُ قِيمَتُهُ ، فَثِقْ أَنَّهَا قِيمَةٌ مَحْفُوظَةٌ لَا يُنْقِصُ مِنْهَا قَوْلُ مُنْكِرٍ ، وَلَا يَزِيدُ فِيهَا قَوْلُ مُعْتَرِفٍ .

وَقَدْ دَرَجَ النَّاسُ عَلَى النَّظَرِ إِلَى غَايَاتِ الْأَعْمَالِ حَتَّى أَوْشَكُوا أَنْ يَجْهَلُوا بَوَاعِثَهَا أَوْ يَغْفُلُوا عَنْهَا .

وَالْحَقُّ أَنَّ الْغَايَةَ تَأْتِي بَعْدَ الْعَمَلِ ، وَالْبَاعِثُ يَأْتِي قَبْلَهُ ، وَاخْتِلَافُ الْبَوَاعِثِ هُوَ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَى اخْتِلَافِ الْغَايَاتِ ؛ فَالنَّاسُ يَخْتَلِفُونَ فِي طَلَبِ الْمَجْدِ حِينَ يَطْلُبُهُ أَحَدُهُمْ فِي الرِّئَاسَةِ ، وَيَطْلُبُهُ غَيْرُهُ فِي الْعِلْمِ ، وَيَطْلُبُهُ غَيْرُهُمَا فِي الثَّرْوَةِ ، وَيَطْلُبُهُ آخَرُونَ فِي الْإِيمَانِ .

وَإِنَّمَا اخْتَلَفَتْ غَايَاتُهُمْ لِاخْتِلَافِ بَوَاعِثِهِمْ ، فَمَا يَبْعَثُ هَذَا إِلَى الْعَمَلِ لَا يَبْعَثُ ذَاكَ ، وَمَا يَزْهَدُ فِيهِ بَعْضُهُمْ يَتَنَاحَرُ عَلَيْهِ غَيْرُ الزَّاهِدِينَ فِيهِ .

فَعَوِّلْ عَلَى صِحَّةِ الْبَاعِثِ لَكَ عَلَى الْعَمَلِ قَبْلَ التَّعْوِيلِ عَلَى صِحَّةِ الْغَايَةِ ؛ لِأَنَّكَ إِذَا أَصْدَرْتَ عَنْ بَاعِثٍ صَحِيحٍ هَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَفُوتَكَ الْغَايَةُ الْمَرْجُوَّةُ ، وَعَمِلْتَ مَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلَهُ ، وَبَقِيَ عَمَلُ الزَّمَنِ أَوْ عَمَلُ الْأَقْدَارِ .

وَأَصْعَبُ الْأَعْمَالِ سَهْلٌ مَعَ النِّظَامِ . وَالْعَمَلُ الْكَثِيرُ مُسْتَطَاعٌ إِذَا نِيطَ كُلُّ عَمَلٍ بِوَقْتِهِ ، لِأَنَّ حُكْمَ الْأَعْمَالِ الْكَثِيرَةِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ حُكْمُ الْعَمَلِ الْوَاحِدِ ، مَادَامَ لَهُ وَقْتٌ لَا يَشْتَرِكُ مَعَهُ فِيهِ عَمَلٌ آخَرُ .

وَشِعَارِي مَعَ النِّظَامِ كَلِمَتَانِ : «لَا تَرْتَبِكْ» .

وَإِنَّمَا تَأْتِي الرَّبْكَةُ مِنَ الْمُفَاجَأَةِ الَّتِي تَطْرَأُ عَلَى نِظَامٍ فَتُلْجِئُكَ إِلَى التَّغْيِيرِ . فَلاَ تُغَيِّرْ نِظَامًا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ .

وَإِذَا حَلَّتِ الضَّرُورَةُ فَلَا تَتَرَدَّدْ فِي تَغْيِيرِهِ ، وَخُذْ بَيْنَ ذَلِكَ بِالْمُهِمِّ فِي وَقْتِهِ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ التَّأْجِيلَ .

فَصَوَابُ هَذِهِ الْخُطَّةِ ثَابِتٌ لَاشَكَّ فِيهِ ، وَهِيَ أَنَّهَا كُلُّ مَا يُسْتَطَاعُ ، وَخَيْرُ مَا يُسْتَطَاعُ ، وَأَنَّكَ بِهَا تَعْمَلُ شَيْئًا ، وَبِالتَّرَدُّدِ لَا تَنْتَهِي إِلَى عَمَلِ شَيْءٍ .

المطلـوب :

حلل النص تحليلا أدبيا معتمدا على العناصر التالية :

1 ـ تحليل وشرح .

2 ـ نقد الأفكار وبيان العاطفة .

3 ـ نقد الأسلوب وذكر الأحكام والقيم .



107 الأنبياء

حيــاتي

« لأحمد أمــين »



تمهيــد :

وُلد أحمد أمين في القاهرة سنة 1886 في أسرة محافظة تتمتع بقدر كبير من العلم والمعرفة .

التحق بالمدرسة الابتدائية ثم بالأزهر ، ثم بمدرسة القضاء الشرعي التي نال منها شهادة العالمية سنة 1911 .

اشتغل قاضيا ، ثم مدرسا بمدرسة القضاء الشرعي التي تخرج منها ، ثم عُيّن مُدَرّسا ، فأستاذًا بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، ثُمّ عميدًا لها . كما عُيّن بعد ذلك مستشارًا للثقافة فمستشارًا لوزارة التربية والتعليم . وفي سنة 1946 عين مديرًا للإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

وقد كانت حياة أحمد أمين نموذجا للنشاط الدّؤوب والعمل المفيد . فبالإضافة إلى نشاطه الإداري والتعليمي ، كان ينكبّ على البحث والتأليف . فجاء إنتاجه غزيرًا متنوعًا نذكر منه سلسلة (فجر الإسلام) و (ضحى الإســلام) و (ظهــر الإســلام) . و (قصة الأدب في العالم) ، وكتاب (فيض الخاطر) ، وهو عبارة عن مقالات متنوعة نشرها في الصحافة . وكتاب (حياتي) وهو من نوع السيرة الذاتية . ومنه اقْتُطِف هذا النص الذي يتحدث فيه الكاتب عن تتلمذه في المرحلة الابتدائية :

النـص :

... وَقَدْ وَضَعَ لِي أَبِي بَرْنَامجًا مُرْهِقًا لَا أَدْرِي كَيْفَ احْتَمَلْتُهُ ، كَانَ يُوقِظُنِي فِي الْفَجْرِ فَأُصَلِّي مَعَهُ ، ثُمَّ أَقْرَأُ جُزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ وَأَحْفَظُ مَتْنًا مِنَ الْمُتُونِ الْأَزْهَرِيَّةِ كَأَلْفِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ فِي النَّحْوِ ، حَتَّى إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ أَفْطَرْتُ وَلَبِسْتُ مَلَابِسِي وَذَهَبْتُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ أَحْضُرُ دُرُوسَهَا إِلَى ٱلظُّهْرِ . وَفِي فُسْحَةِ الظُّهْرِ أَتَغَدَّى فِي الْمَدْرَسَةِ عَلَى عَجَلٍ ، وَأَذْهَبُ إِلَى كُتَّابٍ ـ بِمَسْجِدِ «شَيْخُونَ» ـ قَرِيبٍ مِنَ الْمَدْرَسَةِ . وَقَدِ اتَّفَقَ أَبِي مَعَ فَقِيهِ الْكُتَّابِ أَنْ يَسْمَعَ مِنِّي جُزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ ، حَتَّى إِذَا مَا أَتْمَمْتُهُ سَمِعْتُ جَرَسَ الْمَدْرَسَةِ ، فَذَهَبْتُ إِلَى الْفَصْلِ . ثُمَّ أَحْضُرُ حِصَصَ الْمَدْرَسَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ ، فَإِذَا دَقَّ الْجَرَسُ النِّهَائِيُّ ، خَرَجْتُ إِلَى ٱلْبَيْتِ ، وَخَلَعْتُ مَلَابِسِي ٱلْمَدْرَسِيَّةَ وَلَبِسْتُ جِلْبَاباً وَذَهَبْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ الَّذِي أَبِي إِمَامُهُ ، فَمَكَثْتُ مَعَهُ مِنْ قُبَيْلِ الْمَغْرِبِ حَتَّى يُصَلِّيَ الْعِشَاءَ أَسْتَمِعُ لِدَرْسِهِ الَّذِي يُلْقِيهِ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ والْعِشَاءِ ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ ، وَفِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ يُحَفِّظُنِي بَيْتًا مِنَ الشِّعْرِ أَوْ بَيْتَيْنِ ، ثُمَّ يَسْأَلُنِي إِعْرَابَهُ فَأُعْرِبُهُ ، وَيُصَحِّحُ لِي خَطَئِي ، كُلُّ ذَلِكَ وَنَحْنُ سَائِرَانِ فِي الطَّرِيقِ ، ثُمَّ أَتَعَشَّى وَأَنَامُ .

وَهُوَ بَرْنَامَجٌ غَرِيبٌ مُتَنَاقِضُ الِاتِّجَاهِ ، سَبَبُهُ أَنَّ أَبِي كَانَ حَائِرًا فِي مُسْتَقْبَلِي ، أَيُوَجِّهُنِي إِلَى الْجِهَةِ الدِّينِيَّةِ فَيُعِدُّنِي لِلْأَزْهَرِ ، أَوْ يُوَجِّهُنِي الْوِجْهَةَ الْمَدَنِيَّةَ فَيُعَلِّمُنِي فِي الْمَدْرَسَةِ الِابْتِدَائِيَّةِ وَالثَّانَوِيَّةِ ، وَكُنْتُ أُدْرِكُ حَيْرَتَهُ مِنْ كَثْرَةِ اسْتِشَارَتِهِ لِمَنْ يَتَوَسَّمُ فِيهِ حُسْنَ الرَّأْيِ ، وَهُمْ لَا يُنْقِذُونَهُ مِنْ حَيْرَتِهِ ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يُشِيرُ بِهَذَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُشِيرُ بِذَاكَ ، فَأَمْسَكَ الْعَصَا مِنْ وَسَطِهَا ، فَكَانَ يُعِدُّنِي لِلْأَزْهَرِ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ وَالْمُتُونِ ، وَيُعِدُّنِي لِلْمَدَارِسِ الْمَدَنِيَّةِ بِدِرَاسَتِي فِي الْمَدْرَسَةِ ، وَهَذَا أَسْوَأُ حَلٍّ ، وَلَكِنْ جَزَاهُ اللَّهُ خَيْراً عَلَى تَعَبِهِ الْمُضْنِي فِي التَّفْكِيرِ فِي مُسْتَقْبَلِي .

كَانَ هَذَا الضَّغْطُ الشَّدِيدُ مَثَارًا لِثَوْرَتِي أَحْيَانًا ، فَرُبَّمَا كُنْتُ أَهْرُبُ مِنْ فَقِيهِ الْمَكْتَبِ ظُهْرًا ، أَوْ مِنَ ٱلذَّهَابِ إِلَى أَبِي عَصْرًا ، أَوْ أَدَّعِي ٱلْمَرَضَ وَلَيْسَ بِي مَرَضٌ ، وَلَكِنْ إِذَا اكْتَشَفَ هَذَا كَانَ جَزَاؤُهُ الضَّرْبَ الشَّدِيدَ . فَتَخْمُدُ ثَوْرَتِي ، وَلَقَدْ جَرَّبَتْ أُمِّي حَظَّهَا ، فَكَانَتْ تَتَدَخَّلُ فِي الْأَمْرِ حِينَ يَضْرِبُنِي ، وَلَكِنَّهَا رَأتْ أَنَّهَا إِنْ تَدَخَّلَتْ حِينَ هَذَا الْغَضَبِ الشَّدِيدِ وَالضَّرْبِ ٱلشَّدِيدِ ، فَقَدْ يَتَحَوَّلَانِ إِلَيْهَا ، فَكَانَ إِذَا حَدَثَ هَذَا فِيمَا بَعْدُ اكْتَفَتْ بِالصُّرَاخِ وَالْعَوِيلِ مِنْ بَعِيدٍ .

تَعَلَّمْتُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ دُرُوسَهَا ، وَتَعَلَّمْتُ مِنَ التَّجَارِبِ أَكْثَرَ مِنْ دُرُوسِهَا ، فَلَعِبِي مَعَ التَّلَامِيذِ وَمُبَادَلَتِي إِيَّاهُمُ الْعَوَاطِفَ وَرُؤْيَتِي إِيَّاهُمْ يَتَصَرَّفُونَ ... كُلُّ هَذِهِ كَانَتْ دُرُوسًا فِي الْحَيَاةِ أَكْبَرَ أَثَرًا مِنْ دُرُوسِ الْعِلْمِ ، بَلِ الْمُدَرِّسُونَ أَنْفُسُهُمْ كَانُوا مَعْرِضًا لَطِيفًا ، فِيهِ ٱلْجَمَالُ وَالْقُبْحُ ، وَالرُّعُونَةُ وَالسَّكِينَةُ ، وَمَا شِئْتَ مِنْ أَلْوَانِ الْحَيَاةِ .

تحليل وشرح :

1 ـ ما هي فكرة النص العامة ؟

2 ـ قسم النص إلى أفكاره الأساسية ، وصُغْ عنوانا مناسبا لكلّ منها .

3 ـ اشرح المفردات الآتية بالاستعانة بالقاموس :

متن ـ يتوسّم ـ المُضني ـ الرُّعُونة .

4 ـ فرض والد أحمد أمين على ابنه برنامجا مكثفا . لماذا فعل ذلك ؟

5 ـ يرى أحمد أمين أن في البرنامج الذي فرضه عليه والده غرابة وتناقضا . علام استند لِلْإِفْضَاءِ إلى هذا الحُكْم ؟

6 ـ ما هي محاولات أحمد أمين للفرار من ضغوط البرنامج المكثف الذي فرضه عليه أبوه ؟ وما هي نتائجها ؟

7 ـ يقول أحمد أمين إنه أخذ المعرفة من مصدرين . فما هما ؟

الدّراسـة الأدبيـّة والفنيـّة :

أ ـ الأفكـار :

1 ـ إلى أيّ نوع أدبي ينتمي هذا النص ؟

2 ـ وما هي أهداف الكاتب فيه ؟

3 ـ يقول أحمد أمين في تسويغ تأليف ترجمة حياته : «لماذا ـ إذن ـ لا أُؤَرّخ حَيَاتي لعلّها تصورُ جانبا من جوانب جيلنا ، وتصف نمطا من أنماط حياتنا ، ولعلها تفيد اليوم قارئا ، وتُعين غدا مؤرخا ...» فهل تجد هذا التعليلَ حسنا ؟ لماذا ؟

4 ـ هل قصَر أحمد أمين ـ في هذا النص ـ الكلام على نفسه ؟

5 ـ اعتمد الكاتب على أساليب التعبير الآتية : الحكاية والسرد والوصف والتعليل والتقرير . فما الذي دعاه إلى ذلك ؟

6 ـ هات مثالاً لكل أسلوب من الأساليب المذكورة في السؤال السابق .

ب ـ العاطفـة :

عاطفة الكاتب في هذا النّص فاترة هادئة لا يكاد يلمسها القارئ إلاّ في القليل من العبارات مثل : (جزاه الله خيرا على تعبه المضني في التفكير في مستقبلي) . فالعاطفة المتجلية فيها هي عاطفة الامتنان والتقدير . فما العاطفة التي نلمسها في الجملة الآتية : (كُنْتُ أدْرِكُ حَيْرَتَهُ من كثرة استشارته لمن يَتَوَسَّمُ فِيهِ حسن الرَّأْي) .

جـ ـ الأسلـوب :

1 ـ قِيل عن أحمد أمين : «إنّه لا يتأنّق في أسلوبه» . فهل تؤيد هذا الحكم ؟ ولماذا ؟

2 ـ كيف تجد ألفاظ النّص وعباراته من حيث السهولة والوضوح ؟

3 ـ ما الأسلوب الغالب على النص ؟ ولماذا ؟

4 ـ ما الغرض الأدبي في العبارة الآتية : (جزاه الله خيرا على تعبه المضني في التفكير في مستقبلي) .

5 ـ اشرح الصورة البيانية الآتية : (أمسك العصا من وَسَطِهَا) .

د ـ القيــم والأحكــام :

1 ـ يعكس النص بعض ملامح البيئة التي عاش فيها أحمد أمين. عدِّدْها .

2 ـ في النص ملامح شخصيات متعددة . فكيف تجد أبا أحمد أمين ؟

3 ـ كان العلم زمنَ طفولة أحمد أمين مطلبًا عزيزًا . ففيم يتجلّى ذلك ؟

5 ـ إلى أيّ حَدٍّ يعكسُ هذا النص تخلص النثر العربي ـ في العصر الحديث ـ من التكلف ؟



تطوّر أدب التّراجم والسّيَر وخصائصه

- تمهيـد :

عُني العرب والمسلمون بكتابة تراجم مشاهير الرجال عناية بالغة ، واحتفوا بوضع السير المطولة احتفاء لا نظير له . لقد بلغت السير والتراجم العربية . من حيث كثرتُها . وافتنانها في ترتيب الأعلام . وَضَبْطِ أسمائهم . وتحقيق أنسابهم . وذكر مصادر أخبارهم . حدًّا فاقت فيه السير والتراجم . في الآداب الأجنبية . قديما وحديثا .

أولـى السيَـر العربيـة :

لقد كانت سيرةُ رسول الله محمد(ﷺ) أُولى السّير وأَوْلَاها باهتمام الكُتّاب والمؤرخين ، فقد عكفوا عليها يستقصون أخبارها ، ويدونون أحداثها ، ويُظهرون من تفاصيلها ما يجد فيه المسلمون الأسْوة الحسنة والقدوة الطيبة ، ويُفِيضُون فيها من نواحٍ عدّة ، فمنهم من يفيض في الحديث عن غزواته ، ومنهم من يُطيل القول في شمائله ، ومنهم من يجعل من السيرة النبوية محورًا تدور حوله أحداث التاريخ الإسلامي ، وأعمال رجاله وصانعيه الأولين .

وأشهرُ سِيرَ النبي القديمة سيرةُ عبد الملك بن هشام المتوفى (سنة 213 هـ) المسماة بِـ : (سيرة الرسول) ، وسيرة ابن سعد المتوفى سنة (230هـ) المسماة بـ : (الطبقات الكبرى) .

الكتابـة في سيـر الأعـلام :

ولم يقتصر كُتّابُ السير على النبي ﷺ ، ففي القرن الثالث الهجري ألّف أحمد بن يوسف بن الدّاية «سيرة أحمد بن طولون» ، وفي مطلع القرن الخامس الهجري صنّف أبو النّصر العتبي المتوفى سنة 427 هـ كتابًا في سيرة السلطان محمود الغَزْنَوي ، الذي نشر راية الإسلام في الهند ، سَمّاه «اليَمِينيّ»[1] ، وفي القرن السادس الهجري وضع ابن

1) نسبة إلى (يَمِين الدولة) وهو لقب السلطان محمود .

الجَوزِي سِيَرَ عدة عظماء تاريخ الإسلام ـ مثل عمر بن الخطاب ـ وعمر بن عبد العزيز ، وأحمد بن حنبل .

التراجــم الأدبيــة :

وعُنِي الأدباء والمؤرخون بتراجم وسير مشاهير الأعْيَانِ والوُجَهَاء من الرجال والنِّساء ، فترجموا للفُقَهَاء والمُفَسِّرِين والمُحَدِّثِين والقضَاة والنُّحاة والفلاسفة والأطباء والأدباء .

وكان لبعض المترجمين للشعراء غاياتٌ علْميةٌ وأدبية ؛ فابن قُتيْبة يقول في كتابه «الشعر والشعراء» الذي ترجم فيه لِـ 206 شاعر ـ إن كتابه : «يحتوي على تراجم المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جُلُّ أهل الأدب ـ والّذي يَقَعُ الاحْتِجَاج بأشعارهم ، في الغريب ، وفي النحو ، وفي كتاب اللّه عَزّوجَلّ ـ وحديث رسول اللّه (ﷺ) » .

وكان كِتاب «طَبَقَات فُحُول الشعراء» لابن سلام الجُمَحِي المتوفّى سنة 231 هـ من الكتب الأولى المُصَنَّفَة في تراجم الشعراء والأدباء . ثم تَبِعَتْهُ كتبٌ عدة أشهرها كتاب «الأغاني» لأبي الفَرَجِ الأَصْفَهَاني المتوفى سنة 356 هـ ـ وكتاب «يَتِيمَة الدَّهْر» للثَّعالِبِي المتوفى سنة 429 هـ وغيرها .

وتختلف التراجم من حيث الطّول والقِصرُ ـ تَبَعًا لاعتبارات يعود بعضُها إلى ثقافة المُتَرْجِم ، والبعض الآخر إلى أهمية المترجَمِ لَهُ ـ وغزارة المادة المتصلة به .

الموضوعيــة والتمحيــص :

عُنِي المؤرخون وكتاب السير والتراجم خاصّة بالتمحيص والتدقيق ـ فقد حرص الكثير منهم على إيراد أَسَانيد أخبارهم ومصَادرِها . لكن المتأخّرين منهم اضطروا إلى إسقاط هذه الأسانيد مراعاة للاختصار من ناحية ـ ووصلاً لسلسلة الحوادث من ناحية أخرى .

وقد التزم جُلُّهم بمبدإ الموضوعية ـ بل من المؤرخين من دعا إلى التَّقَيُّد بالحقيقة تقيدا صارمًا ، والتزام الإنصاف التزاما كاملاً ـ وتجنُّب الهوى ـ ومايترتب عنه من مغالاة في مدحٍ أو مبالغة في ذمّ .

وقد عمل كثير منهم على معارضة الروايات بعضها ببعض للوصول إلى الحقيقة .

وقد ازدهرت الكتابة في السير والتراجم فيما بين نهاية القرن الثاني الهجري والقرن العاشر ، ثم عرفت مرحلة من الركود .

أدب التراجم والسّير في العصر الحديث :

وفي مطلع القرن العشرين ظهرت طائفه من الكتاب ، حملت على عاتقها مسؤولية تطوير فن التراجم والسّير ، وبفضل جهودها لم يعد هذا الفن نَقْلاً للروايات ، وجَمْعًا للأخبار ، واستقصاء للمعارف ، في غير تبويب ، ولا تحليل ولا تركيب . وإنّما أصبح فنًّا لَهُ قواعدهُ وضَوَابِطُه .

وقد رأى كتاب التراجم في العصر الحديث أن العِبْرة ليست في جمع الأخبار عن المترجَم لَهُ ، ولكن المهم هو عرضُها في حُلَّة أنيقة ، والمواءمة بينها في فَنّ وحِذْق ، وتحليلها وَفق ما توصلت إليه العلوم الحديثة لتسليط الضوء على الجوانب الخفية من حياة المُتَرْجَم له ، ممّا لم يشر إليه النص .

ولقد ظهر هذا التحوّل في السير والتراجم المُصَنَّفَة في الثلث الثاني من القرن العشرين . فقد ألّف كلٌّ من محمد حسين هيكل وعباس محمود العقاد في سِيَرِ محمد (ﷺ) وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

وأخذت شخصيات التاريخ من الصحابة والتابعين والخلفاء والقَادَة والملوك والوُلاَة والعلماء والأدباء تُكتب بأقلام جديدة ، تستمد حقائق التاريخ من قديم المصادر ، وعتيق المراجع ، ولكنها تعرضها في طَبَق شَهِيّ ، وتحللها على أضواء من علم النفس ، وتبين في ذكاء ، أثرها في البيئة التي أخرجتها ، وأثر البيئة فيها ، وتبين العوامل الفاعلة المشتركة بين المترجم له وعصره حتّى يتضح أثر كلّ منهما في صَاحبه .

وقد كتب بعضُ الأدباء تراجمهم الذاتية ، مثلما فعل أحمد أمين الذي أصدر كتاباً سَمّاه « حياتي »[1] تحدّث فيه عن مراحل حياته بالتفصيل ، ابتداء من عهد الطفولة إلى عهد الكهولة . وكان طه حسين قد ألف قبله كتاب « الأيام » وتحدث فيه عن حياته في شكل قصصي جذّاب . وفعل مثل ذلك عباس محمود العقاد ، فصنف كتابا عن حياته

1) أصدر توفيق الحكيم ترجمة حياته في كتاب أطلق عليه مثل أحمد أمين اسم « حياتي » .

سمّاهُ «أنا» . وكان للعرب قديمًا محاولات في الترجمة الذّاتية ، فقد ترجم عبد الرحمن ابن خلدون لحياته بإيجاز في آخر فصل من كتابه في التاريخ .

خصائـص السيـرة والترجمـة :

أ ـ السيـرة :

لقد عرف فنّ السِّيَر تطورات متعددة عَبْر العصور . وقد انتهى الآن إلى صورة راقية ، أهم خصائصها ما يلي :

- إيرَاد الأحداث وفْقَ تسلسلها في الزمن اعتمادًا على المصادر القديمة[1] .
- نقد الأخبار بعرضها على المنطق ، وبالاستناد على حُجج متينة .
- عرض الروايات المختلفة ، إن وجدت ، وترجيح رواية على أخرى إن توافرت الأدلة الكافية لذلك .
- الاعتماد على التحليل النفسي لتفسير المواقف والتصرفات واستنباط بعض الأحكام .
- ربط تصرفات أشخاص السيرة بمحيطهم الاجتماعي والسياسي والديني لاستنتاج التّأثُّر والتّأثير .
- اعتماد النمط القَصَصي الذي يغلب عليه أسلوبُ السَّرْد ، والذي يتخلله ـ في بعض الأحيان القليلة ـ حوارٌ موجز .
- تَحَرِّي الموضوعية وتغليب العقل على العاطفة ، والتقيد الصارم بالحقيقة .

ب ـ الترجمـة :

وكما هو شأن فن السِّيرة عرف فنّ الترجمة تطوُّراتٍ متعددة انتهت به إلى صورة نُورِد فيما يلي أهم مميزاتها :

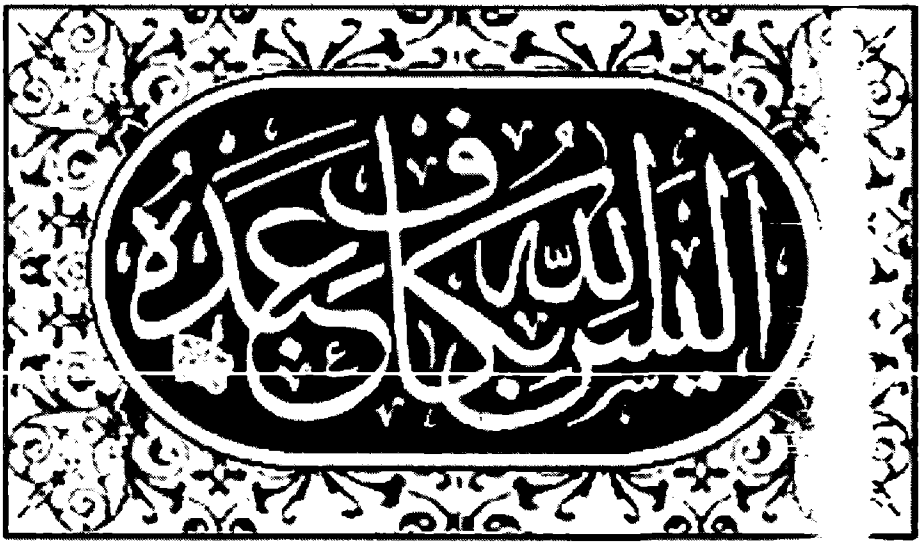
- تتناول الترجمة التعريفَ بالمترجَم لَهُ بذِكر اسمه وكُنْيته ونسبه ، ونشأته وتعلّمه ، وأهم أسفاره ، والمناصب التي شغلها ، والميدان الذي بَذّ فِيهِ أقرانه ، وأهم آثاره[2] ، ونواحي تأثيره في مُحيطه .
- تعتمد على الروايات والآثار المادية لتوكيد الأحكام الصادرة للمترجَم لَهُ ، أو علَيْه .

---

1) إذا تعلقت السيرة بشخصية من الماضي .

2) آثار المترجَم له تختلف بآختلاف وظيفته أو تخصصه ؛ فآثار الشاعر غير آثار رجل السياسة ، وآثار المصلح غير آثار قائد الجيوش ، وآثار الرسام غير آثار المعماري .

- تستعين بدراسات علم النفس والاجتماع وغيرها ، لتفسير المواقف وتسويغ السلوك ، وإبراز العواطف .
- تأتي في حُلّة جميلة في الغالب ، غير أن التراجم التي يحررها الأدباء أجود من حيث طريقة عرض الأخبار وانتقاء الفكرة والعبارة .



الفصـــل الخامـــس

القصَّــة والمسرحيَّــة

1 ـ ذهاب وإياب ـ لصبـري موسـى
2 ـ أُغنية الموت ـ لتوفيـق الحكيـم
3 ـ تطور فنّي القصة والمسرحية وخصائصهما

القصَّــة والمسرحيَّة

تعريــف :

أ ـ القصــة :

القصّة من فنون التعبير الأدبي ، تتميز بطابعها الإنساني ، وبحلتها الجمالية الأنيقة ، وباتساعها لأداء شتى الأغراض بطريقة تعتمد على **الوصف والسرد والحوار** .

ويرى النقاد أن القصة الفنية هي التي تتناول
قضايا إنسانية جوهرية ، بالتحليل الواقعي المتّسم بالعمق ، وأن القصّة غير الفنية هي التي توضع للتسلية والترفيه .

وللقصة الحديثة ثلاثة أشكال هي :

1 ـ **الروايــة** : وهي قصة طويلة قد تستغرق عدّة أجزاء ، تتناول حقبة من الزمن ، بالتعرض لحياة الناس فيها ، وبإبراز أهم الأحداث التي يخضعون لها ، ويتفاعلون معها ، فضلاً عن تصوير حيوات أبطالها ، وصراعهم فيما بينهم .

2 ـ **القصــة** : تتميز بحجمها المتوسط ، فهي تطبع في الغالب في جزء واحد تتناول حادثة رئيسية واحدة تتفاعل فيها شخصيات قليلة .

3 ـ **القصــة القصيــرة** : تتميز بقصرها ، «وتتناول شخصية مفردة ، أو حادثة مفردة ، أو عاطفة ، أو مجموعة العواطف التي أثارها موقف مفرد»[1] .

ب ـ المسرحيــة : هي نص أدبي يأتي على هيئة حوار ، يصور به الكاتب قصة مأسوية أو هزلية . ويقوم الممثلون بتمثيل النص المسرحي بقاعة المسرح ضمن إطار فني .

---

1) الأدب وفنون ـ د . عز الدين إسماعيل ، ص 200 .

ذهـــاب وإيـّــاب

لصبري موســـى

تمهيـد :

صبري موسى كاتب مصري معاصر ، من البارزين في كتابة القصة تمتاز كتاباته بالواقعية والدقة والإيجاز ، والبساطة إلى حد التعبير أحيانا بعبارات دارجة في العامية لكن ذلك لا يخرجه عن قواعد الفصحى وتراكيبها . نشر كثيرا من إنتاجه في مجلة «صباح الخير» قبل إخراجه في كتب .

وللكاتب أربع مجموعات قصصية وثلاث روايات ، كما كتب في أدب الرحلات ، ووضع حوارا وسيناريو لبعض قصصه التي أخرجت أفلاما .

اخترنا لك من إحدى مجموعاته القصصية هذه القصة التي يصور فيها وضع الإنسان الكادح في مجتمع الاستغلال .

النـص :

كَانَ «شَدْوَانُ» نَائِماً بِجَسَدِهِ ، لَكِنَّ رَأْسَهُ صَاحٍ .. الْجِسْمُ نَاءَ بِأَحْمَالِ النَّهَارِ الطَّوِيلِ الَّذِي بَدَأَ قَبْلَ أَنْ تُلْقِيَ الشَّمْسُ بِأَوَّلِ خَصْلَةٍ مِنْ شَعْرِهَا الْوَهَّاجِ عَلَى الْحُقُولِ الْمُبَلَّلَةِ ، وَعَلَى الْأَشْجَارِ وَالْجَداوِلِ والتُّرْعَة(1) الْقِبْلِيَّةِ .

الْجِسْمُ نَاءَ(2) وَتَوَرَّمَتْ عَضَلاَتُ الذِّرَاعَيْنِ ، وَأَخَذَتْ شَرَايِينُ الْفَخِذَيْنِ تَنْتَفِضُ بِحَرَكَةِ الدَّمِ صَاعِدَةً هَابِطَةً ، فَأَقْعَى(3) «شَدْوَانُ» عَلَى سَرِيرِ السَّعَفِ بَعْدَ الْعَشَاءِ ، وَعَمِلَ الْمِلْحُ وَالْبَصَلُ وَخُبْزُ الذُّرَةِ أَعْمَالَهَا ، فَتَخَدَّرَ «شَدْوَانُ» وَتَمَدَّدَ ، لَكِنَّ رَأْسَهُ بَقِيَ صَاحِيًا .

---

1) الترعة : جمعه تُرَع : القناة الواسعة للسقي أو الملاحة .

2) ناء بالحِمل : أُثقل به فسقط . 3) فأقعى : في جلوسه : جلس على أَلْيَتَيْهِ ونصب ساقيه .

لا تستطيعُ جُدرانُ الطِّين والقشّ أنْ تمنع العُواء . لا تستطيعُ حزمة الْبنات الْمنْحدرة منْ صُلْبه . الْمكوّمة في غطاءٍ قطْنيّ على الحصير الأغبر أنْ تمْنع العُواء . لا تستطيعُ زوْجتُهُ بدفْئها العطْن[1] . ورائحة الْبصل الّتي تفوحُ منْها على سرير السّعف أنْ تمْنع الْعُواء . وما كان الْعُواء صاخبا . وما كان يُشْبهُ حتّى الْعُواء ! ..

فوالدُه الْمُسنّ يعْلمُ ما يجُوزُ وما لا يجُوزُ . وهُو أيْضا خبيرٌ بالْبشر وما عليْهم منْ غطاءٍ . وفوْق هذا فليْس الْألمُ بجديد عليْه . ستُّونَ سنة تكْفي وتزيدُ كي يتدرّب على استيعاب الْألم وكتْمانه . حين لا تكُونُ هُناك فائدةٌ منْ إزْعاج الْآخرين به . لكنْ لا بأْس . بيْن الْحين والْحين . من آهةٍ هُنا .. وأنّةٍ هُناك . إنّما الْأنّاتُ إبرٌ . والْآهةُ مخْراز[2] .. إبرٌ مُدبّباتٌ . كُلُّها تُمزّقُ خدر شدْوان . وتتسلّقُ بأسْنانها على عُرْقُوبه[3] حتّى تصل إلى أذْنيْه فتثْقُبهما . فيبْقى بلا صحْو .

قال « شدْوانُ » لنفْسه : يتمنّى الشّيْخُ الْمريضُ طبيبا . لكنّهُ يخْجلُ من الإفْصاح . هذا كلامُ الابن « شدْوان » . فالْفرْخُ يهْرمُ حين تُصيبُ الْأصْل صدْمةٌ ما . لكنّ « شدْوان » الرّجُل الْمُعلّق منْ عُرْقُوبه أخذ يُفكّرُ : ما فائدةُ الطّبّ في سنّ السّتّين ؟

مُنْذُ أيّامٍ ذهب الشّيْخُ بألمه الْمُعْتاد إلى عيادة كُلّ النّاس . ووقف في الطّابور حتّى جاء دوْرُهُ . فلمْ يتّسع الْوقْتُ إلّا ليشْرح ألمهُ كاملا على مائدة الطّبيب الْعجُول . وأعْطوْهُ مزيجا يُعالجُ كُلّ الْأمْراض . عاد الشّيْخُ من الْعيادة يسْحبُ آلامهُ وكفّ عن الْوجع . لكنّ « شدْوان » كان مُتأكّدا أنّ

---

1) ألعَطن : من عطن يعطن عطنا : منتن ، 2) مخراز جمعه مخاريز : ما يُخْرَز ويثقب به .
3) عرقوبه : جمعه عَراقيب : عَصَب غليظ فوق ألعقَب .

الْأَلَمَ مَا يَزَالُ ، فالرَّجُلُ صَبُورٌ . وَصَحَّ مَا تَوَقَّعَهُ . فَالْأَلَمُ بِالْأَمْسِ أَطَلَّ وَاخْتَرَقَ نِطَاقَ الْكِتْمَانِ ، وَانْتَشَرَ فِي الدَّارِ ، فَذَهَبَ الْعَاجِزُ إِلَى عِيَادَةِ كُلِّ النَّاسِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَعَادَ بِدَوَاءِ جَمِيعِ الْأَمْرَاضِ .

وَانْقَسَمَ شَدْوَانُ عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ يُرْهِفُ أُذُنَيْهِ لِأَلَمِ أَبِيهِ . قَالَ الِابْنُ « شَدْوَانُ » لَابُدَّ لِهَذَا الْعَاجِزِ مِنْ طَبِيبٍ خَاصٍّ . فَأَجَابَ « شَدْوَانُ » الْمُعَلَّقُ مِنْ عُرْقُوبِهِ : أَسُوقُ عَلَيْكَ النَّبِيَّ[1] تَسْكُتُ ، فَمِنْ أَيْنَ لَنَا بِأَجْرِ طَبِيبٍ خَاصٍّ ! أَرَادَ شَدْوَانُ أَنْ يَنْفُضَ السُّخْطَ ، فَحَرَّكَ أَخْشَابَهُ الْمُغَطَّاةَ ، وَلَمْ تَسْتَجِبْ لَهُ إِحْدَى سَاقَيْهِ ، لِأَنَّهَا قَدْ مَاتَتْ ، فَأَخَذَ يَدْلُكُهَا لِيُعِيدَهَا إِلَى الحَيَاةِ .

وَفَوْقَ مِصْطَبَةِ الْفُرْنِ كَانَ الْأَبُ قَدْ أَطْلَقَ الْعِنَانَ لِأَلَمِهِ ، وَفِي ظَنِّهِ أَنَّ الْجَمِيعَ نِيَامٌ . وَأَخَذَتِ الإِبَرُ وَالْمَخَارِيزُ تَسْبَحُ فِي ظَلَامِ الْمَأْوَى ، تَتَخَبَّطُ فِي جُدْرَانِ الطِّينِ وَالْقَشِّ ، وَتَصْطَدِمُ بِالذُّرِّيَّةِ مُنْدَفِعَةً إِلَى سَرِيرِ السَّعَفِ لِتَثْقُبَ أُذُنَيِ الِابْنِ « شَدْوَانَ » .

قَالَ الْمُعَلَّقُ مِنْ عُرْقُوبِهِ : مِنْ أَيْنَ لَنَا أَجْرُ الطَّبِيبِ الْخَاصِّ ؟ قَالَ الِابْنُ : الْأَمْرُ لَا يَخْلُو ، مَعِي جُنَيْهَانِ ، لَهُمَا ضَرُورَةٌ ، إِي نَعَمْ .. لَكِنَّ أَبِي ضَرُورَةٌ أَيْضًا ! ! قَالَ الْمُعَلَّقُ مِنْ عُرْقُوبِهِ ؛ وَهَلْ يَصْحُو طَبِيبٌ خَاصٌّ فِي مِثْلِ تِلْكَ السَّاعَةِ ! قَالَ الِابْنُ : حِينَ نَصِلُ سَيَكُونُ قَدْ صَحَا .

نَهَضَ « شَدْوَانُ » الِابْنُ و « شَدْوَانُ » الْمُعَلَّقُ مِنْ عُرْقُوبِهِ ، وَمَشَيَا فِي جَسَدٍ مُوَحَّدٍ فَوْقَ حَزْمَةِ الذُّرِّيَّةِ إِلَى الْحَاصِلِ الْخَلْفِيِّ ، وَتَلَمَّسَا فِي ظَلَامِ الْحَاصِلِ[2] مَرْبِطَ الْحِمَارِ ، وَأَيْقَظَاهُ ، فَنَهَضَ الْحِمَارُ عَلَى قَوَائِمِهِ غَاضِبًا ، وَأَخَذَ يَنْهَقُ ، فَمَضَى « شَدْوَانُ » الْمُوَحَّدُ يَقُودُهُ خَارِجَ الْحَاصِلِ وَهُوَ يَزْجُرُهُ .

---

1) أسوق عليك النبي : عبارة عامية معناها : أتوسل إليك بالنبي .

2) الحاصل : هنا المخزن .

حَمَلَ «شَدْوَانُ» وَالِدَهُ الْمُسِنَّ خَارِجَ الْمَأْوَى وَدَثَّرَهُ[1] وَوَضَعَهُ عَلَى الْحِمَارِ بِإِحْكَامٍ ، عَلَى حِينٍ كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنْ عُرْقُوبِهِ فِي عَجَلَةِ الْحَيَاةِ ، يَرْقُبُهُ مِنْ دَاخِلِهِ ، وَكَأَنَّهُ يَسْخَرُ مِنْهُ .. لَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ نَخَسَ الْحِمَارَ بِعَصَاهُ ، فَرَاحَ يَتَحَرَّكُ مُتَكَاسِلاً ، أَدَارُوا لِلْقَرْيَةِ ظُهُورَهُمْ ، وَأَخَذُوا يَخُبُّونَ[2] عَلَى الدَّرْبِ الْمُنَدَّى ، وَيَخْتَرِقُونَ الْحُقُولَ ، وَيُزْعِجُونَ الصَّمْتَ عَلَى السِّكَكِ الْمَرْصُوفَةِ ، وَلَمْ يَكُفَّ الشَّيْخُ عَلَى إِرْسَالِ إِبَرِهِ وَمَخَارِيزِهِ . كَانَ فِي ظَنِّ شَدْوَانَ أَنَّ الْمَسِيرَةَ سَوْفَ تُغْرِقُ أَبَاهُ فِي الْأَمَلِ وَتُخَدِّرُ أَلَمَهُ ، وَلَكِنَّ السِّكَّةَ كَانَتْ طَوِيلَةً ، وَاللَّيْلَ بَارِدٌ . وَفِي الْفَجْرِ لَاحَتِ الْجِيزَةُ[3] . وَحِينَ دَخَلَهَا الْحِمَارُ بِمَنْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَرَاءَهُ ، كَانَ النَّهَارُ قَدِ اتَّضَحَ ، وَكَانَ شَدْوَانُ قَدْ بَدَأَ يَتَوَجَّعُ أَيْضًا .

كَشَفَ الطَّبِيبُ عَلَى الْمَرِيضِ بَعْدَ أَنْ دَفَعَ شَدْوَانُ فِي الْخَارِجِ جُنَيْهًا . قَالَ الطَّبِيبُ : هَذَا الشَّيْخُ بِحَاجَةٍ إِلَى عَمَلِيَّةٍ ، وَمَضَى يُؤَنِّبُ[4] شَدْوَانَ عَلَى التَّأْخِيرِ ، قَالَ شَدْوَانُ : مَا كُنَّا نَعْرِفُ ! قَالَ الطَّبِيبُ : الْآنَ عَرَفْتَ ، فَمَا رَأْيُكَ ؟ قَالَ شَدْوَانُ : اعْمَلْهَا فَوْرًا ، مَعِي جُنَيْهٌ . ضَحِكَ الطَّبِيبُ بِوَقَارٍ ، وَهُوَ يُعْلِنُ أَنَّ أَجْرَ الْعَمَلِيَّةِ عِشْرُونَ ، فَأُسْقِطَ[5] فِي يَدِ شَدْوَانَ الِابْنِ ، وَجَحَظَ قَلْبُهُ ، فَقَالَ شَدْوَانُ الْمُعَلَّقُ مِنْ عُرْقُوبِهِ ! أَسُوقُ عَلَيْكَ النَّبِيَّ ، احْمِلْ وَالِدَكَ ، وَهَيَّا عُدْ بِهِ ! !

قَالَ الطَّبِيبُ : أَنَا مُقَدِّرٌ سَأَجْعَلُهَا خَمْسَةَ عَشَرَ . احْسِمْ أَمْرَكَ ، فَلَيْسَ أَمَامَ أَبِيكَ وَقْتٌ . صَاحَ الْمُعَلَّقُ مِنْ عُرْقُوبِهِ : وَاللَّهِ يَا شَيْخُ مَا مَعَنَا شَيْءٌ . قَالَ الطَّبِيبُ : لَا ذَنْبَ عَلَيَّ ، فِي رَقَبَتِكُمْ ذَنْبُهُ ؟ قَالَ شَدْوَانُ : سَأَبِيعُ الْحِمَارَ .

1) دثره : غطاه بالدثار . وهو غطاء يدفئ في النوم .

2) يخبون : من الخَبَب : نوع من عدْو الفرس حين يراوح بين يديه ورجليه .

3) الجيزة : اسم مكان . 4) يؤنب : يلوم 5) أسقط في يده : ندم وتحيّر

قَالَ الْمُعَلَّقُ مِنْ عُرْقُوبِهِ : مَجْنُونٌ أَنْتَ ؟ ! قَالَ الْمُعَلَّقُ : لَمْ يَبْقَ مِنَ الرَّجُلِ نَفْعٌ .. قَالَ الِابْنُ : لَكِنَّهُ مَا يَزَالُ الْأَبَ ، كَمَا أَنَّ الْحِمَارَ حِمَارُهُ .

انْتَهَزَ الطَّبِيبُ الْفُرْصَةَ ، وَأَصْدَرَ أَمْرَهُ بِتَجْهِيزِ غُرْفَةِ الْعَمَلِيَّاتِ . قَالَ الِابْنُ : سَأَعُودُ حَالاً بِالنُّقُودِ ، رَكِبَ شَدْوَانُ الْحِمَارَ إِلَى السُّوقِ ، وَعَادَ يَلْهَثُ بِالنُّقُودِ فِي يَدِهِ .

دَخَلَ شَدْوَانُ عَلَى الطَّبِيبِ وَنَاوَلَهُ النُّقُودَ ، وَابْتَسَمَ الطَّبِيبُ بِوَقَارٍ ، وَهُوَ يَدُسُّ النُّقُودَ ـ الَّتِي كَانَتْ حِمَارًا ـ فِي جَيْبِهِ ، وَقَالَ بِفَخْرٍ : نَجَحَتِ الْعَمَلِيَّةُ ، لَكِنَّ الرَّجُلَ قَدْ مَاتَ .

حَمَلَ شَدْوَانُ الْجُثَّةَ عَلَى كَتِفَيْهِ ، وَغَادَرَ الْجِيزَةَ ، وَمَضَى يَقْطَعُ الطَّرِيقَ نَفْسَهَ رَاجِعًا وَالْجُثَّةُ عَلَى كَتِفَيْهِ . وَكَانَ الْمُعَلَّقُ مِنْ عُرْقُوبِهِ قَدِ انْفَصَلَ عَنْهُ ، وَأَخَذَ يُؤَنِّبُهُ .

قَالَ الْمُعَلَّقُ مِنْ عُرْقُوبِهِ : أَنَا أَعْرِفُ أَبِي جَيِّدًا ، لَمْ يَشَإِ الرَّحِيلَ قَبلَ أَنْ يَأْخُذَ حِمَارَهُ مَعَهُ .

تحليل ونقد :

أ ـ الفكرة :

يتناول الكاتب في هذه القصة القصيرة فكرة إنسانية يشرح فيها حال فلاح فقير ، يعيش في مجتمع يغلب عليه استغلال فئة الانتهازيين للكادحين .

لقد استوعب الكاتب هذه الفكرة بعد أن عاش التجربة ووعاها في واقع الحياة ، واختار لعرضها حادثة تتكرر في حياة الفقراء الذين لايحصلون على الحد الأدنى من العيش إلابجهد جهيد ، فأضاء أبعادها بعرض قصصي مؤثر جذاب ، وأزاح الستار عن معناها المأسوي ، فظهرت ـ خلال القصة ـ رؤية الكاتب للحياة ورأيه في أوضاع المجتمع ، وبان من ذلك عطفه على هؤلاء الكادحين ، وإدانته المجتمع الذي يستغل فيه الإنسان أخاه الإنسان .

ب ـ العمــل القصصــي :

وتلك الفكرة شخصها الكاتب في سرد حكاية حادثة من حياة فلاح كادح عاد إلى أهله في المساء متعبًا ، لايجد إلى الراحة سبيلا ، لأن أنين أبيه المريض يؤلمه ويحزّ في نفسه ، وضميره كإنسان يطالبه بمعالجته لدى طبيب خاص . بعد أن لم يفده تردده على عيادة كل الناس ، لكن هذا الضمير يعترضه واقعه الاجتماعي المرّ ، وفقره المدقع الذي يُعجزه عن علاج أبيه عند طبيْب خاص ، لذا فشدْوَان تبدو منه شخصيتان :

1 ـ شدوان كإنسان ذي ضمير حي يمثل الابن البار ، العطوف على أبيه ، الباذل كل جهده لمعالجته .

2 ـ شدوان كإنسان فقير يعيش واقعا اجتماعيا خاضعا لنظرة مادية نفعية ، ويظهر موقفه هذا من قوله : «لم يبق في الرجل نفع» ، وتتصارع في نفسه هاتان الشخصيتان المتناقضتان . وأخيرا تنتصر فيه الشخصية الأولى . فيذهب بأبيه إلى طبيب خاص . وهنا يبرز الوضع الاجتماعي في شخص هذا الطبيب . لا ليساعد الابن البار . وإنما ليأخذ ماله مقابل عملية أودت بحياة أبيه .

وهذه الحكاية بسطها الكاتب في حُبكة تقليدية ذات بداية ووسط ونهاية . وهذه الحبكة يسميها النقاد : عناصر القصة المتمثلة في التمهيد والحوادث والعقدة والحل :

1 ـ التمهيـد :

وقد عرف فيه الكاتب بالزمان والمكان ، فكان الزمان هو الليل أولا ثم النهار ، وكان المكان هو الريف الذي يقدم سماته المعبَّر عنها بكوخ الفلاح المبني من طين ، وظلامه الدامس ، وحزمة البنات ، وفراش الحصير ، وغطاء القطن ، وسرير القش ، كل هذه الأشياء توحي بجو الشقاء الذي يعيش فيه شدوان ، وعرّف أثناء ذلك بشخصية بطل القصة وأبيه المريض ، ويرتبط في جو الزمان والمكان ما هو خاص وما هو عام ، فتكون قصة شدوان مثالا حيا عن حياة كثير من الفلاحين الذين يعيشون وضعا سيئا في مجتمع لا يرحم ، مجتمع يعيش مأساة الشقاء والاستغلال ، وتلك هي «بيئة القصة» ، وهذا التمهيد يبتدئ من أول القصة وينتهي في آخر الفقرة الثالثة : «وماكان يشبه حتى العواء» .

2 ـ الحــوادث :

وهي تتمثل في عمل الفلاح المضني ، ومرض أبيه المزمن ، وتألم الاثنين ألما جسميا ونفسيا ، والسفر على حمار إلى الطبيب الخاص بالمدينة ، ثم بيع الحمار لدفع ثمن العملية ، وهذا الجزء يبتدئ من الفقرة الرابعة ، وينتهي في آخر الفقرة الرابعة عشرة : «وعاد يلهث بالنقود في يده»

3 ـ العقــدة :

وتبدأ في التأزم عند ما يخبر الطبيب شدوان بأن أباه في حاجة إلى عملية ، وتزداد تأزما عند ما يأمر الطبيب بتجهيز غرفة العمليات ، وكلما تأزمت العقدة ازداد قلق القارئ وتشوقه إلى الحل ، وتساءل : كيف تكون النهاية ، وهذا الجزء يبتدئ من الفقرة الثانية عشرة : «كشف الطبيب على المريض» وتنتهي مع نهاية الفقرة الرابعة عشرة . ويلاحظ هنا تداخل الأحداث مع العقدة .

4 ـ الحـــل :

ويأتي بفك العقدة ، ونهاية القصة ، وكانت نهاية مأسوية على شدوان الذي فقد أباه والحمار معا ، لتزداد حاله سوءا ، ويزداد الطبيب ثراء بثمن العملية ، وتختم القصة ختاما ساخرا سخرية مرة .

وقد استعمل القاص لعرض تلك العناصر الأربعة ثلاثة طرائق هي :

1 ـ السرد المباشر الذي حكى به ما جرى من أحداث .

2 ـ الحديث النفسي ، أو ما يسمى بالحوار الداخلي (المونولوج) ، ويتمثل هذا فيما حدّث به شدوان نفسه في حديثين مختلفين ، كشفا عن الصراع والتناقض الذي تعيشه نفسه بين ما يطالبه به واجب البر بأبيه ، وبين واقعه المر الذي جعله عاجزا عن علاج أبيه .

3 ـ الحوار العادي بين شدوان الفلاح المعدم والطبيب ... فأظهر به الكاتب التناقض الصارخ بين عالمين : عالم الفقراء الكادحين وعالم المستغلين وأساليبهم في الإثراء على حساب غيرهم .

جـ ـ شخصيات القصة :

انحصر كلام الكاتب على ثلاث شخصيات ، جعلها عمدة لأداء الحدث القصصي ، وهي : شدوان وأبوه العجوز ، والطبيب ، أظهر من خلال تصويرها تأثير المجتمع فيها بكشف أوضاعها وطبائعها المتناقضة .

1 ـ فشدوان بطل القصة رُسمت ملامح واقعه الإنساني العام ولم ترسم ملامحه الفردية ، الخاصة . إنه ، ككل الفلاحين الكادحين ، يعمل من قبل طلوع الشمس إلى الغروب في الحقول ، شبهه الكاتب بالشاة المذبوحة المعلقة من عرقوبها ، ومن أثر عمله المضني تورمت عضلات ذراعيه ، وأخذت شرايين فخِذيه تنتفض بحركة الدَّمِ فيهما ، غذاؤه خبز الذرة والبصل والملح ، وسكناه كوخ من طين وقش ، وذِكر هذه الجزئيات يصور جو الفقر والشقاء الذي يحيط به ، لكن كل ذلك لم ينل من روحه كإنسان عطوف على أبيه ، يتألم لألمه ، ويؤرّقه مرضه ، فسعى جاهدا لمعالجته ، وقد برزت رؤية الكاتب الإنسانية للحياة في جعله صوت الضمير الإنساني في شدوان ينتصر على واقعه الاجتماعي الذي يوحي له بترك الأب فريسة لمرضه ، وقد سبق الحديث عن شخصيته المزدوجة في عنصر «العمل القصصي» .

2 ـ والأب العجوز شخصية ثانوية ، إلاّ أنه قوّة محرِّكة لأحداث القصة ؛ فأنينه الذي كان وقْعه كوَخْز الإبر والمخاريز ، جعل صوت الضمير الإنساني في أعماق شدوان يتغلب على واقعه المرّ ، وجعل الحدث القصصي يتحرك ، وفيما عدا هذا الأنين فالأب يؤدّي دوره في القصة صامتا ، فلا يبدو من ملامح شخصيته سوى قوة صبره على تحمُّل الألم ، وظروفه الصحية ، ونهايته كانت تكملة لشخصية شدوان ، فوضع شدوان المُزْري في محيط يمتاز بالحيف الاجتماعي والشقاء ، لن يكون مصيره أفضل من مصير أبيه حين يصبح شيخًا .

3 ـ الطبيب : وهو قوة حاسمة في تقرير نهاية الحدث القصصي ، وفي مصير الأب ، وشخصيته في القصة جاءت في صورتين فنيتين :

أ ـ صورة الطبيب ذي الرسالة الإنسانية السامية ، الذي يداوي الأمراض ، ويخفف آلام الناس وأوجاعهم ، وهو يمثل هذه الشخصية فيضحك بوقار ، ويسخر مبتسما من شدوان السّاذج ، ويتظاهر بالخوف على

حياة الأب ، ويلوم الابن على تأخره في علاج أبيه ، مُحمِّلا إياه مسؤولية التباطؤ في إجراء العملية ، ويتنازل قليلا في أجْر العملية .

ب ـ صورة أخرى لهذا الطبيب الذي يظهر أمام الفلاح بمظهر الإنسان المادي ، لأن أجر العملية فوق قدرة الفلاح ، ودخله ضئيل محدود في مجتمعه المستغِلّ ، مما يجعله عاجزا عن علاج أسرته ، ولو أن مجتمعه هذا يعطيه أجرا بحسب جهده وإنتاجه لما رأى فيما طلبه الطبيب من أجْر أمرًا مستحيلا .

د ـ لغـة القصـة :

لغة الكاتب كانت ملائمة لعمله القصصي ، فهي لغة تمتاز بالسهولة والوضوح ، فيها سخرية خَفِيَّةٌ لكنها حادّة ، وقد تلونت لغته بألوان عناصر العرض من سرد وحوار :

1 ـ فلغة السرد كانت دقيقة موجزة ، بعيدة عن استعمال الكلمات المترادفة ، وعن ضخامة الألفاظ ، والجمل جاءت قصيرة ، لم تكثر فيها الإضافات والنعوت ، التي استخدمها في قصد واعتدال من أجل أن يعطي الأشياء طابعا خاصا ، ويخرجها من إطار التجريد النظري والتعميم ، لاحظ هذه الإضافات : شرايين الفخذين ، سرير السعف ، جدران الطين والقش ، رائحة البصل ، ثم لاحظ هذه الصفات : غطاء قطني ، السكك المرصوفة ، الحقول الداكنة المبلَّلة بالندى ، وإلى جانب هذا فالكاتب لم يكثر من استعمال المجاز اللغوي الذي يعطي تعبيره طابعا غِنائيا عاطفيا إلا في مواضع قليلة جدا ، كقوله «تلقي الشمس بأول خصلة من شعرها الوهّاج» ، «المعلّق من عرقوبه» ، فالصورتان استعارتان مكنيتان يمكنك شرحها وإدرَاك أثرهما في تشخيص المعنى .

2 ـ أما لغة الحوار فكانت مناسبة لظروف الموقف والشخصية ، ابتعد فيها عن العامّية وفصيح الألفاظ ، لكن روح العامية له أثر خفيف في لغة الحوار وتراكيبه ، مثل قول شدوان : أسوق عليك النبي ، ياشيخ ما معنا شيء ، لاذنب علي ، في رقبتكم ذنبه . وهكذا تحقق للكاتب ما كان يهدف إليه في غرضه الفني ، وفي صبغ قصته بالصبغة الموضوعية الواقعية .

تمارين تطبيقية :

1 ـ صور بأسلوبك شخصية بطل القصة وموقفه نحو أبيه المريض .

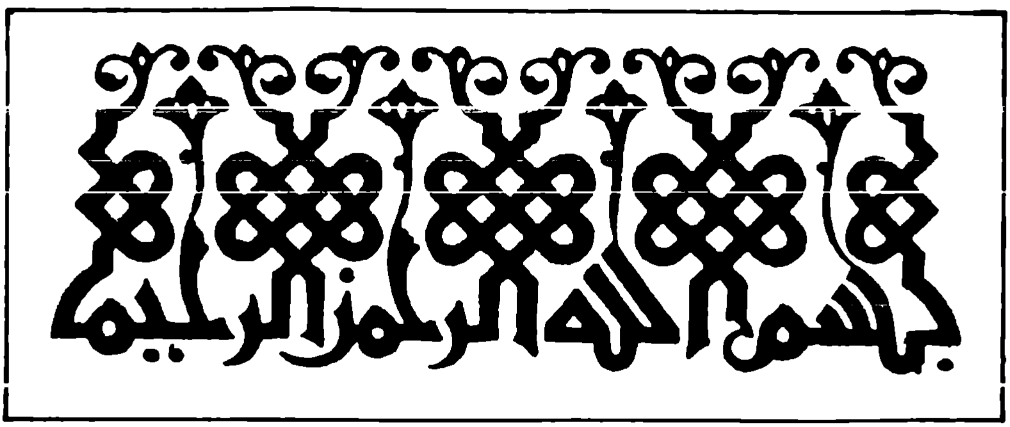
2 ـ ما هو هدف الكاتب في هذه القصة ؟

3 ـ يغلب على القصة الأسلوب الخبري ، فاختر أسلوبا خبريا يتحدث عن شدوان ، وأسلوبا يتحدث عن الطبيب ، واذكر غرضهما الأدبي .

4 ـ هناك صور بيانية قليلة في القصة . استخرج من القسم الرابع تشبيها ، ومن القسم السادس استعارة . اشرحهما وبيّن أثرهما في المعنى .

5 ـ في موقفي شدوان والطبيب قيمتان إحداهما سلبية ، والأخرى إيجابية . فما هما ؟

6 ـ فيم تتمثل الحبكة الفنية للقصة ؟



للمطالعـة :

أمٌّ ....

لمحمود تَيْمُور

تمهيـد :



الكاتب من أعلام القصة العربية ، ولد بالقاهرة سنة 1894 ، من أسرة عريقة في العلم ، ذو ثقافة عربية وغربية ، انتخب عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وأنتج عددا كبيرا من القصص الواقعية التي استمد موضوعاتها من البيئة العربية ، وترجم العديد من قصصه ومسرحياته إلى لغات أجنبية كثيرة ، وتوفي سنة 1973 .

خلّف تيمور نيّفا وعشرين مجموعة قصصية ، وبضع عشرة زواية ، وما يماثلها من المسرحيات ، وتسعة كتب ما بين دراسة لغوية وأدبية وأدب الرحلات .

ومن مجموعته القصصية : « قال الراوي » اخترنا لك القصة التالية التي يصور فيها نفسية أم مات وحيدها ، فكيف يكون حالها يا ترى ؟

النــص :

مَاتَ ابْنُهَا وَهُوَ فِي سِنِّ الْأَرْبَعِينَ ، وَكَانَ رَجُلاً كُلُّهُ نَشاطٌ وَقُوَّةٌ وَجَمَالٌ ، يَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عِيشَةَ كِفَاحٍ وَانْتِصَارٍ... مَاتَ فَجْأَةً مِيْتَةً بَلْهَاءَ ! ... بَعْدَ أَنْ قَهَرَ الْمَرَضَ وَالضَّجَرَ وَالْخُمُولَ ، وَقَدْ خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَهَرَ الْمَوْتَ وَلَوْ إِلَى حِينٍ .

وَكَانَ وَحِيدَهَا ... رَأَتْهُ يَنْمُو أَمَامَهَا وَيَتَرَعْرَعُ ... مِنْ عُودٍ صَغِيرٍ لَدْنٍ [1] ، إِلَى جِذْعٍ كَبِيرٍ قَوِيٍّ ، يَحْمِلُ فَوْقَهُ الْأَغْصَانَ الْمُورِقَةَ الْمُحَمَّلَةَ بِأَطْيَبِ الثِّمَارِ .

---

1) لدْن : من لدُن يلدُن : ليّن طريّ .

وَكَانَ عِمَادَ بَيْتِهَا ، تَرَى فِيهِ جَلَالَ الرُّجُولَةِ وَجَمَالَهَا ، فَتَحْيَا فِي كَنَفِهِ هَانِئَةَ الْبَالِ ، لَا تَخْشَى شَيْئًا مِنْ مَتَاعِبِ الْحَيَاةِ ، فَخُورًا سَعِيدَةً بِهِ وَبِنَفْسِهَا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ «ابْنَهَا» ، ذُخْرَ أُمُومَتِهَا وَمَهْبِطَ حَنَانِهَا ، فَلَمَّا مَاتَ أَلْفَتِ الدُّنْيَا حَوْلَهَا فَارِغَةً لَا مَعْنَى لَهَا ... وَلِمَ لَا تَكُونُ فَارِغَةً وَابْنُهَا كَانَ الْحَيَاةَ كُلَّهَا ـ الْحَيَاةَ الَّتِي تَزْخَرُ بِالْحَرَكَةِ وَالنُّورِ ؟

وَهَجَرَتِ الْمَنْزِلَ الَّذِي كَانَتْ تَسْكُنُهُ مَعَهُ إِلَى بَيْتٍ خَرِبٍ نَازِحٍ عَنِ الْعُمْرَانِ ، وَآلَتْ عَلَى نَفْسِهَا أَلَّا تَبْرَحَهُ إِلَّا مَحْمُولَةً عَلَى الْأَعْنَاقِ ، حَيْثُ تَنْعَمُ بِالرَّاحَةِ الْأَبَدِيَّةِ بِجِوَارِهِ ... وَكَانَ حُزْنُهَا فِي بَادِئِ الْأَمْرِ يَسْتَثِيرُ الشَّفَقَةَ فِي الْقُلُوبِ ، وَلَكِنَّهُ تَحَوَّلَ عَلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ إِلَى حُزْنٍ قَاسٍ بَغِيضٍ ، وَانْقَلَبَتْ فِيهَا تِلْكَ الْوَدَاعَةُ [1] الْبَاكِيَةُ إِلَى سُخْطٍ ثَائِرٍ ، يَنْثُرُ حَوْلَهُ الْحَسَدَ وَالْكَرَاهِيَةَ ، فَكَانَتْ تَمْكُثُ السَّاعَاتِ الطِّوَالَ صَامِتَةً ، جَامِدَةَ الْعَيْنِ ، كَأَنَّهَا تِمْثَالٌ مِنْ حَجَرٍ ، ثُمَّ تَثُورُ دُفْعَةً وَاحِدَةً تَسُبُّ الْعَالَمَ وَتَلْعَنُهُ ، وَتَعْجَبُ لِلنَّاسِ كَيْفَ يَجِدُونَ فِي الْحَيَاةِ مُتْعَةً وَهَنَاءَةً ، فَتُطَاوِعُهُمْ أَنْفُسُهُمْ عَلَى الضَّحِكِ وَالْمَرَحِ ، عَلَى حِينِ أَنَّهَا حُرِمَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، حَتَّى لَذَّةَ الِابْتِسَامِ ! ...

وَكَانَتْ تَخْرُجُ مِنْ حُجْرَتِهَا فِي مَلَابِسِهَا الْفَضْفَاضَةِ السُّودِ ، مَحْنِيَّةَ الظَّهْرِ ، تَعْتَمِدُ عَلَى عُكَّازَتِهَا ، تَطُوفُ بِالْمَنْزِلِ ، فَكَأَنَّهَا شَبَحٌ مِنْ أَشْبَاحِ اللَّيْلِ يَجُوسُ [2] خِلَالَ الْمَقَابِرِ ! ...

وَكَانَتْ لِهَذِهِ «الْأُمِّ» أُخْتٌ أَصْغَرُ مِنْهَا سِنًّا ، تَسْكُنُ الرِّيفَ مَعَ زَوْجِهَا ، وَلَمْ تَكُنِ الْأُخْتَانِ عَلَى وِفَاقٍ كَامِلٍ ، وَكَانَتَا لَا تَتَزَاوَرَانِ إِلَّا لِمَامًا [3] . فَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، بَيْنَمَا كَانَتِ الْأُمُّ جَالِسَةً فِي حُجْرَتِهَا ، تَعْرِضُ هُمُومَهَا ، إِذْ

---

1) الوداعة : السكينة والوقار والهدوء .

2) يجوس : مصدره جَوْس : الحرص والاستقصاء ، وهنا بمعنى يجول ، ومنه جاس القوم خلال الديار ، إذا جالوا فيها عبثا وفسادا . ـ لماما : في أحيان متباعدة .

هَبَطَتْ عَلَيْهَا أُخْتُهَا تَزُورُهَا ، وَكَانَتْ مُقَابَلَةً فَاتِرَةً أَعْقَبَهَا صَمْتٌ ثَقِيلٌ . وَجَلَسَتِ «الْأُمُّ» فِي مَكَانِهَا ، لَا تَتَحَرَّكُ ، تَنْظُرُ إِلَى الْفَضَاءِ أَمَامَهَا ، وَهِيَ تُسَائِلُ نَفْسَهَا عَمَّا دَعَا أُخْتَهَا لِزِيَارَتِهَا . أَجَاءَتْ تُعَزِّيهَا الْآنَ ، وَقَدْ أَهْمَلَتْ وَاجِبَ التَّعْزِيَةِ يَوْمَ مَاتَ فَقِيدُهَا ؟ ... أَمْ جَاءَتْ تَشْمَتُ بِهَا ، وَتَسْخَرُ مِنْ مُصَابِهَا ؟ ... وَأَخِيرًا ، تَكَلَّمَتِ الْأُخْتُ الصُّغْرَى فَقَالَتْ :

«لَقَدْ أَبْطَأْتُ فِي تَعْزِيَتِي لَكِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ قَصْدٍ ، كُنْتُ طَرِيحَةَ الْفِرَاشِ ـ بَعْدَ الْوِلَادَةِ ـ أُجَالِدُ [1] الْمَوْتَ أَيَّامًا مُتَوَاصِلَةً فِي يَأْسٍ كَبِيرٍ . وَقَدْ مَرَّ عَلَيَّ وَقْتٌ فَقَدْتُ فِيهِ وَعْيِي حَتَّى ظَنَّ الَّذِينَ حَوْلِي أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِي فِي الدُّنْيَا إِلَّا بِضْعُ سَاعَاتٍ ، وَلَكِنْ شَاءَ الْقَدَرُ أَنْ أَحْيَا وَيَحْيَا مَعِي طِفْلِي ...»

وَأَشَارَتْ إِلَى لَفِيفَةٍ فِي حِجْرِهَا ، وَهَزَّتْهَا بِرِفْقٍ ، فَتَحَرَّكَتِ اللَّفِيفَةُ ، وَانْبَعَثَ مِنْهَا صَوْتٌ ضَعِيفٌ . وَلَمْ تَكُنِ «الْأُمُّ» حَتَّى هَذِهِ السَّاعَةِ قَدْ أَعَارَتْ هَذِهِ اللَّفِيفَةَ شَيْئًا مِنَ اهْتِمَامِهَا ، فَلَمَّا سَمِعَتِ الصَّوْتَ الْتَفَتَتْ إِلَيْهَا ، وَبَدَأَتْ تَتَفَحَّصُهَا بِشَيْءٍ مِنَ الْفُضُولِ .

وَعَادَتِ الْأُخْتُ الصُّغْرَى تُتِمُّ كَلَامَهَا ، فَجَعَلَتْ تَرْوِي لِأُخْتِهَا دَقَائِقَ مَرَضِهَا وَعُسْرَ وِلَادَتِهَا ، وَ «الْأُمُّ» صَامِتَةٌ مَشْغُولَةٌ عَنْ حَدِيثِهَا الْمُسْتَفِيضِ بِالنَّظَرِ إِلَى الطِّفْلِ وَمُرَاقَبَتِهِ ، فَرَأَتْهُ قَدِ اسْتَطَاعَ بِحَرَكَاتِ يَدَيْهِ أَنْ يَكْشِفَ النِّقَابَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَكَانَ وَجْهًا صَغِيرًا طَلْقَ الْمَلَامِحِ ، يَدُورُ بِعَيْنَيْهِ الْبَرَّاقَتَيْنِ حَوْلَهُ فِي حَيْرَةٍ وَتَطَلُّعٍ . وَقَدْ بَهَرَهُ انْعِكَاسُ الضَّوْءِ اللَّامِعِ عَلَى مُخْتَلِفِ الْأَشْيَاءِ ، وَشَغَلَهُ تَبَايُنُ الْأَصْوَاتِ ، وَكَانَ أَحْيَانًا يَهِشُّ [2] ثُمَّ يَعْبِسُ ، وَتَارَةً يَضْحَكُ ثُمَّ يَبْكِي ، وَيَدَاهُ وَقَدَمَاهُ فِي حَرَكَةٍ دَائِبَةٍ .

---

1) أجالد : هنا بمعنى أدافع . 2) يهش : يتبسم .

وَطَالَ حَدِيثُ الْأُخْتِ ، وَ « الْأُمُّ » مَازَالَتْ غَارِقَةً فِي صَمْتِهَا ، وَهِيَ فِي شُغْلٍ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَوْلَهَا بِمَا تُرَاقِبُ مِن ابْنِ أُخْتِهَا الصَّغِيرِ ، تِلْكَ الظَّاهِرَةُ الْحَيَّةُ الْجَدِيدَةُ الَّتِي دَخَلَتْ هَذَا الْمَكَانَ الْخَرِبَ الْهَاجِعَ[1] لِتُشْعِرَهُ بِأَنَّ فِي الْحَيَاةِ تَجَدُّدًا وَنَشَاطًا . وَكَانَ الطِّفْلُ ، وَهُوَ مَاضٍ فِي مُنَاغَاتِهِ[2] ، يَتَعَالَى بِضَحْكَتِهِ وَيَصِيحُ بِبُكَائِهِ ، وَيَضْرِبُ الْهَوَاءَ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، يُرِيدُ أَنْ يُثْبِتَ لِهَذِهِ الْعَجُوزِ الَّتِي طَحَنَتْهَا السِّنُونَ وَالْأَحْزَانُ ، أَنَّهُ ـ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ضَآلَةِ جِسْمِهِ ـ مَخْلُوقٌ عَظِيمٌ . إِنَّهُ الْحَيَاةُ مُصَغَّرَةً تَكْمُنُ فِيهِ ضَجَّتُهَا وَقُوَّتُهَا وَبَهْجَتُهَا ! ...

وَكَانَتِ « الْأُمُّ » تَنْظُرُ إِلَيْهِ فَتَرَى فِيهِ صَفْحَةً مِنْ صَفَحَاتِ شَبَابِهَا ، صَفْحَةً زَاخِرَةً بِشَتَّى الذِّكْرَيَاتِ وَالصُّوَرِ الْمَحْبُوبَةِ ، وَتَحَوَّلَتْ نَظَرَاتُهَا إِلَيْهِ مِنْ نَظَرَاتِ فُضُولٍ عَابِرَةٍ إِلَى نَظَرَاتِ شَغَفٍ عَمِيقٍ ، وَأَحَسَّتْ عَاطِفَةً جَدِيدَةً تَدِبُّ فِي قَلْبِهَا ! ...

وَلَاحَظَتِ الْأُخْتُ الصُّغْرَى أَنَّ أُخْتَهَا الْكُبْرَى مَازَالَتْ صَامِتَةً ، لَا تُولِيهَا طَرَفًا مِنْ عِنَايَتِهَا ، فَرَأَتْ أَنْ تَخْتَصِرَ الزِّيَارَةَ ، وَتُغَادِرَ الْبَيْتَ ، وَتَحَرَّكَتْ تَبْغِي الْقِيَامَ ، فَوَجَدَتْ بَلَلاً فِي ثِيَابِهَا ، فَصَاحَتْ بِوَلِيدِهَا تَنْهَرُهُ ، وَبَكَى الطِّفْلُ مُحْتَجًّا ، فَمَا لَبِثَتِ « الْأُمُّ » أَنْ أَقْبَلَتْ عَلَى أُخْتِهَا ، وَبَسَطَتْ ذِرَاعَيْهَا وَقَالَتْ : « نَاوِلِينِي إِيَّاهُ ... دَعِينِي أُغَيِّرْ لَفَائِفَهُ ! ... »

وَأَخَذَتِ الطِّفْلَ مِنْ حِجْرِ أُخْتِهَا ، وَجَعَلَتْ تُهَشْهِشُهُ[3] فَاطْمَأَنَّ ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا مُحَمْلِقًا[4] : كَأَنَّهُ يُحَاوِلُ أَنْ يَسْتَطْلِعَ أَمْرَهَا ! ... وَمَا إِنْ شَعَرَ بِيَدَيْهَا

---

1) الهاجع : النائم .

2) مناغاته : كلامه المبهم .

3) تهشهشه : تحرّكه .

4) محملقا : محدقا .

تَضُمَّانِهِ إِلَى صَدْرِهَا حَتَّى ابْتَسَمَ لَهَا ، فَابْتَسَمَتْ لَهُ وَقَبَّلَتْهُ . وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ ابْتِسَامَةٍ عَرَفَهَا وَجْهُهَا مُنْذُ أَنْ قَضَى فَقِيدُهَا نَحْبَهُ ! ...

وَهَرَعَتْ بِالطِّفْلِ إِلَى حُجْرَةِ نَوْمِهَا ، فَأَرْقَدَتْهُ عَلَى سَرِيرِهَا ، وَأَخْرَجَتْ لَهُ مِنْ خِزَانَةِ مَلَابِسِهَا لَفَائِفَ قَدِيمَةً كَانَتْ لِابْنِهَا الرَّاحِلِ فِي طُفُولَتِهِ ، وَقَدِ احْتَفَظَتْ بِهَا عَلَى سَبِيلِ الذِّكْرَى ، ثُمَّ شَرَعَتْ تَسْتَبْدِلُهَا بِلَفَائِفِهِ الْمُبَلَّلَةِ ، وَمَضَتْ تَدُورُ بِهِ فِي الْحُجْرَةِ ، وَهِيَ تُلَاطِفُهُ وَتُنَاغِيهِ ، حَتَّى أَطْبَقَ جَفْنَيْهِ وَنَامَ .

ودَخَلَتِ الْأُخْتُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ تَسْتَبْطِئُ أُخْتَهَا ، فَأَشَارَتْ لَهَا «الْأُمُّ» إِشَارَةَ السُّكُونِ ، وَهَمَسَتْ قَائِلَةً : «إِنَّهُ نَائِمٌ ! ...»

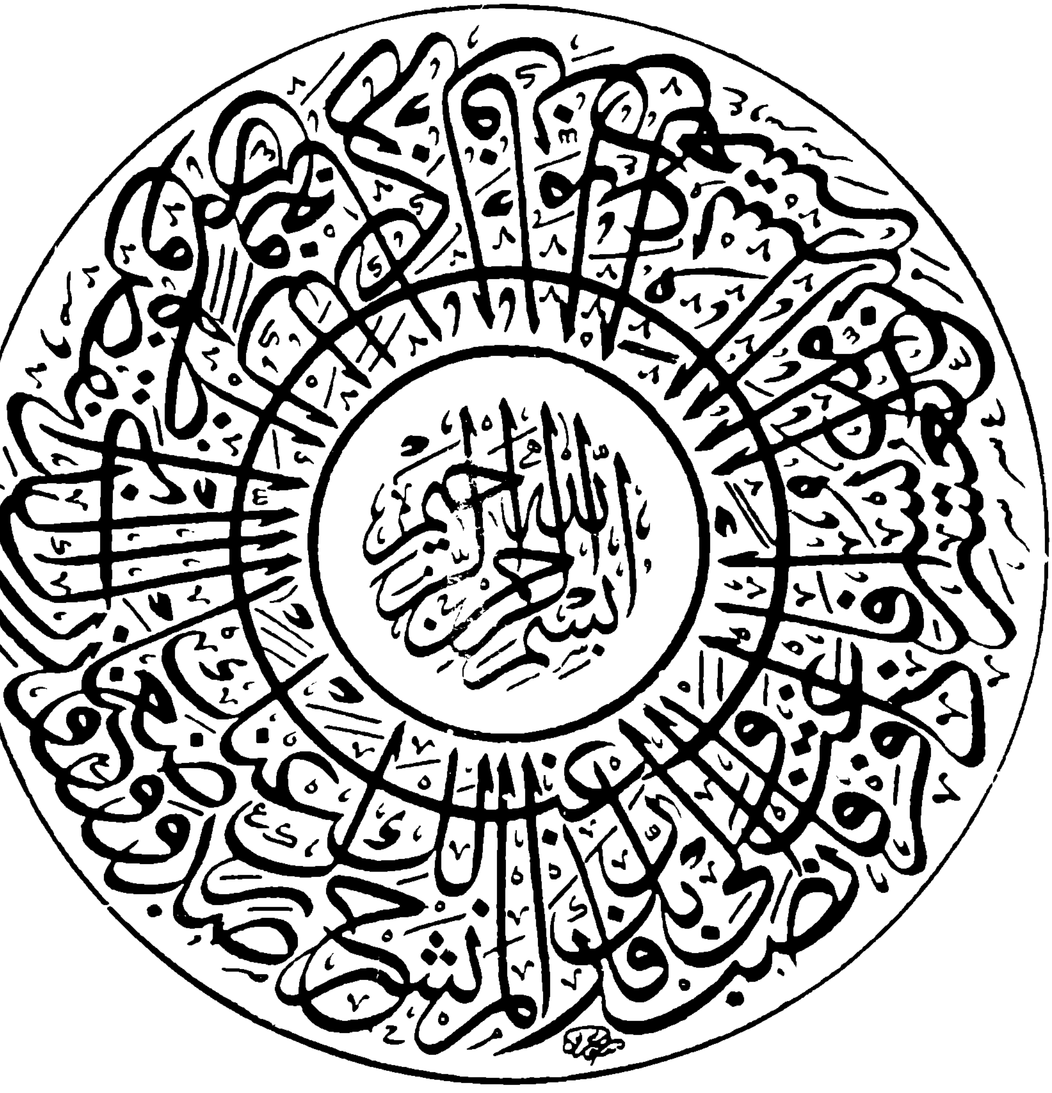
وَمَكَثَتِ الْأُخْتُ الصُّغْرَى فِي ضِيَافَةِ أُخْتِهَا الْكُبْرَى أُسْبُوعَيْنِ كَامِلَيْنِ قَضَتْهُمَا «الْأُمُّ» بِجَانِبِ الطِّفْلِ ، تُعْنَى بِهِ وَتُدَلِّلُهُ ، وَنَشِطَتْ لِلْعَمَلِ ، وَتَفَتَّحَتْ شَهِيَّتُهَا لِلطَّعَامِ ، فَاسْتَقَامَ عُودُهَا ، وَتَوَرَّدَ وَجْهُهَا . وَكَانَتْ تَخْرُجُ إِلَى بَابِ بَيْتِهَا تَسْتَوْقِفُ الْمَارَّةَ تُحَدِّثُهُمْ ، وَقَدْ يُمَاجِنُونَهَا فَتُمَاجِنُهُمْ ، وَيَطْلُبُ مِنْهَا بَعْضُهُمْ الْإِحْسَانَ فَلَا تَبْخَلُ عَلَيْهِ بِهِ ، وانْقَلَبَ الْمَنْزِلُ الْحَزِينُ الْهَاجِعُ الْبَغِيضُ مَنْزِلاً عَامِرًا يَقِظاً ، كُلُّهُ حَرَارَةٌ وَنُورٌ ...

وَبَعْدَ انْقِضَاء الْأُسْبُوعَيْنِ أَعَدَّتِ الْأُخْتُ الصُّغْرَى عُدَّتَهَا لِلرَّحِيلِ ، وَرَافَقَتْهَا الْأُخْتُ الْكُبْرَى إِلَى الْبَابِ لِتَوْدِيعِهَا ، وَكَانَتْ تَسِيرُ صَامِتَةً بَطِيئَةَ الْخُطَا ... وَحِينَمَا قَبَّلَتْ أُخْتَهَا وَانْحَنَتْ عَلَى الطِّفْلِ لِتُقَبِّلَهُ ، رَأَتْهُ يَبْتَسِمُ ، وَيَمُدُّ يَدَيْهِ نَحْوَهَا ، فَأَخَذَتْهُ بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا فِي لَهْفَةٍ ، وَضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا وَاحْتَضَنَتْهُ ، وَكَأَنَّهَا تُحَاوِلُ إِخْفَاءَهُ تَحْتَ مِطْرَفِهَا(1) ! ...

---

1) مِطرفها : بكسر أو ضم الميم ، جمعه مطارف : رداء من حرير ، ذو زخارف ورسوم .

وَأَخِيرًا رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا الْمُخْضَلَّتَيْنِ[1] بِالدُّمُوعِ نَحْوَ أُخْتِهَا ، وَقَالَتْ لَهَا فِي ضَرَاعَةٍ وَاسْتِرْحَامٍ : «أَلَسْتِ يَا أُخْتَاهُ فِي حَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَقُومُ لَكِ بِخِدْمَةِ طِفْلِكِ ؟ ! ...»



1) الْمُخْضَلّتين : النديّتين المبتلّتين.

أغنيّة المـــوت

لتوفيـق الحكيـم

تمهيـد :



ولد توفيق الحكيم في الإسكندرية سنة 1898 لأب من رجال القضاء، ومن أمّ تركية الأصل. زاول تعلمه في دمنهور ثم بالقاهرة، حيث أتيح له أن يُعْنَى بالموسيقى والتمثيل، فأخذت مواهبُه الأدبية تتفتح، فلم يلبث أن كتب مجموعة من المسرحيات سنة 1922، كانت في مجملها محاولات ناقصة.

وفي سنة 1924 حصل على الإجازة في الحقوق، فسافر إلى فرنسا لِيُتِمّ دراسته العليا. وفي عام 1928 عاد إلى مصر ووُظِّف في سلك القضاء حتى سنة 1934، ثم تقلّب في عدة وظائف استقال منها جميعا، وتفرغ لِفَنّه وللعمل في الصحافة.

وقد تحمل أعباءَ المسؤولية في عدة هيئات : مثل العضوية في المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون، وتمثيل مصر في هيئة اليُونِسْكُو، والعُضْوِيّة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، التي لم تسقط عنه إلّا بوفاته سنة 1987.

يُعَدّ الحكيم أكبرَ كاتبٍ مسرحي في العالم العربي، فَكَتَبَ في الْمَلْهَاة والْمَأْسَاة، وفي النقد الاجتماعيّ، وفي العلاقات الإنسانية، وأدْلى بدلوه في مشكلات عصره السياسية والاجتماعية والفكرية الكُبرى.

وقد ترجمت بعض أعماله الأدبية إلى الإنجليزية والإسبانية والفرنسية والروسية.

وأهم أعماله الأدبية والمسرحية : أهل الكهف ـ عودة الروح ـ شهرزاد ـ يوميات نائب في الأرياف ـ وسليمان الحكيم، وأغنية الموت التي تناول فيها ظاهرة الأخذ بالثأر في المجتمع المصري. والتي اقتطفنا لك منها مقطوعة :

علوان : (كَالْحَالِمِ) سَأَقُولُ لَهُمْ ـ لأهلِ الْقَرْيَةِ ـ مَا جِئْتُ لِأَقُولَ ... إِنِّي طَالَمَا فَكَّرْتُ فِي بَلْدَتِي وَأَهْلِ بَلْدَتِي ... عَلَى الرَّغْمِ مِنِ اغْتِرَابِي الطَّوِيلِ . هُنَاكَ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ دُرُوسِ الْأَزْهَرِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ الزُّمَلَاءُ ، نَقْرَأُ الصُّحُفَ ، ويُعَاوِدُنَا الْحَنِينُ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْبَتَتْنَا ، نُسَائِلُ أَنْفُسَنَا مُتَلَهِّفِينَ : مَتَى يَعِيشُ أَهْلُنَا فِي الرِّيفِ كَمَا يَعِيشُ الْآدَمِيُّون ، فِي دُورٍ نَظِيفَةٍ لَا يُؤَاكِلُهُمْ فِيهَا الْحَيَوَانُ ؟ ومَتَى تُعْرَشُ سُقُوفُهُمْ بِغَيْرِ أَحْطَابِ الْقُطْنِ والذُّرَةِ ، وتُطْلَى جُدْرَانُهُمْ بِغَيْرِ الطِّينِ وَرَوْثِ الْبَهَائِمِ ؟ مَتَى يَخْتَفِي «الزِّيرُ»(1) ، وَتَجْرِي فِي الدُّورِ الْمِيَاهُ النَّقِيَّةُ ، وَتَذْهَبُ الْمِسْرَجَةُ(2) وتُضِيءُ الْمَصَابِيحُ الْكَهْرَبَائِيَّةُ ؟ أَكَثِيرٌ هَذَا عَلَى أهْلِنَا ؟ أَلَيْسَ لِأَهْلِنَا حَقٌّ فِي الْحَيَاةِ مِثْلُ الْآخَرِينَ ؟

عساكر : (كَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ) مَا هَذَا الْكَلَامُ يَا عُلْوَانُ ؟

علوان : هَذَا مَا يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَهُ أَهْلُ الْبَلَدِ . وَوَاجِبُنَا نَحْنُ الَّذِينَ تَعَلَّمْنَا فِي الْقَاهِرَةِ أَنْ نُبَصِّرَهُمْ بِحَقِّهِمْ فِي الْحَيَاةِ . وَلَيْسَ بُلُوغُ هَذَا الْمَأْرَبِ بِالصَّعْبِ عَلَيْهِمْ ، إِذَا اتَّحَدُوا وَتَظَافَرُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى إِنْشَاءِ مَجْلِسٍ مِنْهُمْ ، يَفْرِضُ الْإِتَاوَاتِ(3) عَلَى الْقَادِرِينَ ، وَعَلَى تَكْوِينِ فِرَقٍ مِنَ الْأَشِدَّاءِ تَنْهَضُ فِي أَوْقَاتِ الْفَرَاغِ الطَّوِيلَةِ هُنَا بِإِقَامَةِ الْجُسُورِ وَالْمُنْشَآتِ ؛ بَدَلاً مِنْ إِضَاعَتِهَا فِي النُّفُورِ وَالْمُشَاحَنَاتِ . لَوْ جُمِعَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ ، وبُذِلَتْ هَذِهِ الْمَهَمَّةُ

1) الدَّنّ . ـ 2) ج . مسارج : السِّراج . 3) الصواب في جَمْع (إتاوة) هُوَ أَتَاوى .

لَقَامَتْ هُنَا بَلْدَةٌ نَمُوذَجِيَّةٌ لَنْ تَلْبَثَ حَتَّى تَكُونَ مِثَالاً يَحْتَذِي بِهِ كُلُّ الْقُطْرِ .

عساكر : كَلَامُ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ هَذَا ، تُسَامِرُ بِهِ ، فِيمَا بَعْدُ ، الشَّيْخَ مُحَمَّدًا الْأَسْنَاوِيَّ ، هُوَ الَّذِي يَفْهَمُه ، أَمَّا الْآنَ ، يَا عُلْوَان ، فَأَمَامَنَا مَا هُوَ أَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ .

علوان : (مَصْدُومًا) ما الذي هُوَ أَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ ؟

عساكر : نَعَمْ .. دَعْكَ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْجَامِعِ ، اللَّيْلَةَ ، لِئَلَّا يَفْسُدَ الْأَمْرُ ، صَلِّ هُنَا إِذَا شِئْتَ ، قُمْ وَاخْلَعْ ثِيَابَكَ ، وسَأُحْضِرُ لَكَ مِنَ الزِّيرِ مَاءً تَتَوَضَّأُ ، وَالْبَسِ الْعَبَاءَةَ ثُمَّ سُنَّ السِّكِّينَ ..

علوان : (مُطْرِقًا هَامِسًا) اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ ، ورِضْوَانَكَ ، وغُفْرَانَك ...

عساكر : مَاذَا تَقُولُ يَا عُلْوَانُ ؟

علوان : (يرفع رأسه) أقول : إِنِّي مَا جِئْتُ إِلّا لأُبْصِرَ الحياةَ ، وأَحْمِلَ لَكُم الْحَيَاةَ .

عساكر : وَهَذَا مَا صَبَرْنَا اللَّيَالِيَ تَرَقُّبًا لَهُ . سَبْعَةَ عَشَرَ عامًا والعَزَايِزَةُ[1] كُلُّهُمْ أَمْوَاتٌ فِي انْتِظَارِ مَجِيئِكَ لِتَرُدَّ إِلَيْهِمُ الْحَيَاةَ .

علوان : (يُطْرِقُ هَامِسًا) رَبَّاهُ ! مَاذَا أَصْنَعُ مَعَ هَؤُلَاءِ ؟

عساكر : مَا بَالُكَ يَا عُلْوَانُ ، تُكْثِرُ مِن الْإِطْرَاقِ ؟ انْهَضْ وَلَا تُضَيِّعِ الْوَقْتَ ... انْهَضْ .

علوان : (يَرْفَعُ رَأْسَهُ مُتَشَجِّعاً) أُمِّي ، لَنْ أَقْتُلَ .

عساكر : (تَكْتُمُ ارْتِيَاعَهَا) مَاذَا أَسْمَعُ ؟

علوان : لَنْ أَقْتُلَ ..

عساكر : (بِصَوْتٍ أَجَشَّ) دَمُ أَبِيكَ ...

---

1) العشيرة التي ينتمي إليها علوان .

علوان : أَضَعْتُمُوهُ أَنْتُمْ بِإِخْفَائِهِ عَنِ الْحُكُومَةِ .. القِصَاصُ لِأُولِي الْأَمْرِ .

الدّراسـة الأدبيـّة والفنيّة :

الموضــوع :

موضوع المسرحية التي اقْتُطع منها هذا النص اجتماعي هادف . بسَط فيه الكاتب ظاهرة خطيرة طالما كانت تَفُتّ في عَضُدِ المجتمع المصري . إنها ظاهرة الأخذ بالثّأر التي يمقتها ويُحاربها . فهو في سياق التّنديد بها ينتقد مظاهر التخلف في الريف .

العقـدة :

العقدة هي ذروة الصراع ولحظة التوتر القصوى في سير أحداث المسرحية ، هي النقطة التي تشتد فيها أزمة المسرحية . ويشتهي القارئ أو المشاهِد أن يقوم لها حلٌّ .

وإن كان لا يمكن أن نتحدث عن عقدة مسرحية (أغنية الموت) . بالنظر إلى أننا نتناول مقطوعة منها فقط . فإنه يمكن أن نشير إلى التأزم الشديد الحاصل من رفض علوان أخذَ ثأر أبيه .

الحُبكـة[1] :

الحُبكة معناها ترتيب الحوادث . والمسرحية قصة تُمثَّل . ولكل مسرحية حوادث . وعرض حوادث المسرحية يختلف من كاتب إلى آخر . وفي الْمقْطوعة التي بين أيدينا تصوير لحادثة اصطدام الشاب علوان برغبة أُمِّه في أخذ ثأر أبيه بكيفية جذّابة ، فبالرغم من أنه يعارض أمّه في الرأي . فذلك لم يمنعه من توقيرها ومواجهتها بأناة وحِلْمٍ .

الصــراع :

الصراع عمود المسرحية . أو هو وَقُودها الذي تتحرك به . وقد كان الصراع في مسرحية أغنية الموت مُتَوَافِرًا . وقد ظهر ـ كما ترى ـ في هذه المَقطوعة،حيث وقع الشاب بين نازعين : ضغوطِ أمّه التي تريد منه أن يأخذ بثأر أبيه . ودواعي واجب التحضّر والتمدُّن الذي يدعوه إلى نَبْذِ هذه العادة الجاهلية . وإسناد الأمور إلى أصحابها .

1) الحبكة : الحبل يُشَدّ بهِ علَى الوسط . والمُراد هنا ترتيب الحوادث . وتنسيق عناصر المسرحية .

وقد تجلت في الصراع الْمَكْتُوم الدائر بين علوان وأمِّه عواطفُ وأهواء قويّة ؛ ففي حين كان إحساس علوان بأن الواجب يَدْعُوهُ إلى رفض الرضوخ لرغبة والدته ومشيئة قبيلته ، كان هَوَى عساكرَ أمِّه متأجِّجًا ؛ فهيَ تريد بأي ثَمَنٍ أن يقوم ابنها بما تراه واجباً مقدساً .

الشخصيـات :

تبرز المقطوعة التي بين أيدينا ملامح شخصيتين اثنتين هما علوان وأمه ؛ فأما علوان فشاب مثقف طموح ؛ يرغب في تسخير ما أوتي من المعرفة من أجل إنهاض مجتمعه القرويّ . أقوالُه موافقة لمستواه الفِكري ، ومواقفه تخدم غرض المسرحية ؛ وأمّا أمه فَكَهْلَةٌ مشدودةٌ إلى ماضيها ، ومتشبثة بعادات أهلها ؛ فالحياة لا يمكن أن تكون ـ في نظرها ـ إلّا كما عايشتها وتعيشُها في بِيئَتِهَا المحدودة . فمواقفها موائمة لطبيعتها ، منسجمة مع محيطها الاجتماعي .

الحـوار :

الحوار هو هيكل المسرحية ولُبُّها في آن واحد . فهو أجلّ شيء في العمل المسرحي . ولو تأملنا حوار هذه المقطوعة في تَرَوٍّ وتَمَعُّن لَلَمَسْنَا فيه هذه المميزات :

1 ـ السهولَة والعَفْوِيّة . فهو خالٍ من الألفاظ الغامضة والعبارات الصعبة والزخارف البيانية .

2 ـ المطابقة لواقِع الشخصيات . فحديث علوان يناسب عقل شاب مثقف . وكذلك حديث عساكر فهو يعطي صورة عن جمودها وتخلفها .

3 ـ التنوع من حيث الطول والقصر .

الهـدف :

الأدب المسرحي هادف في معظمه . والهدف غير الموضوع ؛ فقد يكون الموضوع وطنيا والهدف إنسانيا . وقد يكون الموضوع اجتماعيا ـ كما هو الحال في مسرحية (أغنية الموت) ـ والهدف وطنيا . والهدف هو مراد الكاتب من المسرحية ؛ لماذا كتبها ؟ وماذا يعني بها ؟ والموضوع هو الأساس الذي تبنى عليه قصة المسرحية وحوادثها . وقد وفق الكاتب في رسم هدفه ؛ فقد انتقد بعض مظاهر التخلف في مجتمعه من خلال الحوار الذي أجراه على لسان علوان ؛ واستطاع أن يُوجّه الناس بأسلوب غير مباشر يخلو من الوعظ والإرشاد .

البيئـة :

بالرغم من أن المقطوعة التي اقتطفناها من مسرحية (أغنية الموت) لا تمثل سوى جزء ضئيل من النص الكامل ، فإنه يجعلنا نحس بالبيئة التي تجري فيها الأحداث إحساسا قويا . وقد ساعد على رسم البيئة ما حمله الحوارُ من مشاهدَ وملامح بيِّنةٍ ؛ فالبيئةُ ريفيةٌ ما يزال فيها الناس يعيشون في أكواخ بجوار ماشيتهم يستضيئون بالمِسْرَجَه ، ويضعون مياه الشرب في الزير. الخ .... .

تماريـن تطبيقيـة :

1 ـ ما الفن الأدبي الذي برز فيه توفيق الحكيم ؟
2 ـ ما هي الأنواع المسرحية التي كتب فيها ؟
3 ـ هل قصر نشاطه على المسرح ؟
4 ـ ما موضوع النص ؟ وما غرضُهُ ؟
5 ـ ما هي الحادثة التي يُصورها النص ؟
6 ـ وقع الشاب عُلْوَان بين نازعين . ما هُمَا ؟ وكيف جَلّاهما الصراعُ القائم في المسرحية ؟
7 ـ ما هي ملامح الشخصيتين كما تظهر في النص ؟
8 ـ ما هي مميزات الحوار كما تتجلى في النص ؟
9 ـ بين ملامح البيئة كما تبدو في النص ؟

لقد كان لكم في رسولِ الله أسوةٌ حسنة

21 الأحزاب

تطور فنّي القصّة والمسرحيّة وخصائصهما

أ ـ تطـور فـن القصــة :

لقد كان للعرب قديماً اهتمام بالفنون القصصية . وقد اتّسم إنتاجهم القصصي بسمات متعددة ، تقربه من الفنون القصبصية الحديثة ، أهمُّها تَوَافُر عناصر القصّة الأساسية ، من **حادثة** ، **وأشخاص** ، **وحوار** . لكن هذا الإنتاج ، من جهة أخرى ، يفتقر إلى الحُبْكة الفنية ، حيث يَرِدُ فيه وصفُ الشخصيات سطحيا ناقصا ، لا يساعد على كشف خصائصها النفسية . ويأتي فيه الحوار مُتكلفا ، لا يرتبطُ بالحادثة ، ولا يسهم في إبراز سمات كلّ شخصية . أما الحوادث فتُسْرَدُ في حركة خارجية آلية ، لا تتفاعل مع الشخصيات تفاعُلاً طبيعيا .

تأثر الأدب العربي بالفنون القصصية الغربية :

وفي العصر الحديث نجد في المكتبات العربية عددًا كبيرًا من القصص ، تَوَافر لها البناء الفنّي ، الذي ينمو فيه الحدث القصصي متفاعلاً تفاعلا طبيعيا مع الشخصية والبيئة حتَّى يَبْلُغَ مداه .

وإذا بحثنا عن مصدر هذا الشكل الفني الذي تتجلىّ فيه القصّة العربية الحديثة ، فإننا لانجده امتدادًا للقصّة العربية القديمة ، وإنما هو نتاج تأثر العرب بالآداب الغربية ، لما أُتيح لهم الاحتكاك بالثقافة الأوربية .

فقد كان لاِتّصال الشرق بالغرب ، في العصر الحديث ، أثر قويّ في بعث هذا الفن الأدبي ، فلم يَكَدِ المثقفون العرب يتصلون بالثقافة الغربية ، ويَطَّلعون على آداب أوربا ، التي تسودها القصّة آنذاك ، وتحتل فيها مكانًا رفيعا ، حتّى استجابوا لهذا الفنّ ، وأعجبوا به ، وأقبلوا عليه يتذوقونه ، ثم حاولوا محاكاته ، وأخذوا يؤلفون فيه ، فأبدعوا قصصا فنية جيدة .

لم تبلغ الفنون القصصية العربية مستوى النضج ، إلّا بعد أن مرّت بعدة أطوار هي :

1 ـ **طور الترجمة** : ويتمثل في نقل بعض القصص الأدبية إلى العربية ، نقلا أمينا ، أو نقلا بِتَصَرُّف . وقد كان رفاعة الطهطاوي رائد هذا الطور بتعريب قصّة (مُغَامَرَات تِلِمَاك) .

2 ـ **طور المحاكاة والاقتباس** : ويتمثل في محاكاة القصّة الغربية ، في شكلها الفني ، وتصوير أحداثٍ وشخصيات من البيئة العربية . وقد اشتهر من إنتاج هذا الطور قصتان ، هما : (حديث عيسَى بن هشام) لِلْمُوَيْلِحي ، و(ليالي سطيح) لحافظ إبراهيم .

3 ـ **طور التأليف والإبداع** : ويبدأ هذا الطور بقصة **(زينب)** ، التي ألّفها الدكتور هيكل . وقَدْ عُدَّت أَوَّلَ محاولة جادّة لوضع قصّة عربية ، وفق المقاييس المعروفة لدى الغربيين .

وقد أخذت القصّة العربية بعد ذلك تتابع سيرها إلى التطور ، وتخطو خطوات مُوَفَّقة نحو الكمال ، حَتى أصبحت فنا أدبيا متكاملاً .

وتعددت اتجاهات القصّة العربية الحديثة ، فنها ما يُعالج القضايا الاجتماعية ، ومنها ما يتناول المَسَائِل النفسية ، ومنها ما يعرض المشاكل القومية ، والمواقف الوطنية .

خصائـص القصـة

تتوافر القصة الفنية على ستة عناصر أساسية ، وهي :

1 ـ **الحادثة** : وهي ، في العمل القصصي ، مجموعة من الوقائع الجزئية ، تأتي مرتبطة ومنظمة على نحو خاصّ . في كل قصة يجب أن تحدث أشياء في نظام معين . وأن تكون حوادثها ، وشخصياتها مرتبطة ارتباطًا منطقيا ، يجعل من مجموعها وحدة ذات دلالة محددة .

2 ـ **السّرْد** : إنّ الأحداث التي تقوم بها شخصيات القصّة ، أو تخضع لها ، يعرضها الكاتب بلغته وأسلوبه . وإذا كان لكلّ كاتب زاده اللغوي الخاصّ به ، فإن هناك صفات عامّة لِلُغَة السّرد ، وهي السهولة ، والخِفّة ، والوُضُوح ، وملاءمة المَعَاني .

3 ـ **الحُبْكة** : هو التصميم العامّ المعقول لأحداث القصّة ، فعمل الأديب يقوم عَلَى اختيار الأحداث وتنسيقها ووضعها في نسيج فني ، يهيء الأديب مُقدمة تبتدئ منها

القصّة ، ثم يحرك الأحداث ويطوّرها ليجعلها تشتبك وتتأزم ، ثم يتدرج بها إلى الانفراج والحل .

4 ـ **الشخصيّة** : « القصّة معرض لأشخاص جدد يقابلهم القارىء ليتعرف عليهم ، ويتفهم دورهم ، ويحدد موقفهم ... فقبل أن يستطيع الكاتب أن يجعل قارئه يتعاطف وجدانيا مع الشخصية ، يجب أن تكون هذه الشخصية حيّة ، فالقارئ يريد أن يراها ، وهي تتحرك ، وأن يسمعها وهي تتكلّم »[1]

والشخصيات نوعان :

أ ـ **جاهزة مكتملة** : وهي التي تتميز تصرّفاتُها ومواقفها بطابع واحد .

ب ـ **نامية** : وهي التي يَتِمّ تكوينها بتمام القصة .

5 ـ **الزمان والمكان** : كلُّ حادثة في القصة ، لابدّ أن تقع في مكان معيّن ، وزمان معين وهي لذلك ترتبط بظروف وعادات ومبادىء خاصّة بالزمان والمكان اللذين وقعت فيهما[2]

6 ـ **الفكرة** : القصّة تُكتب لتُقرِّر فكرة ، لتنقل خلاصة تأمل ، أو تجربة شعورية . إنّ الكاتب يقوم بصَوْغِ الفكرة التي جرّدها من الحياة ، في إطار فني جديد ، ويُجسِّدها في أشخاص وأحداث ، يُخْرجهم من محيط الحياة العادية ، ليدخلهم في إطارعمله الفني ، وهو القصّة .

ب ـ تطور القصّة القصيرة :

لقد عرف العرب فنونا قصصية متعددة ، ولعلّ أبرز هذه الفنون هو فن المقامة . وقد استمروا في التأليف في هذا الفن ، منذ أن وضع بديع الزمان الهمذاني أُسُسَهَا ، إلى غاية العصر الحديث .ولَمّا أُتيح للأدباء الناشئين الاطلاعُ على الآداب الأوربية ، تأثروا بها . وكانت القصّة القصيرة من جملة الفنون التي استهوتهم ، فراحوا في أوّل الأمر يُقلّدونها مُتأثِّرين بأساليب المقامة ، التي تتميز باحتفائها بشتى صنوف الزخرفة من بيان وبديع . ثُمّ ما لبثوا أن تبنوا القصّة القصيرة أداة للتعبير ووسيلة للتصوير ، وهجروا المقامة بعدما تبينوا أنها لا تستطيع أن تفي بحاجتهم إلى التعبير ، لأنها وضعت أصلا أداة لتعليم اللغة الفصيحة والأساليب المُهذَّبة .

1) الأدب وفنونه ـ . عز الدين اسماعيل ـ ص 191 ـ 192 .
2) المرجع السابق ص 194 .

خصائـص القصـة القصيـرة :

الأقصوصة (أو القصّة القصيرة) تصور حادثة خاصّة ، أو موقفا معينا ، أو حالة شعورية ، وقد تكونُ أُقصوصةَ حدثٍ ذي معنًى إنساني ، أو فعل غريب يصدر عن أحد الأشخاص ، يعرضه الكاتب ، ويكشف فيه لونا من مُفَارقات طبع الإنسان ، أو تناقضات الحياة والمجتمع . أو تكون أقصوصة صورة ، وفيها يتضاءل شأن الحدث وحركته ، ويركز الكاتب عمله على التصوير القصصي الذي يجلو جوّا معينا من البيئة أو الحياة .

وللأقصوصة ثلاثة عناصر تقوم عليها :

ـ **الأشخاص** : وهم أبطال الأقصوصة ، وقد يصفهم الكاتب وصفا مباشرا ، وقد يصفهم وصفا غير مباشر عن طريق الحوار ، أو عن طريق التصرف والسلوك .

ـ **الحَيِّز** : والمقصود به وحدة الزمان ووحدة المكان ، فأحداث القصّة تقع في وقت ، قصير ، وتدور في مكان أو مكانين .

ـ **الحُبْكة** : وهي الْمَجْرَى الذي تندفع فيه الشخصيات والأحداث ، بكيفية ينشأ منه تَعَقُّد في حياة أشخاص الأقصوصة . وينبغي أن تكون هذه الحوادث متسلسلة بشكل معقول ، حتّى تصل إلى **ذروة التأزم** التي يليها **حلّ للعقدة** التي حُبِكت .

جـ ـ تطور الفن المسرحي :

كان ميلاد (المسرح) العربي الحديث على يد مارون النقاش سنة 1847 ،ولكن (المسرحية) العربية لم تولد إلّا في سنة 1927 ، بإنتاج أحمد شوقي لمسرحيته الشعرية الشهيرة (مصرع كليوبترة) .

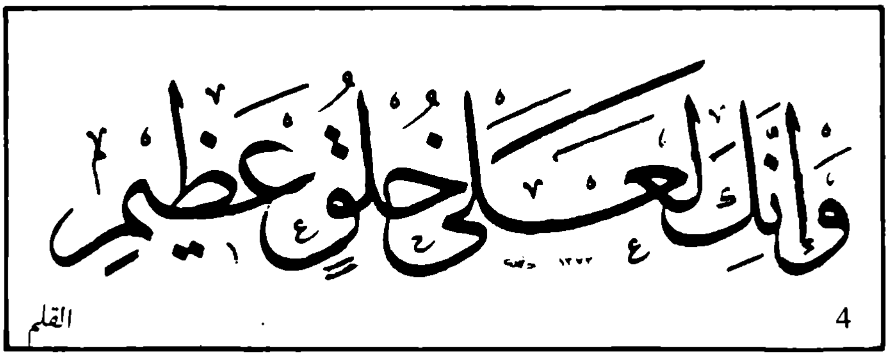
وقد كان لنجاح مسرحيات أحمد شوقي ، ولانتشار دُورِ المسرح ، الأثر الكبير في دفع الكتاب إلى الخروج شيئا فشيئا من دائرة التعبير الشعري والنثري إلى التعبير المسرحي .

وقد برز في هذا المجال كُتّاب كثيرون ، وقفوا أقلامَهُم على الكتابة للمسرح ، أو جعلوا للمسرح منها نصيبا وافرا . وأشهرهم : عزيز أَبَاظَة ،[1] وعلي أحمد با كثير ، ومحمود تيمور ، وتوفيق الحكيم ، الذي يُعد أشهر الكتّاب المسرحيين نظرًا لغزارة إنتاجه الذي يبلغ حَوَالَى ثمانين مسرحية .ويُعد مستوى مسرح توفيق الحكيم رفيعًا جدًّا ، ولذلك وُصف بالذهنية .

خصائص المسرحيّة :

المسرحية فن من الفنون الأدبية تشترك مع القصّة في «اشتمالها **على الحادثة والشخصية والفكرة والتعبير**»[2] ، ولا يميزها عنها تميزًا واضحا سوى اقتصارها على استخدام الحوار فقط . وسواء أُعِدّت المسرحية للتمثيل أو للقراءة ، فإن الحوار هو أداتها الوحيدة الْمُعْتَمَدَة للتصوير ، فبه يرسم المؤلف الشخوص ، ويعرض الحوادث . ولكي يكون الحوار المسرحي ناجحا ينبغي أن يتوافر على عدد من الشروط أهمها :

- مطابقته للشخصية .
- سهولته ، حتّى يتسنّى للناس فهمه في يسر .
- حياده تجاه المؤلف ؛ فلا تطغى روح المؤلف عليه طغيانا يفسده .



1) عزيز أباظة شاعر مصري ، يُعدّ تلميذا لأحمد شوقي . مسرحياته شعرية أشهرها : قيس ولُبنى ـ العبّاسة ـ غروب الأندلس .

2) الأدب وفنونه ـ د . عز الدين إسماعيل ـ ص 239 .

الفصـــل الســّادس

الشِّعـر السِّيَاســي

1 إلى الطغاة – للشَّابي.
2 مطلع الفجر – لمفدي زكرياء.
3 – من مَلحمة الجزائر – لسليمان العيسى.
4 – فلسطين إنَّا أجبنا الندا – لأحمد سحنون.
5 – تطور الشعر السياسي وخصائصه.

الشعـر السّياسـي

تعريـف :

الشعر السياسي هو ما يُنظم في شأن من شؤون السياسة ؛ يدعو به الشعراء لقبيلة أو حزب أو دولة ، أو لمبدإٍ سياسي ؛ مثل مبدإ الشورى أو الديمقراطية .. ومن هنا ، فإن دواعي النّظم في هذا النوع من الشعر متعددة : فمن الشعراء من ينظم فيه بدافع منفعة أو عصبيّة ، ومنهم من يفعل ذلك بدافع تبني فكرة أو مبدإ ..

ومن ضروب الشعر السياسي :

أ ـ الشعر التَّحرُّري .

ب ـ الشعر الوطني .

فأما الأول ، فقد ارتبط بحركات التحرر العربية من الاستعمار بأشكاله المختلفة ، وقد نشط ابتداءً من مطلع القرن العشرين .

وأما الثاني ، فنظم فيه الشعراء قديمًا وحديثًا ، وفيه وصفوا أوطانهم ، وعبّروا عن حُبّهم لها وتعلّقهم بها ، وعن آمالهم في ازدهارها ورُقِيّها ...

إلـــى الطّغــاة

لأبي القاسم الشـــّابي

تمهيـد :



الشابي شاعر تونس الخضراء ، ومن أشهر شعراء المغرب العربي ، ولد بقرية «الشابية» جنوب القطر التونسي ، وفيها حفظ القرآن الكريم ، وتعلم مبادئ العلم والمعرفة ، ثم التحق بجامعة الزيتونة ، وتخرّج منها سنة 1930 ، كان شغوفا بمطالعة الأدب العربي القديم والحديث ، كما كان يطالع الأدب الأوربي المترجم ، ممّا غذّى وأثْرى موهبته الأدبية المبكرة ، فقال شعرا جديدا ، وإن كان قليلا ، لموته متأثرا بداء تضخم القلب ، قبل أن يتخطى السادسة والعشرين من عمره .

ترك شعرا ينبض بالحياة ، تبدو من خلاله إرادته القوية في إحياء أمته بدعوته إياها إلى الكفاح ومقاومة المستعمرين ، معلّما قومه أنّ التضحية هي الطريق الوحيد إلى النصر والحرية .

وفي الأبيات التالية نسمع منه صرخة من صرخاته المدوية في وجه المحتل الغاصب ، نستشف من ورائها الإحساس الوطني العميق .

النـص :

ـ أ ـ

1 ـ أَلَا أَيُّهَا الظَّالِمُ الْمُسْتَبِدُّ   حَبِيبُ الْفَنَاءِ عَدُوُّ الْحَيَاهْ
2 ـ سَخِرْتَ بِأَنَّاتِ شَعْبٍ ضَعِيفٍ   وَكَفُّكَ مَخْضُوبَةٌ مِنْ دِمَاهْ
3 ـ وَعِشْتَ تُدَنِّسُ سِحْرَ الْوُجُودِ   وَتَبْذُرُ شَوْكَ الْأَسَى فِي رُبَاهْ

ـ ب ـ

4 ـ رُوَيْدَكَ ، لَا يَخْدَعَنْكَ الرَّبِيعُ   وَصَحْوُ الْفَضَاءِ وَضَوْءُ الصَّبَاحْ
5 ـ فَفِي الْأُفُقِ الرَّحْبِ هَوْلُ الظَّلَامِ   وَقَصْفُ الرُّعُودِ وَعَصْفُ الرِّيَاحْ
6 ـ وَلَا تَهْزَأَنْ بِنَوْحِ الضَّعِيفِ   فَمَنْ يَبْذُرِ الشَّوْكَ يَجْنِ الْجِرَاحْ

ـ جـ ـ

7 ـ تَأَمَّلْ هُنَالِكَ أَنَّى حَصَدْتَ   رُؤُوسَ الْوَرَى وَزُهُورَ الْأَمَلْ
8 ـ وَرَوَّيْتَ بِالدَّمِ قَلْبَ التُّرَابِ   وَأَشْرَبْتَهُ الدَّمْعَ حَتَّى ثَمِلْ

ـ د ـ

9 ـ سَيَجْرُفُكَ السَّيْلُ سَيْلُ الدِّمَا   وَيَأْكُلُكَ الْعَاصِفُ الْمُشْتَعِلْ

تحليل وشرح

يصيح الشاعر في وجه المحتل الظالم منذرًا إيّاه بقرب نهايته ، متنبئا بانتصار المستضعفين عليه ، وفكرة النص العامة هي : إنذار بالثورة وتوعُّد بالانتقام ، تضمنت أربع أفكار أساسية :

أ ـ تنديد بالظالم المستبد .
ب ـ تهديد ووعيد .
جـ ـ تذكير بجرائم الظالم .
د ـ عاقبة الطغيان .

أ ـ [**مخضوبة** : ملوّنة ، والخضاب : ما يخضب به من حنّاء وغيره ـ **تدنس** : توسخ] .

يفتتح الشابي موضوعه بصيحة شجاعة قائلا للمستعمر الغاصب : أنت ظالم ضالع . تحب سفك الدماء والموت . وتكره الحرية والحياة . تهزأ من آلام الضعفاء . ويداك مضخة بدمائهم . فأنت عليهم بلاء . فكم من أرواح أزهقت . وكم من حريات سلبت . وكم من ثروات نهبت . إنك بهذه الأعمال تلوث جمال الكون . وتبذر فيه الآلام والأحزان .

ب - [رويدك : اسم فعل أمر بمعنى : تمهل ولا تتعجل] .

ويتوعد الشاعر المستبد الغاشم في القسم الثاني وينذره بقوله : تمهل بهذا . ولاتسرف في قهرك للضعفاء . ولاتنخدع بالهدوء والاستقرار بين الشعوب التي أذللتها . فإنه الهدوء الذي يسبق العاصفة . وعما قليل ستنفض تلك الشعوب غبار النوم عن نفسها . ويومئذ ستعرف مدى قوة بكاء الضعفاء وصرخاتهم التي كنت تسخر منها . فعليك . وقتها . أن تتحمل عاقبة أوزارك وأفعالك الشنيعة . «فكما تدين تدان . وسيعْلَمُ الّذين ظلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ ينْقلِبُون»[1].

جـ - [أنى : هنا بمعنى كيف - ثمل : سكر] .

وفي القسم الثالث يذكر أبو القاسم الاستعمار بآثامه وجرائمه قائلا :
انظر جيدا إلى الأرواح البريئة التي أزهقتها ! وإلى الشباب الّذين حصدت أرواحهم في عمر الزهور ! وهم أمل أمتهم . انظر إلى سيل دمائهم الغزيرة التي سُقي بها التراب حتى ارتوى . ففاضت عيون آبائهم وأمهاتهم . وانهمرت منها دموع كالمطر تسقي أعماق الثرى !

د - [يجرفك : يزيلك من طريقه] .

وفي القسم الأخير يتنبأ الشاعر بمصير الاستعمار فيقول : إن أنهار الدماء التي سفكتها ظلما وعدوانا سوف تصبح طوفانا عارما يقتلع جذورك . وإن رياح الثورة سوف تعصف بك وتهلكك . وعاقبتك هي عاقبة كل جبار عنيد : دمار وزوال .

---

1) من الآية الأخيرة من سورة الشعراء .

الدّراسـة الأدبيّـة والفنيـّة :

أ ـ الأفكـار :

هذا النص من الشعر السياسي التحرري ، الهادف إلى نفخ الروح الوطنية الثورية في النفوس لمقاومة المحتلين الطغاة . ظهر هذا اللون من الشعر في العصر الحديث ، بسبب ظروف احتلال البلاد العربية .

وتبدو الأفكار ذات وحدة موضوعية ، شديدة الانسجام والترابط ، فكل فكرة تمهد لما بعدها ، وطيدة الصلة بما قبلها ، وعند استعراضها نجد أن الشاعر بدأ بصيحته في وجه الظالم المستبد ، وبعدها هدده وأنذره ، ثم ذكَّره بجرائمه الشنعاء ، ليتنبأ له بنهايته المحتومة .فالنتيجة كانت منطقية نظرا لما سبقها من مقدمات .

وكما كانت القصيدة ذات وحدة موضوعية فإنها جاءت نسيجا مترابطا ، لا يمكنك تقديم أو تأخير بيت عن مكانه من غير أن يرتبك المعنى ، ونسيج القصيدة على هذا النحو هو ما يسمى عند المجددين «بالوحدة العضوية» .

ونلمح في النص مظهرين هامين من مظاهر التجديد لدى الشابي **أولها** : جعله القضية التي يتحدث عنها ذات صبغة إنسانية عالمية ، فهو وإن كان يرمي إلى إيقاظ شعبه التونسي وإثارته لمقاومة الاستعمار الفرنسي ، لكن صياغته للموضوع جاءت في أفكار تتجاوب معها جميع العقول المحبة للحق والحرية ، وتستجيب لها كل الضمائر الحية ، فالناس في جميع الأزمنة والأمكنة يشعرون بمرارة الاضطهاد والتعسف ، ويبغضون الغزاة والمستبدين ، بحيث يشعر القارىء أو السامع الذي يعيش في مثل ظروف الشاعر ـ أن ما يقرأ أو يسمع هو تعبير ناطق بمشكلته الذاتية ، والشاعر الجيّد هو الذي ينطلق ، فيما يقول ، من موقف شخصي يشعر به ، ثم لا يتوقف عند هذا الحد ، بل يتعداه إلى أن يضفي على تعبيره عن عواطفه وعواطف شعبه صبغة إنسانية عامة . **ثانيها** : استعانته بمظاهر الطبيعة المختلفة لتشخيص تجربته ، فقد اتخذ من : «الصباح ، والظلام ، والنبات ، والرياح ، والماء ، واللهيب» لَبِنات عمله الفني ، وهذا الاتجاه في الشعر العربي المعاصر ظهر ونما على أيدي شعراء المهجر ، وتأثر بهم شعراء آخرون أمثال : علي محمود طه ، والدكتور إبراهيم ناجي ، وشاعرنا ، وغيرهم من الأدباء ممّن سار على درب الرومنسيين .

ب ـ العاطفـة :

يتضح من قراءة القصيدة أن عاطفة الشاعر غضب وثورة على الطغاة المستبدين ، ولا شك في قوتها وصدقها ، لأن الشاعر عبر عن تجربة عانى منها الكثير هو وشعبه في تونس وطنه الصغير ، وفي وطنه العربي الكبير ، كما عانى منها المجتمع الإنساني عامة ، من ظلم وبطش الطغاة وويلاتهم ، وإذلالهم واستغلالهم ، ولأنه كذلك استطاع أن يؤثر في المتلقّي ويجعله يعَيش معه حالته الشعورية التي كان يعاني منها شعبه ، يضاف لهذا قوة التعبير بالصور لتجسيد المعاني .

جـ ـ الأسلـوب :

يمتاز النص بالسهولة والوضوح ، وفصاحة اللغة ، وألفاظه منتقاة مختارة ، وموحية بالمعاني ، انظر مثلا إلى : «تدنس ، قصف الرعود ، عصف الرياح ، السيل ، روّيت» فإن الكلمة الأولى تثير اشمئزاز النفس ممّن يوسخ جمال الحياة بجرائمه ، والثانية والثالثة والرابعة توحي بأهوال الثورة التي سوف تندلع ضد المستعمر ، وفي الكلمة الأخيرة إشارة إلى كثرة ما أريق من دماء الضحايا على الأرض .

أساليب القصيدة تراوحت بين الخبر والإنشاء ، فالأسلوب الخبري كان غرضه الأدبي في البيتين الثاني والثالث تقرير الوقائع البشعة التي فعلها المحتل الغاصب ، وفي البيت الخامس غرضه تهديد المستعمر ، وفي البيت الأخير غرضه تحقيق الوقوع ، والثقة بنجاح الثورة على الاستعمار .

أما الأسلوب الإنشائي فمنه النداء في : «أيها الظالم المستبد» غرضه لفت نظر الطغاة وتهديدهم ، ومنه الأمر في البيت السابع : «تأمّل هنالك ...» وغرضه الأدبي الإنكار والسخط ، والنهي في البيت السادس : «ولا تهزأن» وهو يفيد التهديد .

والشابي في هذا النص ذو خيال واسع تنعكس فيه عاطفته ، وصوره ذات تأثير قوي في المعنى ، من ذلك ما ورد في البيت الثالث : «وتبذر (شوك الأسى) في رباه» فهو تشبيه بليغ يُوحي بمدى العذاب الذي يعانيه الشعب المغلوب على أمره ؛ إذ شبه الأسى والحزن بالشوك ، وهو من باب إضافة المشبه به إلى المشبه ، و من الصور أيضا الاستعارة الواردة في البيت السابع :

«حصدت رؤوس الورى» ، فقد شبه الرؤوس بالزرع ، وحذف المشبه به ، وأشار إليه بشيئ من لوازمه (حصد) ، فهي استعارة مكنية ، فيها تجسيم لشناعة ما يفعله المستعمر ، وتشخيص لجرائمه ، فإن التعبير بالحصاد يدل على كثرة الضحايا ، ومنها قوله في البيت الثامن : «وروّيت بالدم قلب التراب» وهي كناية عن بشاعة فظائع الاستعمار . لأن وصول الدماء إلى أعماق الأرض يدل على كثرة ما أريق منها .

أما جانب البديع فلم يوله الشاعر اهتماما كبيرا ، لأن اهتمامه انصب على المعنى وجودة التعبير والتصوير ، فمن المحسنات البديعية ما جاء في البيت الأول : «حبيب الفناء ، عدو الحياة» فهي مقابلة توضح مدى التناقض بين هذه الصفات . وفي البيت الخامس جناس ناقص بين «قصف ... عصف» أدخل نغمة مأنوسة على العبارة .

وبحر القصيدة من «المتقارب» ذي التفعيلات القصيرة المتتابعة المناسبة للحماس الثوري ، وقد أعان على هذه الموسيقى الحماسية ذلك التقسيم الواضح في عدد من أبيات النص ، مثل : (حبيب الفناء ، عدو الحياة ـ وقصف الرعود ، وعصف الرياح) ، ولم يلتزم الشاعر قافية واحدة ، وذلك أحد مظاهر التجديد في الشعر العربي المعاصر ، وتفعيلات المتقارب هي :

فعولن فعولن فعولن فعولن   فعولن فعولن فعولن فعولن

د ـ الأحكام والقيم :

هذا النص يعطي صورة عن الشابي الذي يبدو وطنيا مخلصا ، وثائرا جريئا ، وشاعرا مجددا ، رومنسي الاتجاه ، إنساني النزعة .

وفي القصيدة قيمة إنسانية خالدة هي : حب الحرية وإباء الذل والعبودية ، ووجوب سعي المستضعفين إلى التحرُّر من قيود الظلم والاستبداد ، وتقابل هذه القيمة قيمة سلبية هي جشع الطغاة وحبهم للاستغلال والتسلط وسفك الدماء .

كما تبدو من خلال النص قيمة تاريخية هي الصراع الذي كان دائرا بين الاستعمار والوطنيين الأحرار في الوطن العربي .

وهناك قيمة فنية سبق الحديث عنها هي اتجاه الشاعر التجديدي في نزعته الإنسانية ، ونزعته الرومنسية الميالة إلى تشخيص المعاني بمظاهر الطبيعية ، والتنويع في القافية ، مع الحرص على الوحدة العضوية في القصيدة ،

تماريـن تطبيقيـة :

1 ـ ما هي الظروف التي دفعت الشاعر إلى كتابة هذه القصيدة ؟وهل ترسم خطاه شعراء آخرون؟ ومن هم ؟

2 ـ حدد معالم الصورة البشعة التي رسمها الشابي للاستعمار .

3 ـ استخرج من القسم الثاني أسلوبين إنشائيين مختلفين ، و من القسم الثالث أسلوبا خبريا ، وبين الغرض الأدبي من كُلٍّ منها .

4 ـ في البيتين (5 ـ 9) صورتان بيانيتان . اذكر نوعيها واشرحها ، وبين ما أحدثتا من تأثير في المعنى .

5 ـ ما هي أهم مظاهر التجديد في النص ؟

6 ـ احفظ النص كله .

نـص للتحليـل :

إرادة الحيـاة

للشابـي

1 ـ إذَا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الْحَيَاةْ فَلاَبُــــدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَــــدَرْ
2 ـ وَلاَبُــــدَّ لِلَّيْــــلِ أَنْ يَنْجَلِي وَلاَبُــــدَّ لِلْقَيْــــدِ أَنْ يَنْكَسِــــرْ
3 ـ وَمَنْ لَمْ يُعَانِقْهُ شَوْقُ الْحَيَاةْ تَبَخَّــرَ فِي جَوِّهَــا وَانْــدَثَــرْ
4 ـ كَـذَلِكَ قَـالَتْ لِيَ الْكَـائِنَاتْ وَحَــدَّثَنِي رُوحُهَــا الْمُسْتَتِــرْ
5 ـ وَدَمْدَمَتِ الرِّيحُ بَيْنَ الْفِجَاجْ وَفَوْقَ الْجِبَــالِ وَتَحْتَ الشَّجَــرْ :
6 ـ «إذَ مَـا طَمَحْتُ إِلَى غَـايَـةٍ لَبِسْتُ الْمُنَى وَخَلَعْتُ الْحَــذَرْ
7 ـ وَلَـمْ أَتَخَوَّفْ وُعُورَ الشِّعَـابْ وَلَا كُبَّــةَ اللَّهَبِ الْمُسْتَعِــرْ[1]
8 ـ وَمَنْ لَا يُحِبَّ صُعُودَ الْجِبَالْ يَعِشْ ـ أَبَدَ الدَّهْرِ ـ بَيْنَ الْحُفَرْ

المطلـوب :

حلل النص تحليلا أدبيا حسب الطريقة التي تعودت عليها .

---

1) كبة اللهب أو النار : مُعظَمُها ـ المستعر : المتّقد المشتعل .

مطلع الفجــر

لمفدي زكريـاء



تمهيــد :

ولد شاعر الثورة الجزائرية في «بني يزقن» بغرداية سنة 1913 وتعلّم في الكتّاب بقريته ثم التحق بالمدرسة الخلدونية في تونس ، ومنها إلى جامع الزيتونة .

ساهم بعد رجوعه إلى الوطن في النشاطات الأدبية والسياسية والثورية ، مما أدى إلى سجنه في عهد الاحتلال خمس مرات متوالية ، فرّ في آخرها سنة 1959 ، وانضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني في الخارج ، وإثر استرجاع السيادة الوطنية سنة 1962 ، عاد إلى أرض الوطن ، وواصل نضاله وإبداعه الأدبي إلى أن وافته المنية بتونس سنة 1977 ، ونقل جثمانه ،رحمه الله ،إلى مسقط رأسه .

وقد خلف آثارا شعرية ، منها : اللهب المقدس ، إلياذة الجزائر ، ودواوين أخرى لم تنشر ، وله كذلك آثار نثرية اشترك في تأليفها مع غيره ، منها : الأدب العربي في الجزائر عبر التاريخ ، في أربعة أجزاء ، وتاريخ الصحافة العربية في الجزائر .

والنص التالي مأخوذ من الإلياذة التي تبلغ ألف بيت ، مقسمة إلى مائة مقطوعة ، اعتمد فيها على تسجيل الأحداث والوقائع التاريخية التي تبرز بطولات الجزائر ، وفي هذه الأبيات يتغنى بليلة فاتح نوفمبر التي انطلقت الثورة فيها ودكت قلاع المستعمرين .

النـص :

ـ أ ـ

1 ـ تَـأَذَّنَ رَبُّكَ لَيْلَـةَ قَـدْرٍ وَأَلْقَى السِّتَـارَ عَلَى أَلْفِ شَهْـرِ
2 ـ وَقَـالَ لَـهُ الشَّعْبُ أَمْـرُكَ رَبِّـي وَقَـالَ لَـهُ الـرَّبُّ : أَمْـرُكَ أَمْـرِي ! !

ـ ب ـ

3 ـ وَدَانَ الْقِصَاصُ فَرَنْسَا الْعَجُوزْ بِمَـا اجْتَـرَحَتْ مِنْ خِـدَاعٍ وَمَكْـرِ
4 ـ وَلَعْلَعَ صَوْتُ الرَّصَاصِ يُدَوِّي فَعَـافَ الْيَـرَاعُ خُـرَافَـاتِ حِبْـرِ ! !
5 ـ وَتَأْبَى الْمَدَافِعُ صَوْغَ الْكَلَامْ إِذَا لَـمْ يَكُنْ مِنْ شُوَاظٍ وَجَمْـرِ
6 ـ وَتَأْبَى الْقَنَابِلُ طَبْعَ الْحُرُوفْ إِذَا لَـمْ تَكُنْ مِنْ سَبَـائِكَ حُمْـرِ
7 ـ وَتَأْبَى الصَّفَائِحُ طَبْعَ الصَّحَا ئِفِ مَا لَمْ تَكُنْ بِالْقَرَارَتِ تَسْرِي
8 ـ وَيَأْبَى الْحَدِيدُ اسْتِمَاعَ الْحَدِيثْ إِذَا لَـمْ يَكُنْ مِنْ رَوَائِـعِ شِعْـرِي

ـ جـ ـ

9 ـ نُفَمْبَرُ غَيَّرْتَ مَجْرَى الْحَيَاهْ وَكُنْتَ ـ نُوفَمْبَـرُ ـ مَطْلَـعَ فَجْـرِ
10 ـ وَذَكَّرْتَنَا ـ فِي الْجَزَائِرِ ـ بَدْرًا فَقُمْنَـا نُضَـاهِي صَحَـابَـةَ بَـدْرِ

شَغَلْنَـا الْوَرَى ، وَمَلَأْنَـا الـدُّنَـا
بِشِعْـرٍ نُـرَتِّلُـهُ كَـالصَّلَاهْ
تَسَـابِيحُـهُ مِنْ حَنَـايَـا الْجَـزَائِـرْ

تحليـل وشـرح :

يتحدث مفدي في هذا النص عن ليلة انفجار ثورة التحرير ، فيسمو بمقامها ويشبهها بليلة القدر . وكيف لا ؟ وهي ليلة انطلاق الجهاد لتحرير البلاد والعباد تحت راية : الله أكبر . وتلك هي الفكرة العامة التي تنطوي تحتها ثلاث أفكار أساسية :

أ ـ نداء الجهاد

ب ـ دوي الرصاص والقصاص .

جـ ـ مطلع فجر الحرية .

أ ـ [**تأذن** : هنا بمعنى دعا ونادى] .

في القسم الأول مجاز المشابهة أو الاستعارة التصريحية وهي التي يحذف فيها المشبه ويصرح بالمشبه به حيث يشبه الشاعر ليلة الفاتح من نوفمبر بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر فضلا وخيرا ، ويرى أن الله تعالى أزاح أستارًا عنها ، ودعا الشعب الجزائري إلى الجهاد : فلبى نداء ربه ، وكان له النصر على أعدائه.

ب ـ [**دان** : يدين ، دَيْنا : هنا : جازاه ـ **سبائك** : هنا بمعنى الرصاص ـ **الصفائح** : هنا المطابع] .

ويتحدث الشاعر في القسم الثاني عن الاقتصاص من فرنسا ، الذي حان وقته ، جزاء ما ارتكبته من جرائم ومظالم في حق الشعب الجزائري ، فحمل السلاح ، واستعمل لغة الحديد والنار التي لا يفهم الاستعمار غيرها ، بعد أن تأكد للشعب أن الحرية لايمكن أن تُنال بالعرائض واللوائح المنمقة ، فهاهو الرصاص يدوي ويلعلع ، والقلم يعاف كتابة الاحتجاجات ، والمدافع تأبى صوغ كلام إن لم يكن من نار ولهب ، والقنابل لاتريد طبع الحروف إلا إذا كانت من رصاص أحمر ، والمطابع لاترضى نشر الصحف إلا إذا ساندتها قرارات التنفيذ ، والسلاح يُصِمّ أذنيه عن سماع الحديث إن لم يكن من الشعر الثوري الذي يحث على الجهاد والتضحية والبذل .

جـ ـ [**الدنا** : جمع مفرده : دنيا ـ **تسابيحه** : أذكاره وأوراده التي يُسبِّح اللهَ بها ـ ـ **الصلاة** : هنا الدعاء ـ **حنايا** : جوانح وقلوب . وهنا : أنحاء الجزائر .]

وينتقل مفدي في القسم الثالث إلى مخاطبة نوفمبر قائلا له : إنك غيّرت مجرى الأحداث والحياة في الجزائر ، ومحا لسان صبحك ظلام ليل الاستعمار الدامس ، فطلع فجر الحرية علينا ، وذكّرْتنا معاركك بغزوة بدر الكبرى ، وفيك أصبحنا نشبه الصحابة المجاهدين في بدر شجاعة وإخلاصا .

ويختم الشاعر الأبيات بلازمة تتكرر في كل مقطوعات الإلياذة ، يعظم فيها من شأن بطولات أبناء نوفمبر وتضحياتهم ، إذ أنهم بجهادهم ملأوا الدنيا بملاحمهم الشعرية التي يقرأونها خلال المعارك وقبلها في أنحاء الجزائر كلها ، كما تقرأ الأدعية والأذكار .

الدّراسة الأدبيّة والفنيّة :

أ ـ الأفكار :

ينتمي هذا النص إلى الشعر الملحمي الذي يُشيد بالبطولات والمناقب الوطنية ، وهو فن معروف منذ القديم في الآداب العالمية ، والشاعر في هذه الأبيات يتغنى بفضل ليلة أول نوفمبر وعزم الشعب الجزائري فيها على التحرر .

أفكار القصيدة واضحة تُفهم بيُسر ، بسيطة لا عمق فيها ، مرتبة ترتيبا منطقيا ؛ إذ ترى الشاعر افتتحها بتلبية الشعب نداء ربه للجهاد ، وثنى بإعلان القصاص من فرنسا ، وفي الأخير بيّن أن نوفمبر ما هو إلا مطلع فجر الحرية للجزائر ، وهي أفكار تصور ، في إيجاز وصدق ، اندلاع نار ثورة التحرير في وجه المستعمر الطاغي .

وأفكار الشاعر تبدو متأثرة بالثقافة الإسلامية التي تشبع بها منذ صباه ؛ فليلة القدر ، وألف شهر ، ومطلع فجر ، ألفاظ من «سورة القدر» ، والافتتاح والاختتام في القصيدة جاءا شبيهين بهذه السورة ، كما يظهر تأثره بأبي تمام في الأبيات (4 ـ 7 ـ 8) في قصيدته «فتح الفتوح» التي درستها في العام الماضي .

ب ـ العاطفة :

عاطفة مفدي في هذا النص كانت افتخارا واعتزازا بليلة فاتح نوفمبر ، وهي قوية صادقة ، إذ عبر عن تجربة عاشها ، وهذا ما جعله موفّقا في نقل انفعاله إلى القارىء والتأثير فيه ، ويضاف لهذا انعكاس هذه العاطفة في الصور البيانية الكثيرة .

جـ ـ الأسلوب :

أسلوب القصيدة متين وواضح ، وألفاظه وعباراته ذات رنين قوي يناسب مقام الحماسة ، من ذلك : «الرصاص يدوي ، المدافع ، شواظ ، جمر ، القنابل ، الحديد» ، فهي جميعا موحية بالثورة ولهيبها ، وبقوة المجاهدين وبأسهم ، وفي قوله : «فرنسا العجوز» استصغار لشأن العدو . وتجرُّؤٌ عليه .

واختيار الأسلوب الخبري في النص جاء ملائما للفخر والاعتزاز بالثورة ، وحديثه عن لهيبها الذي يحرق المحتل البغيض .

واستعان الشاعر لتشخيص كثير من معانيه بالصور البيانية التي منها التشبيهان في : «ليلة القدر» ، و«كنت نوفمبر مطلع فجر» ، والاستعارة في : «فعاف اليراع ....» حيث شبه القلم بإنسان يعاف ، فحذف المشبه به ، ورمز له بشيء من لوازمه (عاف) ، فهي استعارة مكنية شخصت شيئا معنويا في صورة حسية ، وتتوالى الاستعارات بعد هذه إلى آخر القسم الثاني ، يمكنك التعرف عليها وشرحها ، وفي قوله : «شغلنا الورى» كناية عن إعجاب الناس ببطولات المجاهدين وتضحياتهم .

أما جانب البديع فلم يهتم به الشاعر كثيرا ، وما جاء من المحسنات أحدث نغما تأنس له الأذن . منها التصريع بين (قدر ، شهر) والجناس الناقص بين (الصحائف ، الصفائح) وبين (الحديد ، الحديث) والقصيدة من وزن «المتقارب» ذي التفعيلات القصيرة المتتابعة التي تتناسب موسيقاها مع الطلقات النارية ، وأجزاؤه :

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

د ـ الأحكام والقيم :

من خلال النص يبدو الشاعر خبيرا بخدع الاستعمار ، ميالا إلى العنف الثوري ، مؤمنا بانتصار الثوار ، متشبعا بالثقافة الإسلامية .

بينما تبدو البيئة مستعمرة فرنسية ، عانت الكثير من ويلات مكر المحتلين وبطشهم ، وفشلت في الكفاح السياسي ، فلجأت إلى الكفاح المسلح .

كما تتجلى في الأبيات قيمة دينية ، تتمثل في تقديس الجهاد ، وذلك في الربط بين ليلة فاتح نوفمبر وليلة القدر ، وبين مجاهدي الثورة التحريرية ومجاهدي غزوة بدر .

تمارين تطبيقية :

1 ـ في القسم الثاني من النص تركيز على أن لغة القوة هي الوحيدة التي يفهمها الاستعمار . لخص هذا المعنى في إيجاز .

2 ـ فيم تشبه معركة الجزائر غزوة بدر ؟

3 ـ ما هو الغرض الأدبي من أساليب القسم الثالث ؟

4 ـ درست ثلاث صور بيانية . استخرج أنت تشبيها من القسم الثالث . واستعارتين من القسم الثاني . ثم اشرحها وبيّن أثرها في المعنى .

5 ـ احفظ النص كله .

للتحليل بالمنزل :

نوفمبر العظيم

لمفدي زكرياء

1 ـ نُفَمْبَرُ جَلَّ جَلَالُكَ فِينَا أَلَسْتَ الَّذِي بَثَّ فِينَا الْيَقِينَا ؟
2 ـ سَبَحْنَا عَلَى لُجَجٍ مِنْ دِمَانَا وَلِلنَّصْرِ رُحْنَا نَسُوقُ السَّفِينَا
3 ـ وَثُرْنَا . نُفَجِّرُ نَارًا وَنُورًا وَنَصْنَعُ مِنْ صُلْبِنَا الثَّائِرِينَا !
4 ـ وَنُلْهِمُ ثَوْرَتَنَا مُبْتَغَانَا فَتُلْهِمُ ثَوْرَتُنَا الْعَالَمِينَا
5 ـ وَتَسْخَرُ «جَبْهَتُنَا» بِالْبَلَايَا فَنَسْخَرُ بِالظُّلْمِ وَالظَّالِمِينَا
6 ـ وَتَعْنُو السِّيَاسَةُ . طَوْعًا وَكَرْهًا لِشَعْبٍ أَرَادَ .. فَأَعْلَى الْجَبِينَا !
7 ـ جَمَعْنَا لِحَرْبِ الْخَلَاصِ شَتَاتًا سَلَكْنَا بِهِ الْمَنْهَجَ الْمُسْتَبِينَا
8 ـ وَلَوْلَا الْتِحَامُ الصُّفُوفِ وَقَانَا لَكُنَّا سَمَاسِرَةً مُجْرِمِينَا !
9 ـ فَلَيْتَ فِلَسْطِينَ تَقْفُو خُطَانَا وَتَطْوِي ـ كَمَا قَدْ طَوَيْنَا ـ السِّنِينَا
10 ـ وَبِالْقُدْسِ تَهْتَمُّ لَا بِالْكَرَاسِي تَمِيلُ يَسَارًا بِهَا وَيَمِينَا

شَغَلْنَا الْوَرَى . وَمَلَأْنَا الدُّنَا
بِشِعْرٍ نُرَتِّلُهُ كَالصَّلَاةْ
تَسَابِيحُهُ مِنْ حَنَايَا الْجَزَائِرْ

تحليل وشرح :

1 ـ ما هي الفكرة العامة للنص ؟

2 ـ في النص أربعة أقسام . حددها . واجعل لكل قسم عنوانا .

3 ـ اشرح الكلمات التالية : تعنو . شتاتا . تقفو .

4 ـ لماذا عظم الشاعر شأن نوفمبر في القسم الاول ؟

5 ـ بالتضحيات انتصر الشعب الجزائري في ثورته . عبر بأسلوبك عما قاله الشاعر في ذلك .

6 ـ ما هو هدف الجزائر من ثورتها ؟ وماذا ألهمت العالمين ؟
7 ـ ما ذا قال الشاعر عن جبهة التحرير التي قادت الثورة ؟ ولمن خضعت السياسة ؟ وكيف ؟
8 ـ بالاتحاد انتصر الشعب . تحدث عما قاله الشاعر في ذلك .
9 ـ ما هي أمنية الشاعر لفلسطين ؟ وبماذا نصحها ؟

الدّراسة الأدبيّة والفنيّة :

أ ـ الأفكار :

1 ـ ما هو غرض هذا النص ؟ أقديم هو أم جديد ؟ علل .
2 ـ كيف ترى الأفكار من حيث الوضوح والترابط ؟ علل حكمك .
3 ـ ما رأيك في الأفكار من حيث العمق والجدة . علل .
4 ـ في النص نزعتان : وطنية وقومية . بيّنهما .

ب ـ العاطفة :

• ما نوع العاطفة في هذا النص ؟ وهل هي قوية صادقة ؟ كيف ؟

جـ ـ الأسلوب :

1 ـ الأسلوب جيّد وواضح . والألفاظ فصيحة موحية . علل موافقتك أو عدمها .

2 ـ الأسلوب الخبري هو الغالب على النص . ماهو غرضه الأدبي ؟
3 ـ هناك أسلوبان إنشائيان في البيتين : الأول والتاسع . استخرجهما ، وبيّن غرضهما البلاغي .
4 ـ في النص صور بيانية . اختر منها تشبيها واستعارة وكناية ، ثم اشرحها ، وبين أثر كل منها في تشخيص المعنى .
5 ـ المحسنات البديعية قليلة في الأبيات . استخرج جناسا وطباقا واشرح أثرهما في اللفظ والمعنى .

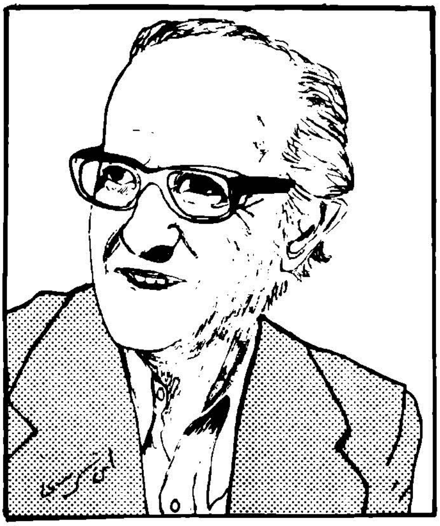
د ـ الأحكام والقيم :

1 ـ كيف تبدو لك شخصية الشاعر والبيئة من خلال النص ؟
2 ـ ما هي القيم التي يمكن استنباطها من النص ؟

* نسق بين إجاباتك لتحصل على تحليل متماسك العناصر .

من ملحمة الجزائر
لسليمان العيسى

تمهيد :



سليمان العيسى شاعر سوري وُلد عام 1921 في قرية النعيرية الواقعة غرب أنطاكية . تلقى ثقافته الأولى على يد أبيه فحفظ القرآن الكريم ، والمعلقات ، وديوان المتنبي ، وآلافاً من الأبيات المختارة من عيون الشعر العربي . التحق بمدرسة أنطاكية ، ثم واصل تعلّمه الثانوي في ثانويات حماة واللاذقية ودمشق .

أتمَّ تحصيله العالي في دار المعلمين العالية ، ببغداد ، فعاد أُستاذًا للغة والأدب العربي في حَلَب ، حيث بقي عشرين سنة يدرّس ويناضل بشعره .

بدأ نَظْم الشعر في سنّ مُبَكّرة ، وشارك في النضال ضد الانتداب الفرنسي لِسُورِيَا ، فزج به في السجن عدّة مرات .

وما يزال إلى حَدّ اليَوْم يُسْهم في إثراء الأدب العربي ، وهو يشتغل مُشْرِفاً أوّل للغة العربية في وزارة التربية السورية .

سليمان العيسى شاعر قوميّ النزعة ، سجّل في شعره نضال الشعوب العربية في سبيل حريتها ، ومن شعره الذي نظمه في جهاد الشعب الجزائري ، نورد لك هذه الأبيات

النـص :

ـ أ ـ

1 ـ رَوْعَةُ الْجُرْحِ فَوْقَ مَا يَحْمِلُ اللَّفْـ   ـظُ ، وَيَقْوَى عَلَيْـهِ إعْصَـارُ شَاعِـرْ

2 ـ مَا عَسَانِي أَقُولُ ؟ وَالشَّاعِرُ الرِّشَّـ   ـاشُ ، والمدفَـعُ الخَطِيب الهَـادِرْ

3 ـ مَـا عَسَانِي أَقُولُ ؟ وَٱلنَّارُ لَمْ تَلْـ   ـفَحْ جَبِينِي هُنَـاكَ ، وَالثَّـأْرُ دَائِـرْ

4 ـ وَدَوِيُّ ٱلرَّشَّاشِ لَمْ يَخْتَرِقْ سَمْـ   ـعِي ، وَيَسْكُبْ . فِي جَانِحِيَّ المَشَاعِرْ

5 ـ لَـمْ أَذُقْ نَشْوَةَ الْكَمِينِ يُـدَوِّي   فَـإِذَا السَّفْحُ لِلُّصُوصِ مَقَـابِـرْ

6 ـ أَلْفَ عُذْرٍ ، يَا سَاحَةَ الْمَجْدِ يَا أَرْ   ضِي الَّتِي لَـمْ أَضُمَّهَـا . يَـا جَـزَائِـرْ

7 ـ بِيَدَيْكِ المَصِيرُ ، فَاقْتَلِعِي اللَّيْـ   ـلَ وَصُوغِيـهِ دَافِقَ النُّورِ . بَـاهِـرْ

ـ ب ـ

8 ـ يَا قِلَاعَ الطُّغَاةِ ، قَدْ نَفَضَ ٱلعِمْـ   ـلَاقُ عَنْ جَفْنِـهِ عُصُورَ الضَّبَـابِ

9 ـ أُمَّـةٌ ظَنَّهَـا الغُـزَاةُ اضْمَحَلَّتْ   وَتَلَاشَتْ وَرَاءَ أَلْفِ حِجَـابِ

10 ـ مَنْ أَحَـالَ الْجِبَـالَ زَأْرَ بَـرَاكِـ   ـينَ وَجُـدْرَانَ مَعْقِـلٍ غَلَّابِ ؟

11 ـ إِنَّهَـا أُمَّتِي .. تَشُـدُّ جَنَـاحَيْـ   ـهَـا ، فَوَجْـهُ التَّارِيخِ فَجْرُ انْقِلَابِ

ـ جـ ـ

12 ـ عَظُمَتْ صَيْحَةُ الْفِدَاءِ ، وَعَزَّتْ   أَنْ تُوَارَى فِي دَامِسِ الظَّلْمَـاءِ

13 ـ هِيَ فِي غَضْبَةِ الْمَلَايِينِ تَهْوِي   فَوْقَ جَلَّادِهَـا سِيَـاطَ ازْدِرَاءِ

14 ـ وَهِمَ الْمُجْرِمُونَ لَنْ يُطْفِئُوا الشَّـ   ـمْسَ بِـإِرْهَـابِ غَيْمَـةٍ سَوْدَاءِ

15 ـ تَتَحَـدَّاهُـمُ السَّجِينَـةُ بِالصَّمْـ   ـتِ رَهِيبًـا ، وَالبَسْمَـةِ الـزَّهْـرَاءِ

16 ـ تَتَحَـدَّاهُـمْ صُخُورُكِ يَـا (أَوْ   رَاسُ) أَنْ يُوقِفُوا زَئِيـرَ القَضَـاءِ

17 ـ مَوْجَةٌ .. تَحْمِلُ الْعُرُوبَةُ فِيهَا   مِنْ جَـدِيـدٍ مُقَـدَّسَاتِ السَّمَـاءِ

تحليـل وشـرح :

هذا النّص أبيات مختارة من قصيدة طويلة نظمها الشاعر في تمجيد جهاد الشعب الجزائري من أجل التحرر من نير الاستعمار . فكرتها العامة هي : **ثورة شعب** تضم ثلاث أفكار أساسية هي :

ـ انتفاضة الجزائر .

ـ يقظة أمّة .

ـ تمجيد الثورة الجزائرية .

أ ـ [**ما عساني أقول** : ماذا بإمكاني أن أقول ؟ـ **يسكب** : يسيل ، يصب ـ **جانحي** : جانبي] .

يُمجّد الشاعر . في الفقرة الأولى . كفاح الشعب الجزائري . ويقرر أنه كفاحٌ دَامٍ يعجز الشعراء ، بالرغم مما أوتوا من القُدرة على التعبير ، وما مُنِحوا من شعور جيّاش ، أن يُحِيطوا به وصفًا وتَبْيِينًا .

ثم يقرر أنه عاجز ـ مع أنّه شاعِرٌ مِقْوَال ـ عن الإفصاح عن هول الثورة الجزائرية . مادام لم يَكْتَوِ بنارها ، ولَمْ يَطَأْ ميدان زحمة القتال ، حيث يَثْأَرُ شعب أبِي لسنوات الاستعمار البغيضة ، فدويّ الرشاش لم يخترق سمعه ، ولم يثر في نفسه المشاعر التي تفيض بها صدور الثوار ، ولم يشترك في نصب الكمائن المدوية التي يُحْكِمُونَها للعدوّ . فيحولون سفوح الرّبى إلى مقابر .

ويلتفت بعدَ ذلك إلى الجزائر ويعتذر لها ، لأنه لم يقدر أن يَفِدَ إلى أحْضَانِهَا ، ولم يستطع أن يمد إليها يدَ العون . ثم يقول لها : إنّ مصيرك بين يديْك . ففُكّي قيودَك ، واْقلعي جذور الظلام الذي أسدله الاستعمار عليك ، واْخرجي منه إلى نور الأمان والاستقلال .

ب ـ [**اضمحلت** : تلاشت ، انْحَلَّتْ ـ **معقل غلاب** : ملجأ كثير الغَلَبَة] .

وفي الفقرة الثانية ، يخاطب الشاعر المستعمر ويُنْذره قائلا : إنّ شعبًا عِمْلاقا قد نفض عن نفسه أثر النَّكَسَات ، وثار ضِدّ قلاع الطُّغاة . ثم يؤكد أن الأمة العربية التي ظنّها الغزاة قد اضمحلت وتلاشت وراء حجب التاريخ ما تزال حية ، لها بعد النكسة صولاتٌ وجولاتٌ . فها هي تشد جناحيها وتحدث انقلابا في صفحة التاريخ ؛ ألم تحول الجبالَ في الجزائر إلى براكين يكتوي بنارها الأعداء ؟ ! ألم تجعل من هذه الجبَال معاقل وحصونا تحتمي بها في عراكها مع الغزاة ؟ ! .

جـ ـ [**تُواري** : تُخْفِي ـ **وَهِم** : غلط ، سَهَا] .

أما في الفقرة الثالثة فيعظم جهاد الشعب الجزائري ويقول : إنّ صيحة الفداء المتعالية في أرض الجزائر لابُدّ أن ترتفع مدويةً تَعِزُّ وَلَا تَذِلّ ، تَبِينُ وَلَا تَتَوَارَى لأنها غضبة الملايين ، وهي بمثابة سياط تهوي فوق ظهور الظالمين .

ثم يقول : إن المستعمر المجرم واهِمٌ لمّا ظنّ أنّه يستطيع أن يقمع ثورة الأحرار باعتمادِ الإرهاب المرّ. فالشمس أبدًا لا يقدر أحدٌ أن يطفئ نورها . أو ليس كُلّ ما في الجزائر يتحدى الأعداء ؟ ! حتى السجينة في زنزانتها تتحداهم ببسمة زاهرة وبصمت رهيب ، بل حتى صخور أوراسك الأشم تتحداهم أن يوقفوا زئير القدر ، ثم يقرر أن جهاد الجزائر موجة عاتية تحمل بفضلها الأمة العربية من جديد رسالة مقدسة جديدة . رسالة التحرر والكرامة .

الدّراسـة الأدبيّة والفنيـّة :

أ ـ الأفكـار :

موضوع النص من الشعر السياسي المرتبط بتحرر الشعوب العربية من الاستعمار . وهو نمط جديد يهدف إلى تخليد مآثر الشعوب الثائرة من أجل استرجاع كرامتها . وإلى مؤازرة حرب الرشاشات بحرب الكلمة .

والنص مقتطف من قصيدة طويلة نظمها سليمان العيسى في أفريل من سنة 1958 . وهي إحدى السنوات التي عرفت فيها الحرب التحريرية أوجها . وقد تناول فيه تمجيد الشعب الجزائري وتعظيم كفاحه . في أفكار أساسية ثلاث . هي في مجملها أفكار مطروقة ، وردت وفق تسلسل منطقي معقول .

والملفت للانتباه فيها هو أن الشاعر لم يكتف بتصوير هذا الكفاح وتمجيده . وإنما تعدّى ذلك إلى إبانة أثره في نفسه .

ولقد أطلق سليمان العيسى العنان لخياله . فجاءت بعض معانيه مبهمة تحتاج إلى بعض التأمل ، كعبارة (نشوةالكمين) ، فما يقصده الشاعر بها هو أنه لم يذق الارتياح والابتهاج الذي يحصُل للمجاهدين عندما يُحْكِمُ كمينُهم قبضته على العدو . وكعبارة (فجر انقلاب) . فمعناها هو : مطلع يوم يحدُثُ فيه تغيُّر إيجابي شامل .

ولعل الجديد في معاني النص هو المعنى الوارد في البيت السابع عشر ، فقد رأى الشاعر فيه أنّ الأمة العربية تُحَمَّل دومًا الأعباء الجسام ، فكما حُمِّلت أمس رسالة القرآن ، فها هي اليوم تُحمَّل ــ بوساطة الشعب الجزائري ــ رسالة مقدسة أُخرى ، هي قيادة الشعوب إلى حياة العزّ والكرامة .

والجدير بالذكر هو أن الشاعر تناول قضية كفاح الشعب الجزائري من زاوية قومية ، فنضال الجزائر بالنسبة إليه ، هو نضال الأمة العربية كلها ، ومن ثم ، فلا بُدّ من مباركة هذه الأمّة وتمجيدها ، في سياق تعظيم الثورة الجزائرية .

ب ـ العاطفـة :

تنوعت عواطف الشاعر في النص . بين أي هذه العواطف تجدها مجسدة فيه ، وأيّد ما تذهب إليه بالحجة والدليل :

الأسف ـ الإعجاب ـ الحب ـ الاعتزاز ـ الازدراء .

جـ ـ الأسلـوب :

1 ـ ألفاظ النص مألوفة قريبة من لغة الجمهور . هات منها نماذج .

2 ـ استخرج من النص طائفة من الألفاظ المستعملة استعمالاً فيه رمزٌ ، وبين ما توحي به .

3 ـ عبارات النص وتراكيبه تتفاوت من حيث الوضوح والغموض . استخرج منه عبارتين تتسمان بالغموض ثم اشرحهما .

4 ـ ما غرض الأمر في البيت السابع ؟

5 ـ ما أسلوب البيت الثاني عشر؟ وما غرضُه الأدبي ؟

6 ـ تأمل الصور البيانية الآتية وبين نوع كُلٍّ منها :

المدفع الخطيب الهادر . ـ اقتلعي الليل .

ـ قد نفض العملاق عن جفنه عصور الضباب .

ـ لن يُطْفِئُوا الشمس .

7 ـ قطع البيت الأول ، وحدد بحره .

د ـ الأحكـام والقيـم :

سليمان العيسى شاعر ملتزم بقضايا أمته . عاش أحداثا كبيرة مرت بها الشعوب العربية ، من بينها أحداث حرب التحرير في الجزائر . وقد كان يُحِس ، بقوة ، بأواصر القرابة ، ووشائج الأخوة التي تربط قومه بالشعب الجزائري فلم يتمالك عن التأثّر بما يحدث في الجزائر ، فجاشت قريحته بشعر كثير مجد فيه كفاحها .

* احفظ الفقرة الثانية .

تطوّر الشّعر السّياسيّ وخصائصهُ

1 ـ في العصر الجاهلي :

كان المجتمع العربي في الجاهلية يخضع للنظام القبلي القائم على العُرف . وكان الشاعر يقْصُر شعره ـ غالبًا ـ على قبيلته في حالات الحرب والسلم ؛ ففي السّلم يتغنى بأمجادها وفضائلها ، وفي الحرب يذود عنها ويفخر بانتصاراتها وبطولاتها . وكانت قصائد الشعراء وقتئذ تُحْدِث في النفوس فعلَها ، وتُؤثر في عواطف أفراد القبيلة وأفكارهم تأثير الصُّحُف والمجلات ووسائل الإعلام الأخرى في وقتنا الحاضر .

وكان الشاعر يَتَبَنَّى مواقف قومه دون أن يُمعن النظر في سَدَادها وصلاحها . بل هو مع قبيلته ظالمةً أو مظلومة ، وهذا ما عَبّر عنه **دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّة** بقوله :

وما أَنَا إِلَّا من غُزَيَّةَ إنْ غَوَتْ غَوَيْتُ ، وَإِنْ تَرْشُدْ غُزَيَّةُ أَرْشُدِ

والحق أنّ الشعر السياسي الجاهلي ، يعتمد وبصورة دائمة عَلى الأغراضِ الشعرية المعروفة وقتئذ ، كالفخر والحماسة والمدح والهجاء ؛ فزهير بن أبي سلمى أبدى موقفا مؤيدا من المسعَى السياسي الذي قام به الحارث بن عوف وهرم بن سنان[1] . فعبر عنه بأعتماد غرض المدح والوصف ، فقد قال في شأن ذَيْنِكَ الرجلين :

يَمِينًا لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ ومُبْرَمِ[2]
تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وذُبْيَانَ بَعْدَمَا تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ[3]
وَقَدْ قُلْتُمَا : إنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعًا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ من الْقَوْلِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ[4]

---

1) راجع في مدح دعاة السلام ـ في ص 77 من كتاب المختار .

س 2 ـ ش : ع .ر ـ (2) السحيل : الحبل المفتول على قوة واحدة . والمبرم : الحبل المفتول على قوتين أو أكثر ـ 3) منشم : اسم امرأة ـ 4) المأثم : الإثم .

2 ـ في عصر صدر الإسلام :

وفي عهد البعثة المحمدية احتدمت حربٌ كلامية بين قريش والمسلمين ؛ فقد انبرى حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة يَرُدّون على الحملة التي نظمها ضد رسول الله (ﷺ) وأصحابه شعراءُ قريش ، فجاء شعرهم نضالاً يُهجى فيه الأعْدَاء ، ويُمدح فيه الأصحاب ، ويُدافَعُ فيه عن المَبَادئ ، وتَبْرُزُ فيه المواقفُ . ومن ثَمّ اصطبغ بصبغة السياسة ، فكان شعرا سياسيا حقيقيا .

ومن أمثلة الشعر السياسي في صدر الإسلام دعوة حسّان قريشًا إلى نبذ الْغَيّ لالتماس الرُشْد ، وترك الشرك لاعتناق دين التوحيد .

أَمَّا قُرَيْشٌ فَإِنِّي لَنْ أُسَالِمَهُمْ حَتَّى يُنِيبُوا مِنَ الغَيَّاتِ لِلرَّشَدِ
وَيَتْرُكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَعْزِلَةٍ وَيَسْجُدُوا كُلُّهُمْ لِلْوَاحِدِ الصَّمَدِ

ومَا يُلاحظ في شعر صدر الإسلام ذي الطابع السياسي الصّادِر عن الشعراء المسلمين ، هو أنّه نبذ فكرة العصبية القبلية . هذا من جهة ، ومن جهة أُخرى صار مُفْعمًا بمعانٍ جديدة لم تكن معروفة لدى الجاهليّين ، استمدها الشعراء المؤمنون من القرآن الكريم ومن هَدْيِ النبي (ﷺ) .

3 ـ في عصر بني أمية :

ظهرت في عصر بني أمية أحزاب سياسية متعدِّدة بقيت رَدَحًا من الزمن تتنافس على الحكم ، وَيدَّعي كلٌّ منها أنه أحق من غيره في خلافة المسلمين . وأهم هذه الأحزاب ، حزب بني أمية الحاكم ، وحزب الخوارج ، وحزب الشيعة ، وحزب عبد الله بن الزبير . وكان لكل حزب شعراؤه الناطقون بلسانه والمدافعون عن مبادئه . «وكان انضواء هؤلاء الشعراء تحت لواء الأحزاب السياسية ، يخضع لاعتبارات شتى ، فبعضهم أُغْرِي بالمال والهِبَات .. ومنهم من حمله على مؤازرة الحِزب الذي اختاره اعتقاده بصحة مبادئه ، وصواب اتجاهه السياسي .. على أن جانبًا كبيرًا من شعراء السياسة كان اتجاههم السياسي مُنْبَثِقا عن شعورهم العصبي ، ومتَّفقا مع النزعة السياسية التي ارتضتها قبيلتهم»[1]

---

1) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ـ د . إحسان النص : ص 405 .

«وجل الشعراء الذين سَاروا في رِكاب الحزب الأموي إنما دفعهم إلى ذلك الطَّمَعُ في العطاء وإغراءُ المال . ولم يدفعْهم إلى ذلك اعتناقهم مبادئَ هذا الحزب وإيمانهم أنه صاحب الحق وحده في تولي أمور الناس . وكثرة هؤلاء من مُحْتَرِفي المديح .. ومن أبرزهم **جرير والفرزدق والنابغة الشَّيْبَانيّ ..وعبد الله بن هُمَام السَّلُوليّ**»[1] الذي دافع عن حق بني أمية في الحكم بقوله :

خِلاَفَـــةَ رَبِّكُـــمْ ، كُونُوا عَلَيْهَـــا إذَا غُمِـــزَتْ ، عَنَـــابِسَـــةً أُسُودَا
تَلَقَّفَهَـــا يَـــزِيـــدٌ عَنْ أَبِيـــهِ فَـــدُونَكَهَـــا مُعَـــاوِيَ عَنْ يَـــزِيـــدَا
أَدِيـــرُوهَـــا بَنِي حَـــرْبٍ عَلَيْكُـــمْ وَلاَ تَـــرْمُوا بِهَـــا الْغَـــرَضَ الْبَعِيـــدَا

«ولم يظفر الحزب الزبيري إلّابشاعر واحد أخلص له الولاء ووقف جلّ شعره على نصرته ، وهو «**عُبَيْدُ الله بن قيس الرُّقَيَّات**»[2] الذي عبّر عن سُخْطِه على بني أمية بسبب انتهاكهم لحُرْمة الديار المقدّسة .

أَنَـــا عَنْكُـــمْ بَنِي أُمَيَّـــةَ مُـــزْوَرٌّ وَأَنْتُـــــمْ فِي نَفْسِيَ الْاعْـــــدَاءُ
إِنَّ قَتْلَى بِـــالطَّفِّ قَـــدْ أَوْجَعَتْنِي كَـــانَ مِنْكُـــمْ لَئِنْ قُتِلْتُـــمْ شِفَـــاءُ

وشعراء الحزب الْهَاشِمِيّ الشّيعيّ لم ينحازوا إلى حزبهم مَدْفُوعِين برغبة في المكاسب . بل ظاهروه لإيمانهم بالمبادىء التي كان يدعو إليها ، ولِحُبِّهم لِآل النبي (ﷺ) . وهذا ما عبّر عنه شاعرهم **الكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ الأسدي** :

إِلى النَّفَرِ الْبِيضِ الَّذِينَ بِحُبِّهِمْ إِلَى اللَّـــهِ فِيمَـــا نَـــالَنِي أَتَقَـــرَّبُ
بَنِي هَاشِمٍ . رَهْطِ النَّبِيِّ ، فَإِنَّنِي بِهِـمْ ، وَلَهُـمْ ، أَرْضَى مِرَارًا وَأَغْضَبُ
فَمَـــا لِيَ إِلَّا آلَ أَحْمَـــدَ شِيعَـــةٌ وَمَـا لِيَ إِلاَّ مَـذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبُ

وبعد ذلك يُهاجم بني أمية ، ويتّهمهم بأنهم لا يهتمون إلّا بالسلطة ، فأما الرّعية فَلَا تهمهم أمورها :

رِدَافًـا عَلَيْنَـا لَـمْ يُسِيمُوا رَعِيَّـةً وَهَمُّهُمُو أَنْ يَمْتَرُوهَا فَيَحْلُبوا[3]

1) العصبية القبلية .. د . إحسان النص ص 407 .
2) المرجع السابق ، ص 410 .
3) **ردافا** : أي يَتعاقبون على تَوَلّيَ أُمُورنا ـ **يُسِيموا** : يرعوا ـ **يمتروا** : يَسْتَدِرُّوا لَبَنَها .

وأمَّا الخوارج فيَرَوْن أن الخلافة ليست وقْفا على طائفة دون أخرى في الإسلام ، فالمسلمون جميعًا سواسية أمام اللّه ، فأكرمهم عنده أتقاهم . وهذا هو المبدأ السياسي الذي انطوت عليه نفوسهم . وهو الذي أفصح عنه شاعرهم **عِمْرَانُ بْنُ حِطَّان** :

فَنَحْنُ بَنُو الْإِسْلَامِ ، واللَّـهُ وَاحِدٌ   وَأَوْلَى عِبَادِ اللَّـهِ بِاللَّهِ مَنْ شَكَرْ

4 ـ في عصر بني العبّاس :

«وإذا تحولنا إلى العصر العبّاسي وجدنا هذا الشعر يأخذ في الضعف لسبب مهم هو ضعف الأحزاب التي يعبّر عنها . أما حزب الزُّبَيْرِيِّين فكان قد سقط نهائيا منذ سنة 72 للهجرة . ولم تَقُمْ له بعد ذلك قائمة . وأمّا حزب الخوارج فإن معاركه مع الأمويين قد طحنته» (1)

وكان شعراء الشيعة وقتئذ يخافون بطش العبّاسيين . لذلك قلما أعلنوا ماينظمون من شعر سياسي . وإنّما كانوا ينشرونه سرًّا فيما بينهم . وهاهو ذا **منصور النَّمَرِيّ** يعبّر عن ولائه لآل الرسول (ﷺ) ويندد بالأمويين والعباسيين على السواء :

شَاءٌ مِنَ النَّـاسِ رَاتِـعٌ هَـامِـلْ   يُعَلِّلُون النُّفُوسَ بِـالْبَـاطِـلْ
تُقْتَـلُ ذُرِّيَّـةُ النَّبِيِّ . وَيَـرْ   جُونَ جِنَـانَ الْخُلْـدِ لِلْقَـاتِـلْ!
وَيْلَكَ يَـاقَـاتِـلَ الْحُسَيْنِ . لَقَـدْ   بُؤْتَ بِحِمْـلٍ يَنُوءُ بِـالْحَـامِـلْ
مَـا الشَّكُّ عِنْدِي فِي كُفْرِ قَاتِلِهِ .   لَكِنَّنِي قَـدْ أَشُكُّ فِي الْخَـاذِلْ

وكان كثير من الشعراء الْمُوَالِينَ للحكم العبَّاسي يُحرّضُون الحكام على الفتك ببني أمية . وكان أبو العبّاس السفّاح ممن استجاب لتحريضهم ، فقد فتك بكثير من الأمويين عملاً برأي الشاعر الحجازي **سُدَيْف** الذي أعلن عنه بقوله :

لَا يَغُـرَّنْكَ مَـاتَـرَى مِنْ رِجَـالٍ   إِنَّ تَحْتَ الضُّلُوعِ دَاءً دَوِيَّـا
فَضَعِ السَّيْفَ وَارْفَعِ السَّوْطَ حَتَّى   لَاتَـرَى فَوْقَ ظَهْـرِهَـا أُمَوِيَّـا

ومنهم من كان يدافع عن حقهم في الخلافة ، وينقضّ على خصومهم من العَلَوِيِّين والشيعة بالحجة القاطعة ؛ ومن هؤلاء مروان بن أبي حفصة ، الذي أكّد أن العباسيين

---

1) تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي ج (1) ـ د . شوقي ضيف . ص 291 .

مُقَدَّمون في وراثة الخلافة على أبناء بنت الرسول (ﷺ) فاطمة الزهراء ، إذِ العمّ مقدم على الأسباط في الوراثة :

هَلَ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نُجُومَهَا بِأَكُفِّكُمْ ، أَوْ تَسْتُرُونَ هِلاَلَهَا ؟ !
أَوْ تَجْحَدُونَ مَقَالَةً عَنْ رَبِّكُمْ جِبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا ؟
شَهِدَتْ مِنَ «الْأَنْفَالِ» آخِرُ آيَةٍ (1) بِتُرَاثِهِمْ ، فَأَرَدْتُمْ إِبْطَالَهَا !

وقد سخّر بعض الشعراء مدائحهم السياسية يضفون بها على بعض الخلفاء هالة من القداسة ، ترفعهم فوق مستوى آل البيت جميعًا . فقد مدح **منصور النّمري** هارون الرشيد ، بعد أن تقرّب منه مخفيا تشيُّعه ، بقوله :

أيُّ امْرِئٍ بَاتَ مِنْ هَرُونَ فِي سَخَطٍ فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَنْتَفِعُ

وبقوله :

آلُ الرَّسُولِ خِيَارُ النَّاسِ كُلِّهِمِ وَخَيْرُ آلِ رَسُولِ اللَّهِ هَرُونُ

وبمُضِيِّ الزمن تلاشى الحديث عن الخلافة وأصحاب الحق فيها ، وخاصة لما غَلَبَت العناصر الأعجمية على الحكم ، وقوِيَ نفوذ الفرس والترك وغيرهم .

وفي القرن الرابع الهجري أصبح بعض العرب يتذمرون من حكم الأعاجم ، ويرون أنهم لا يصلحون لِتَوَلِّي أمورهم ، لأنهم لَا عهدَ لهم ولا ذِمَمَ على حَدّ تعبير المتنبي :

وَإِنَّمَا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ ، وَمَا تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكُهَا عَجَمُ
لَا أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ وَلَا عُهُودٌ لَهُمْ وَلَا ذِمَمُ

ولَمَّا أحدق بالأمّة الإسلامية الخطر الصليبي ، وسقطت بيت المقدس بين أيْدِي الصليبيين تألم الشاعر العربي محمد أبو المظفر الأَبِيوَرْدِي لذلك ، كما تَألّم لتَقَاعُس الحُكام المسلمين من السَّلاَجقة ، وتمنى لو كان الأَمر بأيدي العرب :

أَرَى أُمَّتِي لَا يُسْرِعُونَ إِلَى الْعِدَى رِمَاحَهُمْ ، والدِّينُ وَاهِي الدَّعَائِمِ
وَيَجْتَنِبُونَ النَّارَ خَوْفًا مِنَ الرَّدَى وَلَا يَحْسِبُونَ الْعَارَ ضَرْبَةَ لَازِمِ

1) الآية التي يُشِيرُ إليها الشاعر هي الآية 75 من سورة الأَنْفَالِ ، ونصُّها : وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ ، فَأُوْلَئِكَ مِنْكُمْ . وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

أَتَـرْضَى صَنَادِيدُ الأَعَارِيبِ بِالْأَذَى   وَتُغْضِي عَلَى ذُلٍّ بِأَيْدِي الْأَعَاجِمِ
دَعَوْنَـاكُـمُ وَالْحَـرْبُ تَدْعُو مُلِحَّةً   إِلَيْنَا بِأَلْحَاظِ النُّسُورِ القَشَاعِمِ [1]
تُـــرَاقِبُ فِينَـــا غَـــارَةً عَـــرَبِيَّـــةً   تُطِيلُ عَلَيْهَا الرُّومُ عَضَّ الْأَبَاهِمِ
فَـإِنْ أَنْتُـمُ لَـمْ تَغْضَبُوا بَعْدَ هَذِهِ   رَمَيْنَـا إِلَى أَعْـدَائِنَـا بِـالـحَـرَائِـمِ

ولا نغادر العصر العباسي دون أن نشير إلى أن بعض الشعراء لم يشغلوا أنفسهم بالسياسة ، وآثروا التعبير عن حبهم لأوطانهم وشغفهم بها . ومن هؤلاء ابن الرومي الذي تغنّى بوطنه قائلاً :

وَلِي وَطَنٌ آلَيْتُ أَنْ لَا أَبِيعَـــــهُ   وَأَنْ لَا أَرَى غَيْرِي ، لَهُ الدَّهْرَ ، مَالِكَا
فَقَـدْ أَلِفَتْـهُ النَّفْسُ حَتَّى كَـأَنَّـهُ   لَهَـا جَسَـدٌ ، إِنْ بَانَ غُودِرَ هَالِكَا

5 ـ في عصر المماليك والعثمانيين :

حكم المَمَاليك ثم العُثمانيُّون عددًا كبيرًا من البلاد العربية[2] . وقد ساعد هؤلاء على الحكم طبيعةُ أهل هذه البلاد الذين يستجيبون لداعي الدين ؛ فقد رحّب سُكّان البلاد العربية بالمماليك والعثمانيين حكامًا ، ولم يجدوا غضاضة على أنفسهم في حكمهم لبلادهم . ويتجلّى هذا في التهليل والفرح الذي عبّر عنه بعض الشعراء لانتصارات المماليك والعثمانيين . فهذا الشيخ شهاب الدين يقول في غَلَبَةِ الملك المُظَفَّر قُطُز على التتار :

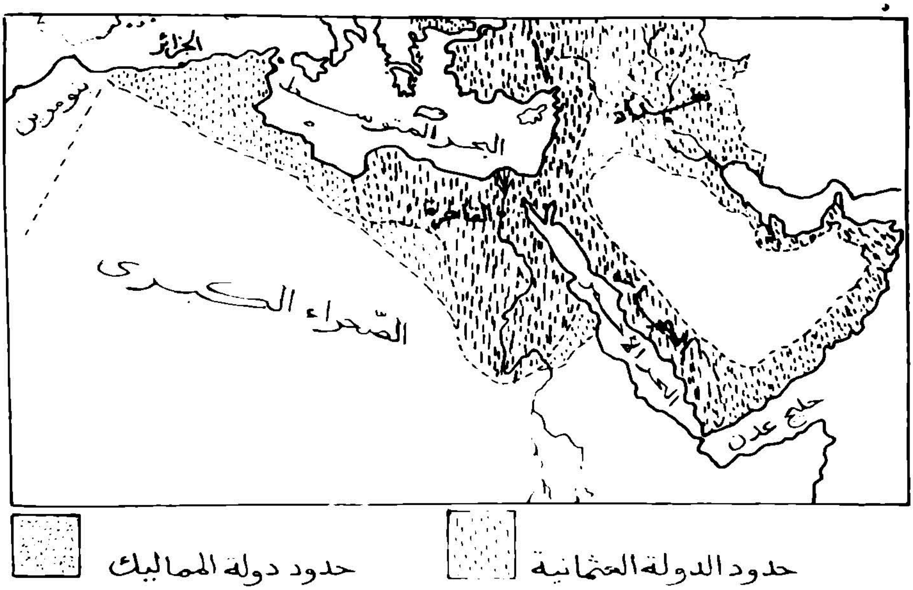
غَلَبَ التَّتَارُ عَلَى الْبِلَادِ فَجَاءَهُمْ   مِنْ مِصْـرَ تُـرْكِيٌّ يَجُودُ بِنَفْسِـهِ
بِـالشَّـامِ أَهْلَكَهُـمْ وَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ   وَلِكُـــلِّ شَيْءٍ آفَـــةٌ مِنْ جِنْسِـــهِ

ويقول القاضي شهاب الدين مستبشرًا بانتصار السلطان الملك الأشرف على الصليبيين بالشام :

الْحَمْـدُ لِلَّـهِ ، ذَلَّتْ دَوْلَـةُ الصَّلَبِ   وَعَزَّ بِالتُّرْكِ دِينُ الْمُصْطَفَى الْعَرَبِي
هَذَا الَّذِي كَانَتِ الْآمَالُ لَوْ طَلَبَتْ   رُؤْيَاهُ فِي النَّوْمِ لَاسْتَحْيَتْ مِنَ الطَّلَبِ
مَابَعْدَ عَكَّا ، وَقَدْ هُدَّتْ قَوَاعِدُهَا   فِي الْبَحْرِ لِلشِّرْكِ عِنْدَ الْبَرِّ مِنْ أَرَبِ

1) **القشاعم** : المُسِنَّة .

2) انظر الخريطة .



6 ـ في العصر الحديث :

عرف الشعر السياسي والوطني في العصر الحديث نشاطاً كبيرًا . فقد اهتم الشعراء بجميع مناحي الحياة ذات الصلة بالسياسة . فما من حدث سياسي إلّا وأبْدَى الشعراء فيه آراءهم مُؤَيِّدينَ أو مُعارِضِينَ . راضين أو ساخِطين . بل إن اهتمامهم لم يَقْتَصِر على ما يقع في بلدانهم فحسب . وإنّما شمل جميع أحداث الوطن العربي والإسلامي . فها هو ذا علي محمود طه . يستنهض العرب ويدعوهم إلى الاتحاد :

بَنِي الْعُرُوبَةِ دَارَ الدَّهْرُ واخْتَلَفَتْ   عَلَيْكُمُو غِيَـــرٌ شَتَّى وَأَرْزَاءُ
مَضَى بِضَائِقَتَيْهَا الْأَمْسُ وانْفَسَحَتْ   أَمَـامَ أَعْيُنِكُـمْ لِلْمَجْدِ أَجْوَاءُ
شُدُّوا عَلَى الْعُرْوَةِ الْوُثْقَى سَوَاعِدَكُمْ   لَا يَصْـدَعَنَّكُـمُ بِالْخُلْفِ مَشَّاءُ

وكذلك فعل أحمد شوقي الذي يرى أن التسلح بالقوة والعلم ضرورة يفرضها العصر :

الدَّهْرُ يَقْظَانُ والأَحْدَاثُ لَمْ تَنَمِ   فَمَـا رُقَـادُكُـمْ يَـا أَشْرَفَ الْأُمَـمِ ؟
هُبُّوا بِكُمْ وَبِنَا لِلْمَجْدِ فِي زَمَنٍ   مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ذِئْبًا كَانَ فِي الْغَنَمِ
هَـذَا الـزَّمَـانُ تُنَـادِيكُـمْ حَوَادِثُـهُ   يَا دَوْلَةَ السَّيْفِ . كُونِي دَوْلَةَ الْقَلَمِ

وهذا معروف الرصافي يقول في شأن مُعاهدة مُجْحِفة فَرَضَها الإنجليز عَلى العراق :

نَشَـرُوا الْـمُعَاهَدَةَ الَّتِي فِي طَيِّهَا   قَيْـــدٌ يَعَضُّ بِـــأَرْجُـــلِ الْآمَـــالِ
قَـــدْ أَبْلَغُونَـــا حُجَّـــةَ اسْتِعْبَـــادِنَـــا   لَكِـنْ مُمَوَّهَـــــةً بِـــــالاسْتِقْلَالِ
وَالْعَهْـــدُ بَيْنَ الإنْجِلِيـــزِ وَبَيْنَنَـــا   كَـــالْعَهْـــدِ بَيْنَ الشَّـــاةِ وَالـــرِّئْبَـــالِ

أمّا محمد العيد آل خليفة فيبث في نفوس بني وطنِه الأمل في استرداد السِيادة والحرية :

أزْرَى بِنَـــا الـــذُّلُّ يَـــا خَلِيلِي   فَهَـــلْ إِلَى الْعِـــزِّ مِنْ سَبِيـــلِ ؟
بِلَادُنَــــــــا أَصْبَحَتْ ذَلُولاً   أَسِيـــرَةً فِي يَـــدِ الـــدَّخِيـــلِ
لَكِنْ سَنَسْعَى بِـــرَغْـــمِ هَـــذَا   لِـــرَدِّ سُلْطَـــانِنَـــا الْجَلِيـــلِ
لَا تَحْسَبُوا رَدَّهُ بَعِيـــــدًا   فَـــإِنَّـــهُ غَيْـــرُ مُسْتَحِيـــلِ

وقد نظم أغلب الشعراء قصائد كثيرة يستنهضون بها شعوبهم للتحرر من الاستعمار بِشتَّى أشكاله ، ويُؤَازِرُونَهَا في ثوراتها ، ويُساعدونها في الدعاية لقضاياها .

وعرف هذا النوع من الشعر بالشعر السياسي التحرري ، أو بالشعر الثوري . ومن أمثلته قول محمد العيد آل خليفة :

يَـا قَوْمُ هُبُّوا لاغْتِنَامِ حَيَاتِكُمْ ،   فَـالْعُمْـرُ سَاعَـاتٌ . تَمُرُّ عِجَـالَا
الْأَسْرُ طَالَ بِكُمْ فَطَالَ عَنَاؤُكُمْ ،   فُـكُّـوا الـقُـيُـودَ وَحَـطِّمُوا الأَغْلَالَا

وقد ألهمت الثوراتُ التحررية العربية التي شهدها النصف الأول من القرن العشرين الشعراءَ ، فتفاعلوا معها ، فأبدعوا في تمجيدها ، وتَفَنَّنُوا في مدّها بالمدد المعنوي ، وحَشْد القلوب على نُصرتها .

فقد تغنى أحمد شوقي بالثورة السورية في عامَ 1925 ، ومجّد بطلَ وشهيدَ الثورة الليبية **عمر المختار** ، الذي رَثَاهُ بقصيدة جاء فيها :

بَطَلُ البَدَاوَةِ لَمْ يَكُنْ يَغْزُو عَلَى   «تَنْكٍ»[1] ، وَلَمْ يَكُ يَرْكَبُ الأَجْوَاءَ
لَكِنْ أَخُو خَيْـلٍ حَمَى صَهَوَاتِهَا   وَأَدَارَ مِنْ أَعْـــرَافِهَـــا الْهَيْجَـــاءَ

1) «تَنْك» : لفظة أعجمية بمعنى دبابة

وقد مَجَّدَ كثير من الشعراء الثورتين الجزائرية والفلسطينية ، وقد مرّ بك نموذج لسليمان العيسى . ومن الأحداث السياسية التي استرعت انتباه الشعراء حادثة العدوان الثلاثي عَلى مصر في سنة 1956 . ومن الشعراء الذين نظموا في هذا الموضوع شعرًا ، الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي ، الذي قال في إحدى قصائده :

عَلَى جَبِينِ الشَّمْسِ بُورْسَعِيدْ
مَدِينَةٌ شَامِخَةُ الْأَسْوَارْ
شَامِخَةٌ كَالنَّارِ ، كَالْإِعْصَارْ
فِي أَوْجُهِ اللُّصُوصْ
لُصُوصِ أورُبَّا مِنَ التُّجَّارْ
مِنْ مُجْرِمِي الحُرُوبْ
وَشَارِبِي الدِّمَاءْ

وفي الجملة فقد تناول الشعراء فضح أساليب الاستعمار في قمع الشعوب ، وتأييد الثورات التَّحَرُّرية ، والتنديد بالفساد السياسي ، وتمجيد البطولة والفداء ، وتشجيع المواقف الداعية إلى وحدة الشعوب العربية .

موضوعات وخصائص الشعر السياسي

يتناول الشعر السياسي المسائل الآتية :

- الحُكم وسياسة الشعوب .
- الحملة على الاستعمار ، والتنديد بفظائع المستعمرين .
- التغني بالحرية والاستقلال .
- الدعوة إلى الحكم الدّستوري . والحث على الاتحاد .
- الحث على الجهاد والكفاح ، والثبات في أوقات الحرب .
- الإشادة بالأبْطال والزعماء .
- تمجيد الشهداء .

ويتميز الشعر السياسي والتحرري والوطني بطابعه الإنساني ، لِأَنَّهُ يعكس تَطَلُّعًا وآمالاً يشترك فيها جميع الناس .

كما يتميز بطابعه الوجداني العاطفي ؛ فالشعر السياسي يخاطب ـ في أغلب الأحيان ـ القُلُوب قبل العُقُول ، لا العكس .

والشعر السياسي أخيرًا يُؤَرِّخُ لأحْدَاثٍ محددة في فترات معينة ، ومن ثَمَّ ، فهو مادّة توثيقية هامّة لفهم بعض الأحْدَاث التاريخية .

ويُميِّز الأدباء في الوقت الحَاضر بين الشعر السياسي ؛ وهو الذي يتناول شؤون الحُكم ، والشعر التحرري الذي يدعو الشعوب إلى التحرر من مستعبديه ، والشعر الوَطَني الذي يمجّد الأوطان ،و يلهج بحبها ومآثرها ؛ على حدِّ قول ابن الرومي السالِفِ ، أو على حَدِّ قول أحمد شوقي :

وَطَنِي لَوْ شُغِلْتُ بِـالْخُلْـدِ عَنْـهُ   نَازَعَتْنِي إليه ، في الخُلْدِ ، نَفْسي



الفصـــل السّـــابـع

الشِّعـــر الاجتماعـــي

1 الحمّال البائس لابن الرُّومي .
2 -- أمّ اليتيم - لمعْروف الرصَافي .
3 - الحَجَر الصغير لإيليا أبي ماضي .
4 - تطور الشعر الاجتماعي وخصائصه .

الشعــر الاجتماعــي

تعريــف :

الشعر الاجتماعي هو الشعر الذي يتناول صراحة وبشيء من التحليل والتفصيل قضية من قضايا المجتمع . والحقيقة أنّ الشعر كلّه لا يمكن أن يخلو من أثرٍ للمجتمع الذي ينبثق منه .

ولا تُعَدّ قصيدة ما اجتماعية إلّا إذا تناولت موضوعاً يهُمُّ حياة الناس اليومية العادية ، كالعدالة الاجتماعية . ونشر التعليم . ومشاكل العمل ، ومحَاربة الانحلال الخُلُقي . والحث على الإصلاح عموماً .

ويكون التناول ــ في الغالب ــ بتحديد العلّة والدّاء ، وتشخيص السّبب واقتراح العلاج والدواء .

الحمّال البائس

لابن الرّومي

تمهيد :



الشاعر هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج ، المعروف بابن الرومي ، ينتسب من ناحية أبيه إلى الروم ، ومن ناحية أمه إلى الفرس ، ولد سنة 221 هـ ببغداد ، نشأ بها وتعلم على علمائها ، وانتفع بذخائر مكتباتها. فاتسعت ثقافته ، وقال الشعر فتفوق فيه ، وأصبح معدودا من فحول شعراء العصر العباسي في فترته الأولى ، لما يمتاز به من موهبة فطرية ، وثقافة واسعة ، وحس مرهف ، وخيال واسع ، وتصوير دقيق . مات سنة 284 هـ .

من آثاره الأدبية رسائل نثرية كتبها إلى بعض أصدقائه ، وديوان شعر ضخم ، يضم أغراض الشعر المختلفة المعروفة في عصره .

عرف ابن الرومي بالمزاج العصبي والإحساس الرقيق ، وقد تناول بعض المواضيع الاجتماعية المثيرة لانفعاله ، فكان بذلك من الشعراء الأوائل الذين قالوا في الشعر الاجتماعي ،

والأبيات التالية قالها حين رآى حمالا أعمى ، فأبدى إشفاقه عليه ، ولحا باللائمة على الأغنياء الذين تحجرت قلوبهم ، فلايحسون بأمثال هذا الحمال ، ولا يُحسنون إليهم كي يُغنوهم عما هم فيه من ذل الحاجة وبؤس الفقر.

النــص :

- أ -

1 ـ رَأَيْتُ حَمَّــالاً مُبِينَ الْعَمَى   يَعْثُــرُ بِــالْأَكْــمِ وَفِي الْوَهْــدِ
2 ـ مُـحْـتَـمِلاً ثِـقْلاً عَـلَـى رَأْسِهِ   تَضْعُفُ عَنْــــهُ قُوَّةُ الْجَلْـــــدِ

- ب -

3 ـ بَيْنَ جِمَــالَاتٍ وَأَشْبَــاهِهَــا   مِنْ بَشَــرٍ نَــامُوا عَنِ الْمَجْــدِ
4 ـ أَضْحَى بِأَخْزَى حَالَةٍ بَيْنَهُمْ   وَكُلُّهُــــمْ فِي عِيشَــــةٍ رَغْــــدِ
5 ـ وَكُلُّهُــمْ يَصْـدِمُــهُ عَـامِـدًا   أَوْ تَــــائِـــهَ اللُّبِّ بِلَا عَـمْــــدِ

- جـ -

6 ـ وَالْبَائِسُ الْمِسْكِينُ مُسْتَسْلِمٌ   أَذَلُّ لِلْمَكْــــرُوهِ مِنْ عَبْــــدِ
7 ـ وَمَــا اشْتَهَى ذَاكَ وَلَكِنَّــهُ   فَــــرَّ مِنَ اللُّؤْمِ إِلَى الْجَهْــــدِ
8 ـ فَرَّ إِلَى الْحَمْلِ ـ عَلَى ضَعْفِهِ ـ   مِنْ كَلَحَــاتِ الْمُكْثِـرِ الْوَغْــدِ

تحليــل وشــرح :

هذا النص يعبر عن حالة اجتماعية في عصر الشاعر . تنبئ عن وجود طبقة الأغنياء الذين لا يحسنون حتى إلى الفقير الأعمى . فكيف بالفقير المبصر . والفكرة العامة هي بؤس الحمال الأعمى وشح الأغنياء . تحتوي على ثلاث أفكار أساسية :

أ ـ عمل الحمال المرهق .

ب ـ حاله بين الأغنياء .

جـ ـ صبره على شقائه حفاظا على كرامته .

أ ـ [**الأكَم** : جمع أكمة : ما ارتفع من الأرض عما حوله ـ **الوهد** : الأرض المنخفضة أو الحفرة ـ **محتملا** : من احتمل الأمر أو الشيئ حمله في مشقة صابرا عليه ـ **الجلْد** : جمعه أجلاد ، هنا بمعنى القوي] .

في البيتين الأولين يوجز الشاعر وضعية الحمال قائلا : إني رأيت حمالا أعمى ، ماشيا في تعثر على طريق غير معبَّدة ، وفوق رأسه حِمْل ثقيل ، يعجز عن حمله القوي المبصر ، ومع ذلك فهو محتمل صابر .

ب ـ [**جمالات** : مثلث الجيم : جِمال ـ **رغد** : بفتح الغين وبسكونها : من رغِد يرغَد العيش : اتّسع وطاب ـ **تائه** : اسم فاعل من تاه يتيه تيها وتيهانا في الأرض : ضل وتحير ـ **اللب** : هنا العقل ، ولب الشئ خالصه وخياره كلُبّ الجوز] .

وفي القسم الثاني يشرح ابن الرومي وضع هذا الحمال البائس مع الذين يعيش بينهم ويعمل معهم فقال : إنه بين جمالات ، ورجال يشبهونها في ضخامة أجسامهم ، لأنهم فاقدو الإحساس ، لا يعملون أعمالا تكسبهم مجدا وذكرا حسنا ، ولا يحسون بمن حولهم من المحتاجين ، فأصبح هو بينهم في حالة يُرثى لها من الفقر والحاجة ، وهم في عيش ناعم طيب ،وليتهم اكتفوا بعدم الالتفات له والإحسان إليه ! إنهم مع ذلك يصدمونه عمدًا أو خطأ ، وفي كلا الحالين يُذمون على أنانيتهم وغفلتهم ، وعدم اهتمامهم بحال البؤساء .

جـ ـ [**اللؤم** : اجتماع الشح ودناءة النسب ومهانة النفس ، وهنا بالمعنى الأخير ـ **الجهد** : من جهَد يجهَد : المشقة ـ **كلحات** : من كلَح يكلَح كُلوحا وكَلاحا : عبس وتكشر ـ **المكثر** : الذي كثر ماله ـ **الوغد** : جمعه أوغاد : الأحمق الدنيئ] .

وتحدث الشاعر في القسم الأخير عن هذا البائس المسكين المستسلم للفاقة وذِلّة الشقاء والعمل المضني ، وهو لم يشته ولم يختر عمله هذا ، لكنه فر من ذل السؤال إلى الكد والتعب ، ولجأ مرغما إلى هذه المهنة الشاقة فرارا من عبوس وجه الغني الشحيح الدنيء ليحافظ على كرامته وعزة نفسه .

الدّراسـة الأدبيّـة والفنيـّة :

أ ـ الأفكـار :

غرض النص اجتماعي ، وهو لون ظهرت بدايته في العصر العباسي نتيجة امتزاج الثقافات والأجناس ، لكنه لم ينتشر مثل الأغراض التقليدية المعروفة ، وابن الرومي كان من السابقين لهذ اللون من الشعر ، ونصه هذا ذو وحدة موضوعية ، وقد عُرف عنه أن أغلب قصائده تتمتع بوحدة الموضوع خلافا لكثير من معاصريه .

وأفكار الشاعر واضحة بسيطة لا غموض فيها ، ليس فيها عمق ، لأنها تناولت ظواهر لاحظها في المجتمع ، وهي ـ كما ترى ـ أفكار متلاحمة ، بدأها ببيان عمل الحمال

وشقائه فيه ، وذكر بعد ذلك حاله بين الرجال النائمين عن المجد . ثم تحدث عن صبر هذا الحمال على العمل المرهق حفاظا على كرامته أن تداس من أولئك .

ورغم قِصر النص فقد استوفى ابن الرومي المعاني المتصلة بالحمال ومن حوله . وقد اشتهر بميزة توليد الأفكار والمعاني واستقصائها ، حتى إنه لا يترك للمتلقي مجالا للتساؤل وطلب التوضيح .

ب ـ العاطفـة :

في النص عاطفتان متباينتان : إشفاق وعطف على الحمال الأعمى . واحتقار وازدراء مَن حوله من الأغنياء الذين يصدمونه ، ويعبسون في وجه من يقصدهم للإعانة والإحسان ، فعاطفة الشاعر صادقة ، لأنه استطاع أن يؤثر فينا ، ويجعلنا متجاوبين مع كلامه ، كمأنها عاطفة نبيلة ، تنبئ عن حس مرهف وتعاطف مع البُؤساء .

جـ ـ الأسلـوب :

1 ـ أسلوب النص جيد واضح ، وألفاظه مختارة موحية بالمعاني . اذكر ما توحي به الألفاظ التالية : يعثر ـ المسكين ـ جهالات ـ كلحات .

2 ـ أسلوب النص كله خبري . ما غرضه الأدبي في حديثه عن الحمال ؟ وما غرضه في حديثه عن الأغنياء ؟

3 ـ أسلوب الشاعر في هذه الأبيات مباشر قليل الصور البيانية . استخرج من القسم الثاني تشبيها وكناية ، واشرحها وبيّن أثرهما في المعنى .

4 ـ المحسنات البديعية قليلة جدا في النص . استخرج طباقا من القسم الأول ، وآخر في القسم الثاني .

5 ـ الأبيات من بحر السريع وأجزاؤه :

مستفعلن مستفعلن فـــــاعلن   مستفعلن مستفعلن فـــــاعلن

د ـ الأحكـام والقيـم :

1 ـ هل تبدو لك ملامح من شخصية ابن الرومي في النص ؟ ما هي ؟

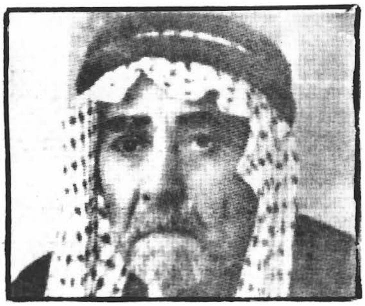
2 ـ في النص ما يعطي صورة عن البيئة الاجتماعية التي قيل فيها النص ما هي ؟

3 ـ في النص قيمتان إحداهما اجتماعية وثانيتهما خلقية فما هما ؟

احفظ النص كله .

أمّ اليَتيـــم

لمعـروف الرّصافـي



تمهيـد :

معروف الرصافي من فُحول شعراء العراق في صدْر العصر الحديث ، ولد في بغداد سنة 1875 . تعلم مبادئ القراءة والكتابة ، ثم تتلمذ على محمود شكري الألوسي ثلاث عشرة سنة .

اشتغل بالتعليم في المدرسة الملكية بالآستانة ثم في دار المعلمين بالقدس الشريف ، ثم دارِ المعلمين ببغداد .

ولما قامت الحكومة الوطنية في العراق،عمل في وزارة المعارف ، ثم انتخب عُضوًا في مجلس النواب العراقي خمس مرات ، ولكنه اعتزل العمل لأفكاره الصريحة التي لم تكن ترضي الحكام . وقضى بقية أيامه في عَوَز وحاجة ، قانعا بكرامته ، مُحافظًا على عِزّة نفسه حتى وافاه أجلُه عام 1945 .

يُعدّ الرصافي من الطبقة الأولى من شعراء النهضة الحديثة من حيث وفرة الإنتاج ، وتَعدُّد الأغراض ، وجودة الشعر ، وصحة المعنى ، ووضوح القصد .

ترك ديوانا ضخما تناول فيه عدّة أغراض ، لعلّ أهمها غرض الشعر الاجتماعي ، الذي نقترح عليك منه ، بمقتطفات من قَصيدة طويلة :

النص :

1 ـ لَقَدْ جَثَمَتْ فَوْقَ التُّرَابِ وَحَوْلَهَا ... صَغِيرٌ لَهَا ، يَرْنُو بِعَيْنَيْ مُيَتَّمِ
2 ـ بَكَى حَوْلَهَا جُوعًا فَغَذَّتْهُ بِالْبُكَا ... وَلَيْسَ الْبُكَا إِلاَّ تَعِلَّةَ مُعْدِمِ
3 ـ وَأَكْبَرُ مَا يَدْعُو الْقُلُوبَ إِلَى الْأَسَى ... بُكَاءُ يَتِيمٍ جَائِعٍ حَوْلَ أَيِّمِ
4 ـ وَسَاءَلْتُهَا عَنْهَا وَعَنْهُ فَأَجْهَشَتْ ... بُكَاءً وَقَالَتْ : أَيُّهَا الدَّمْعُ تَرْجِمِ
5 ـ وَلَمَّا تَنَاهَتْ فِي الْبُكَاءِ تَضَاحَكَتْ ... مِنَ الْبُؤْسِ ضِحْكَ الْهَازِئِ الْمُتَهَكِّمِ
6 ـ فَلَمْ أَرَ عَيْنًا قَبْلَهَا سَالَ دَمعُهَا ... بُكَاءً ، وَفِيهَا نَظْرَةُ الْمُتَبَسِّمِ
7 ـ وَمُذْ عَرَضَتْ لِلابْنِ مِنْهَا الْتِفَاتَةٌ ... أَشَارَتْ إِلَيْهِ بِالْمَدَامِعِ أَنْ قُمِ
8 ـ فَقَالَ لَهَا لَمَّا رَآنِي وَاقِفًا ... أُرَدِّدُ فِيهِ نَظْرَةَ الْمُتَوَسِّمِ
9 ـ سَلِي ذَا الْفَتَى يَا أُمُّ: أَيْنَ مَضَى أَبِي ؟ ... وَهَلْ هُوَ يَأْتِينَا مَسَاءً بِمَطْعَمِ ؟
10 ـ فَقَالَتْ لَهُ وَالْعَيْنُ تَجْرِي غُرُوبُهَا ... وَأَنْفَاسُهَا يَقْذِفْنَ شُعْلَةَ مَضْرَمِ :
11 ـ أَبُوكَ تَرَامَتْ فِيهِ سَفْرَةُ رَاحِلٍ ... إِلَى الْمَوْتِ لَا يُرْجَى لَهُ يَوْمُ مَقْدَمِ
12 ـ وَلَوْلَاكَ لَاخْتَرْتُ الْحِمَامَ تَخَلُّصًا ... بِنَفْسِيَ مِنْ أَتْعَابِ عَيْشٍ مُذَمَّمِ

تحليل وشرح :

1 ـ حدد فكرة النص العامة .
2 ـ قسم النصّ إلى أفكاره الأساسية .
3 ـ تنتمي ألفاظ النص إلى حقول دِلاَلِيّة محددة . استخرج منها ما ينتمي إلى حقل الجوع ، وحقل الحزن .
4 ـ تكررت مادة« البكاء » عدة مرات في النص . فبم تفسّر ذلك ؟
5 ـ لاحظ العبارة الآتية : (يَرْنُو بِعَيْنَيْ مُيَتَّمِ) ، فهل لنظرة اليتيم ميزة خاصة ؟ ما هي ؟
6 ـ كيف كان ردّ أمّ اليتيم لما سألها الشاعر عن حالها وحال ابنها ؟ ولماذا ؟

يرنو : ينظر ـ **البكا** : البكاء ، حذفت الهمزة للضرورة الشعرية ـ **تعلة معدم** : ما يتعلل به الفقير ـ **أيِّم** : المرأة التي فقدت زوجها ـ **نظرة المتوسم** : نظرة المتفرّس ـ **غروبها** : جمع غرب . وهي الدَّلْو العظيمة ـ **مضرم** : من ضرمت النار : اشتعلت ـ **الحمام** : الموت .

7 ـ اشرح العبارات الآتية بأسلوبك :
(ومُذْ عَرَضَتْ لِلابْنِ مِنْهَا الْتِفَاتَةٌ) .
(وَالْعَيْن تَجْرِي غُرُوبُها) .
(أبوك ترامت فيه سفرةُ راحلٍ إلى الموت) .

8 ـ جرى حوار بين اليتيم وأمّه . فما فحْوَاه ؟ وما عدد الأبيات التي أجرى فيها الشاعر هذا الحوار؟ وهل تصور عصر الشاعر وغيره؟ بين ذلك؟

9 ـ استخرج من النص البيت الذي تراه أكثر تأثيرًا في النفس . وبين السبب .

الدّراسـة الأدبيـّة والفنيّـة :

أ ـ الأفكـار :

1 ـ ما هو موضوع النص ؟

2 ـ هل هو من الأدب الهادف ؟ إذا كان كذلك فإلاَمَ يهدف ؟

3 ـ ما الذي دفع الشاعر ـ في نظرك ـ إلى الاهتمام بالشعر الاجتماعي ؟

4 ـ موضوع النص مطروق . غير أنه قُدِّم وفق طريقة جديدة . فما هي ؟

5 ـ تتميز أفكار النصّ بالبساطة . فإلاَمَ تَعْزُو ذلك ؟ ألِى اعتماد أسلوب التصوير أم إلى بساطة الموضوع ؟ علل ما تذهب إليه .

6 ـ استطاع الشاعرُ أن يثير فينا عاطفة الرحمة والشفقة . فما سبب ذلك في رأيك ؟

ب ـ العاطفـة :

يمكن أن نقول بادئ ذي بدءٍ : إنّ الرّصافي شاعر عاطِفِيّ جياش الشعور ، وقد انعكس ذلك في معظم شعره « فالشعر عنده أحاسيس تسيطر على الروح وتتضخم فيها حتّى إذا بلغت ذروتها .. ترجمت إلى كلمات »[1] .

وقد أُوتي قدرة فائقة على نقل أحاسيسه بالبؤس والحرمان الذي يعاني منه البائسون والمحرومون . ولعَلّ ذلك راجع إلى كونه مرّ في حياته بأيام شظف . فذاق مرارة البؤس ، وعرف طَعم العوَز .

ونستطيع أن نلمس في طيات النص عواطف الرحمة والشفقة والتألم والأسف . فما من بيت تقرأه فيه إلّا وجدته مُفْعَمًا بالعاطفة عامرًا بالإحساس .

---

1) مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ـ تأليف نسيب نشاوي ، ص : 85 .

جـ ـ الأسلـوب :

إن أسلوب التعبير لدى معروف الرصافي مشدود إلى القديم بحبال فولاذية ، بحيث لا يدع له لحظة واحدة للتفكير في انتقاء أسلوب جديد يسبك فيه معانيه المتدفقة[1] . فهو متأثر بطريقة القدامى إلى حدّ كبير.

فقصيدة «أم اليتيم» زاخرة بالعبارات الّتي راجت على ألسنة أمثال عنترة وزهير وامرئ القيس ، وهي تمثل شعره التقليدي أصدق تمثيل.

فالألفاظ الآتية : (غروب ـ مضرم ـ الحمام ـ مذمم) ألفاظ نجدها مبثوثة في شعر الجاهليين. وبالرّغم من أنّ الكثير من ألفاظ النّص وعباراته قديمة ، فإنّ ذلك لم يكن حائلاً دون وضوح العبارة وسهولتها.

وفي النصّ حشد كبير من الألفاظ الموحية بالحزن ، والمعبرة عن الألم ؛ مثل : (الأسى ـ البؤس ـ المدامع ـ البكاء).

والرصافي يتمتع بالملكة النفسية التي تُسعفه في وصف ما تقع عليه عَيْنُهُ ، فقد تراوح كلامه هنا بين وصف الأرملة وابنها ، وهما جاثمان يذرفان الدموع الغزار ، وأثر حالتها في نفسه ، وبين حوار نقل فيه ما جرى بين اليتيم وأمه من حديث. ولهذا السبب تنوع أسلوب النصّ بين الخبر والإنشاء. ومن الأساليب الإنشائية ما يلي :

ـ أيها الدمع ترجم.

نداء متبوع بأمر ، غرضه البلاغي لفت الانتباه إلى بلوغ حالها قمّة السوء.

ـ سلي ذا الفتى يا أمّ : أين مضى أبي ؟

أمر ونداء واستفهام. غرضها البلاغي إبراز حيرة اليتيم وتلهفه إلى لقاء والده ، ولفت الانتباه إلى استمرار والدته في إخفاء خبر وفاته عنه.

ـ وهل هو يأتينا مساء بمطعم ؟

استفهام غرضه البلاغي تبيين حدة الجوع التي يعاني منها اليتيم وشدة تلهفه إلى الطعام.

وقد وردت بعض الصور البيانية في النص منها :

ـ غذته بالبكاء :

استعارة مكنية شُبِّه فيها البكاء بالغذاء. لبيان مدى عجز الأرملة عن توفير ما تخفف به وطأة الجوع عن ابنها.

---

1) المرجع السابق ـ ص : 84 .

ـ أنفاسها يقذفن شعلة مضرم .
استعارة تصريحية أيضا ، جعلت الأنفاس تشبه شُعَل النار ، وفائدة هذه الاستعارة تكمن في أنها تجسد انفعال الأرملة الشديد ، وتوالي حركة تنفسها في سرعة وحرارة .
ـ تضاحكت من البؤس ضحك الهازئ المتهكم .
تشبيه بليغ شبّه فيه ضحك الأرملة بضحك الهازئ المتهكم ، وهذا التشبيه يساعد على تَخَيُّل صورة الأرملة ، فضحكتها مفتعلة ، وتقاسيم وجهها لا تبدو فيها أمارات السعادة والدعة .

وفي النص بعض المحسنات البديعية ، كالطباق في البيت الخامس (بُكاء ـ ضِحْك) ، وفي الست الأخير (حِمَام ـ عيْش) .

وقد اختار الشاعر بحر الطويل وزنا لقصيدته ، وهو بحر رحب يلائم غرض الوصف ، ويتسع لشتى الأغراض ، حتى الموضوعات القصصية ؛ التي يختلط فيها الوصف والسَّرْد والحوار .

د ـ الأحكام والقيم :

معروف الرصافي من شعراء النهضة . سخَّر شعرَه لخدمة مجتمعه . وإشاعة المُثل العليا فيه . ويتجلى هذا من خلال النص . حيث عالج فيه قضية اجتماعية يَرْمِي من خلال عَرْضِهَا إلى محاربة مظاهر الفقر والبؤس وإحلال مظاهر التعاون والتكافل محلّها .

وصفاته الشخصية التي نلمحها من خلال هذا النص تُصَوِّرُهُ لنا رَجُلا انفعاليا يَتَأَثَّر بأدْنى مظهر من مظاهر البؤس . يبغض الفقر . ويدعو إلى محاربته . ويحث الناس على التّآخي والتَّرَاحُم .

ومميزات أسلوبه كما تظهر فيه تتمثل في تقليد القُدَامى بأقتباس عبارات من شعرهم واستعمال الكثير من ألفاظهم . مع البراعة في تصوير المشاهد وإجراء الحوار على الألسن .

الحجـر الصّغيـر

لإيليـا أبي ماضـي

تمهيـد :



ولد الشاعر إيليا أبو ماضي . بقرية «المُحيْدِثية» بناحية «بَكْفيا» في لبنان سنة 1889 . عاش بها وتعلم حتى بلغ الحادية عشرة من عمره . ولما ضاق به العيش في بلاده هاجر إلى الإسكندرية بمصر . وظل بها عشر سنوات . يشتغل بالتجارة . ويملأ وقت فراغه بقراءة الأدب العربي القديم . خاصة دواوين الشعراء القدامى . فتكونت لديه ملكة قرض الشعر . وبدأ ينظمه وينشره في بعض الصحف والمجلات المصرية . وجمع فيما بعد في ديوان تحت عنوان : «تذكار الماضي» .

ثم هاجر إلى أمريكا سنة 1911 ، وأقام في مدينة «سنستاني» بضعة أعوام . عاملا في التجارة . ثم انتقل إلى «نيويورك» عام 1916 . واشتغل بالصحافة . فأنشأ جريدة سماها «السمير» ، ولما تأسست «الرابطة القلمية» في هذه المدينة برئاسة جبران خليل جبران[1] سنة 1920 ، أصبح عضوانشيطا فيها ، وأصدر هنالك ديوانيه «الجداول» و«الخمائل» .

وقد ساعده على النبوغ موهبته الفطرية ، وإتقانه الإنكليزية ، ونشاطه في الرابطة القلمية ، وظروفه الخاصة التي أكسبته تجارب عديدة في مجتمعات شتى .

---

1) شاعر وكاتب ورسام لبناني (1883 ـ 1931) .

وللشعر عند أبي ماضي رسالة هي الدعوة إلى الخير والحق والجمال ، وفي رأيه أن الشاعر عليه أن يستفيد من الصراع الدائم بين الخير والشر ليصل من خلال ذلك إلى تحقيق مبدأين هامين هما : حاجة الإنسان إلى أخيه الإنسان ، عظُم شأنه أو صغر . والحفاظ على سلامة البشرية من النزعات الهدامة الداعية إلى التفريق والعنصرية والعداوة بين أبناء آدم وحواء .

ونصه هذا يندرج ضمن هذه النزعة الإنسانية .

النــص :

ـ أ ـ

1 ـ سَمِعَ اللَّيْلُ ذُو النُّجُومِ أَنِينَا ... وَهْوَ يَغْشَى الْمَدِينَةَ الْبَيْضَاءَ
2 ـ فَانْحَنَى فَوْقَها كَمُسْتَرِقِ الْهَمْـ ... ـسِ . يُطِيلُ السُّكُوتَ وَالْإِصْغَاءَ
3 ـ فَرَأَى أَهْلَهَا نِيَامًا كَأَهْلِ الْـ ... ـكَهْفِ . لَا جَلْبَةً وَلَا ضَوْضَاءَ
4 ـ وَرَأَى السُّدَّ خَلْفَهَا مُحْكَمَ الْبُنْـ ... ـيَانِ . وَالْمَاءَ يُشْبِهُ الصَّحْرَاءَ
5 ـ كَانَ ذَاكَ الْأَنِينُ مِنْ حَجَرٍ فِي السْـ ... ـسُدِّ ، يَشْكُو الْمَقَادِرَ الْعَمْيَاءَ

ـ ب ـ

6 ـ أَيُّ شَأْنٍ ـ يَقُولُ ـ فِي الْكَوْنِ شَأْنِي ؟ ... لَسْتُ شَيْئًا فِيهِ . وَلَسْتُ هَبَاءَ
7 ـ لَا رُخَامٌ أَنَا فَأُنْحَتَ تِمْثَا ... لًا ، وَلَا صَخْرَةٌ تَكُونُ بِنَاءَ
8 ـ لَسْتُ أَرْضًا فَأَرْشُفَ الْمَاءَ أَوْ مَا ... ءً ، فَأُرْوِي الْحَدِيقَةَ الْغَنَّاءَ
9 ـ لَسْتُ دُرًّا تُنَافِسُ الْغَادَةُ الْحَسْـ ... ـنَاءُ فِيهِ . الْمَلِيحَةَ الْحَسْنَاءَ
10 ـ لَا أَنَا دَمْعَةٌ ، وَلَا أَنَا عَيْنٌ ... لَسْتُ خَالًا أَوْ وَجْنَةً حَمْرَاءَ
11 ـ حَجَرٌ أَغْبَرٌ أَنَا وَحَقِيرٌ ... لَا جَمَالًا ، لَا حِكْمَةً ، لَا مَضَاءَ

ـ جـ ـ

12 ـ فَلْأُغَادِرْ هَذَا الْوُجُودَ وَأَمْضِي ... بِسَلَامٍ ، إِنِّي كَرِهْتُ الْبَقَاءَ
13 ـ وَهَوَى مِنْ مَكَانِهِ وَهْوَ يَشْكُو الْـ ... أَرْضَ وَالشُّهْبَ وَالدُّجَى وَالسَّمَاءَ
14 ـ فَتَحَ الْفَجْرُ جَفْنَهُ فَإِذَا الطُّو ... فَانُ يَغْشَى الْمَدِينَةَ الْبَيْضَاءَ

الدّراسة الأدبيّة والفنيّة :

أ ـ الأفكار :

النص من الشعر الاجتماعي الذي ظهرت بواكيره في العصر العباسي ، لكن التطرق لمثل هذا الموضوع الإنساني ، ومعالجته بتشخيص المعاني عن طريق بعث الحياة في الطبيعة ، كل ذلك جديد في نص أبي ماضي ، لأننا نجد فيه نزعة إنسانية ، وشغفا بالطبيعة ، وامتزاجا بها ، وتأملا فيها ، وفي المجتمع والنفس البشرية التي يتصارع داخلها الخير والشر ، فتخيل المدينة السعيدة (البيضاء) وراء سد متراص الأحجار ، كبيرها وصغيرها ، يشد بعضها بعضا ، يختزن المياه مصدر الحياة والرخاء لأهل المدينة ، ويتخيل الليل المخيم عليها ينصت لأنين حجر صغير في جدار السد ، مستسلما ليأسه ، يريد أن يتخلى عن مكانه ، فلما فعل أغرقت مياه السد المتهدم المدينة التي أصبحت منكوبة . وفي تماسك أحجار السد رمز إلى سعادة أفراد المجتمع المتآخين المتعاونين ، يؤدي كل منهم دوره ، ويتبادلون الاحترام ،فإن لم يكونوا كذلك ، وأُهِين بينهم ذو المكانة البسيطة ، أصاب اليأس أولئك الضعفاء البسطاء ، وتخلوا عن دورهم في المجتمع ، فاختل توازنه ، وأصاب الخسران والهلاك الجميع .

وتبدو أفكار النص واضحة ميسورة الفهم ، فلا تعقيد ولا غموض فيها ، لكن بعد فهم مايرمز إليه الشاعر ، وهي ، إلى ذلك ، أفكار شديدة الترابط تمثل كلا متماسكا في وحدة موضوعية وعضوية ؛ فالغرض المطروق واحد ، والأبيات كأنها نسيج متلاحم ، يختل المعنى فيها إن زحزح أحدها عن مكانه . وهذا ما دعا إليه الشعراء المجددون في العصر الحديث ، أما من حيث العمق فإن الأفكار عميقة لتشخيصها الحالة النفسية لهذا الإنسان المسحوق ، الذي يعيش في مجتمع لا يلتفت إليه . ولا يعرف له قيمة .

ب ـ العاطفة :

يلاحظ أن العاطفة في هذه القصيدة إشفاق وتحسر على هذا الإنسان الضعيف (الحجر الصغير) ، والقارىء يتجاوب مع الشاعر في رثائه لحالة هذا المسكين . فالعاطفة إذن نراها إنسانية نبيلة . وقوية صادقة . لأن الشاعر استطاع أن ينقل إلى المتلقّي تجربته ، فيجعله مشاركا له فيها ، وسبيله إلى ذلك التعبير البسيط والصور الجميلة والطريقة القصصية الجذابة .

تحليـل وشـرح :

ينصح الشاعر في هذا النص المجتمع عامة ، والفرد المغمور خاصة ، عن طريق الرمز ، لأنه يرى الرمز أبلغ تأثيرا من التعبير المباشر ، فرمز إلى المجتمع بالسد ، وإلى الفرد البسيط بالحجر الصغير . وقدم لنا فكرة عامة هي : كون بناء المجتمع لا يتم إلا بالتعاون بين أفراده ، واستحالة الاستغناء عن أي شخص فيه مهما كانت درجته الاجتماعية متدنية . وتنطوي تحت هذه الفكرة ثلاث أفكار أساسية :

ا ـ توجع الحجر الصغير وتألمه .

ب ـ استسلامه للقنوط واليأس .

جـ ـ نتيجة مغادرته مكانه .

أ ـ [**يغشى** : يغطي ـ **الهمس** : الكلام بصوت خافت ـ **الجلبة** : أصوات مختلطة وضجيج] .

شخص الشاعر في القسم الأول الليل جاعلا إياه إنسانا عاقلا يدرك ، ويتكلم ، ويسمع ، وحين أسدل ظلامه على المدينة البيضاء سمع أنينا خافتا ، أصغى له باهتمام ، فوجد أهل المدينة قد ناموا نوم أهل الكهف ، لا حركة لهم ولا أصوات ، وخلف المدينة سد متين البناء ، مملوء ماء ، وتبين له بعد إنصاته أن صاحب التوجع والأنين هو حجر صغير في السد ، يشكو حظه التعس ، ويعلن تبرمه وسخطه .

ب ـ [**الهباء** : تراب دقيق لا يبدو إلا في ضوء الشمس ـ **الحدائق الغناء** : الكثيرة العشب الملتفة الأشجار ـ **الخال** : هنا بمعنى شامة سوداء في الخد ـ **مضاء** : من مضى يمضي السيف : قطع] .

بعد هذا يحدثنا أبو ماضي بلسان الحجر فيقول : أنا لست شيئا ذا أهمية ، ولم أكن حتى غبارا تذروه الرياح ، ولست رخاما أو صخرا صالحا للبناء ، ولا أرضا خصبة تُسقى لتنبت الزرع والكلأ ، ولست ماء أروي الحدائق والرياض ، ولا دُرًا ثمينا تتبارى الجميلات في اقتنائي والتحلّي بي ، ولست عينا جميلة أو خالا يزين الوجه ، إنما أنا حجر يعلوه الغبار لا يتمتع بجمال أو حكمة أو مضاء .

جـ ـ [**الدجى** : جمع دجية : الظلمة وحدها أو مصحوبة بغيم] .

وفي القسم الأخير ينتقل الشاعر إلى بيان عاقبة الحجر الصغير ناطقا بلسان حاله إذ يقول : يجب أن أغادر مكاني هذا من السد ، لأني سئمت الحياة ، ويحكي عنه أنه هوى من موضعه شاكيا مما أصابه من ذلة وهوان ، متذمرا من الكون كله أرضه وسمائه ، ظلمته ونوره ، فلما تخلى عن مكانه تهدم السد ، فأغرقت مياهه المدينة البيضاء ، التي كانت تعيش في سعادة وهناء .

جـ ـ الأسلـوب :

أسلوب الشاعر ذو تعابير وألفاظ هي غاية في البساطة ، يُعنى ويهتم بالفكرة عمقا ووضوحا أكثر من عنايته بالأسلوب ، وقد اختار الأسلوب القصصي ، وانتقى ألفاظا عذبة موحية ، رغم بساطتها ، مثلما ترى في الكلمات التالية : «أنين» الموحية بالألم والتوجع ، و «البيضاء»المشيرة إلى السعادة ، و «الطوفان» الموحية بهول الكارثة والتهديم الشامل .

وخيال الشاعر كان واسعا ، يتمثل في رسمه لوحتين تنبضان حياةً ؛ الأولى هي الليل المنصت للأنين ، والثانية هي الحجر الصغير وتشاؤمه وشكواه ، وكل لوحة منهما تتألف من صور جزئية ؛ فالليل إنسان يسمع وينحني ويرى ، والحجر الصغير إنسان تعس الحظ حقير يريد مغادرة الكون والحياة ، لكرهه البقاء فيهما ، والفجر إنسان يفتح جفنيه ويصحو من نوم عميق ، وهي استعارات مكنية متعاقبة ، نكتفي بشرح الأخيرة منها للقياس عليها في شرح غيرها ، فالفجر مشبه ، والإنسان مشبه به محذوف ، رمز إليه بـ : (فتح جفنيه) ، وفي ذلك تجسيد للمعنوي (الفجر) في صورة حسية نقلت إلينا المعنى واضحا جليا .

أما جانب البديع فلم يهتم به الشاعر كثيرا ، لأنه ، كما ذكر من قبل ، يعنى بجانب الفكرة وتعميقها بالدرجة الأولى . ولا يلتفت إلى جانب الزخرف البديعي .

الأسلوب الخبري الغالب على النص يلائم السرد القصصي ، وحديث الطبيعة عن نفسها ، وغرضه البلاغي إبداء الحسرة والإشفاق على الحجر الصغير ، وعلى النهاية المفجعة للمدينة ، أما الأسلوب الإنشائي فورد منه نوعان : الاستفهام في البيت السادس : «أي شأن ، يقول ، في الكون شأني ؟» وغرضه الأدبي القنوط واليأس ، والأمر في البيت الثاني عشر : «فَلاَ غادر هذا الوجود» وغرضه إبداء الضجر والملل ، والعزم على الانسحاب من الحياة .

واختار الشاعر بحر «الخفيف» الممتد التفعيلات ، والقافية المختومة بالألف الممدودة لتتلاءم موسيقاهما مع ترجيع التأوهات والأنين . وأجزاء الخفيف هي :

فـــاعلاتـن مستـفعلـن فـــاعلاتـن   فـــاعلاتـن مستـفعلـن فـــاعلاتـن

د ـ الأحكام والقيم :

يبدو أبو ماضي في هذا النص إنساني النزعة ، حر التفكير متأملا فيما حوله من الناس والطبيعة فوظّف ذلك في خدمة الحق والخير ودعوة الناس إليها.

وفي النص قيمة اجتماعية إنسانية هي وجوب التعاون والاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع . بقطع النظر عن درجاتهم في السلم الاجتماعي ، ومن الناحية الفردية يجب على كل شخص أن يعتز بمكانته ومهنته مهما صغر شأنها ، لأن كل ذي مهنة شريف ، ما دام الناس في حاجة إليه .

وتظهر في القصيدة قيمة فنية هي الاتجاه الرومنسي ، والنزعة الإنسانية ، وبعث الحياة في الطبيعة ، والرمز بها لصياغة التجربة الشعرية ، إلى عناية بالفكرة أكثر من العناية بالأسلوب ، ولجوء إلى تبسيط اللغة والتعبير .

تمارين تطبيقية :

1 ـ في القسم الأول من النص حديث عن ليل يسمع الأنين ، وهذا مجاز ، فمن هو الذي كان يسمع في الحقيقة ؟

2 ـ كيف كانت نهاية الحجر الصغير ؟ وفيم تسببت ؟ انقل هذا التعبير المجازي إلى تعبير حقيقي .

3 ـ اختر أسلوبا خبريا من القسم الأول وآخر من القسم الثاني . واذكر غرضهما الأدبي .

4 ـ استخرج من القسم الأول تشبيها واستعارة ، واشرحهما ، وبين أثرهما في المعنى .

5 ـ ما هي مظاهر التجديد البارزة في النص مضمونا وشكلا .

6 ـ احفظ النص كله .

اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن

الطين

لإيليا أبي ماضي

للتحليل :

1 ـ نَسِيَ الطِّينُ سَاعَةً أَنَّهُ طِيـ   ـنٌ حَقِيرٌ فَصَالَ تِيهًا وَعَرْبَدْ[1]
2 ـ وَكَسَا الْخَزُّ جِسْمَهُ فَتَبَاهَى   وحَوَى الْمَالَ كِيسُهُ فَتَمَرَّدْ
3 ـ يَا أَخِي لَا تَمِلْ بِوَجْهِكَ عَنِّي   مَا أَنَا فَحْمَةٌ وَلَا أَنْتَ فَرْقَدْ[2]
4 ـ أَنْتَ لَمْ تَصْنَعِ الْحَرِيرَ الَّذِي تَلْـ   ـبَسُ وَاللُّؤْلُؤَ الَّذِي تَتَقَلَّدْ
5 ـ وَلِقَلْبِي كَمَا لِقَلْبِكَ أَحْلَا   مٌ حِسَانٌ فَإِنَّهُ غَيْرُ جَلْمَدْ[4]
6 ـ أَأَمَانِيَّ كُلُّهَا مِنْ تُرَابٍ   وَأَمَانِيكَ كُلُّهَا مِنْ عَسْجَدْ[5]
7 ـ لَا ، فَهَذِهِ وَتِلْكَ تَأْتِي وَتَمْضِي   كَذَوِيهَا ، وَأَيُّ شَيْءٍ يُؤَبَّدْ ؟
8 ـ أَنْتَ مِثْلِي مِنَ الثَّرَى وَإِلَيْهِ   فَلِمَا ذَا التِّيهُ وَالصَّدْ ؟
9 ـ أَلَكَ الْقَصْرُ دُونَهُ الْحَرَسُ الشَّا   كِي وَمِنْ حَوْلِهِ الْجِدَارُ الْمُشَيَّدْ[6] ؟
10 ـ فَامْنَعِ اللَّيْلَ أَنْ يَمُدَّ رِوَاقًا   فَوْقَهُ ، وَالضَّبَابَ أَنْ يَتَلَبَّدْ[7]
11 ـ أَيُّهَا الطِّينُ لَسْتَ أَنْقَى وَأَسْمَى   مِنْ تُرَابٍ تَدُوسُ أَوْتَتَوَسَّدْ

المطلوب :

حلل النص تحليلا أدبيا بتحديد أفكاره وشرحها بإيجاز ، وبنقده مضمونا وشكلا .

بحث أدبي :

إيليا أبو ماضي من شعراء الرابطة القلمية بالمهجر ، ومن الرومنسيين المجددين في الشعر العربي الحديث . اكتب بحثا تتناول فيه الجوانب التالية :

---

1) صال تيها : جال تكبُّرا .
2) فرقد : نجم قريب من القطب الشمالي يُهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى منه .
3) جلمد : أو جلمود : صخر .
4) عسجد : ذهب .
5) الحرس الشاكي : الحرس التام السلاح والاستعداد .
6) رواقا : هنا ستارالظلام .

- نشأته وظروف هجرته .
- مصادر ثقافته .
- أغراض شعره وخصائصه الفنية .

المراجـع :

- الشعر العربي في المهجر. للدكتورين : إحسان عباس ، ومحمد يوسف نجم .
- إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر. لزهير ميرزا .
- مدخل إلى المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر. للدكتور نسيب نشاوي .
- سلسلة «شعراؤنا» إيليا أبو ماضي . لعبد اللطيف شرارة .



الحجرات

صدق الله العظيم

تطوّر الشّعر الاجتماعيّ وخصائصه

كانت الحياة قديمًا تتميز بالبساطة . ولذلك خلت من المشاكل الكبرى التي تعيشها المجتمعات في الوقت الحاضر . مثل مشاكل البَطالة والنزوح الريفي . وتحديد مكانة المرأة في المجتمع . وتربية الأبناء . وحصر حقوق العمّال ...

فحياة الناس في الماضي تعتمد على النشاط الفلاحي ذي الطابع العائلي . وعلى بعض الحرف والصناعات الضرورية مثل الحياكة والدباغة والنّجارة ...

لهذه العِلّة لا نجد في الشعر العربي القديم قصائد مطولة تتناول مسائل اجتماعية إلّا في القليل النّادر . ثم إنّ الشعر العربي القديم يدور في معظمه في فَلَك الخُلَفاء والأمراء والوزاراء في هيئة مدائح أو مَرَاثٍ ، فلم يَرَ الشعراء فائدةً في التّحدّث عن أدواء الناس ومشاكلهم .

العصـر الجاهلـي :

في العصر الجاهلي وردت لِعَدَدٍ من الشعراء مقطوعات متفرقة تناولت مواضيع لها صلة وثيقة بحياة الناس الاجتماعية . فقد كان الفقر حينئذ وَصْمَةَ هوان . وقد شكاه الشعراء الصّعاليك ـ خاصة ـ . ومما قاله **عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْد** يصف مكانة الفقير في المجتمع :

ذَرِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى . فَــإِنِّي ... رَأَيْتُ النَّـاسَ شَرُّهُـمُ الْفَقِيـرُ
وَأَبْعَـدُهُـمْ وَأَهْوَنُهُـمْ عَلَيْهِـمْ . ... وَإِنْ أَمْسَى لَـهُ حَسَبٌ وَخِيـرُ[1]
وَيُقْصِيـهِ النَّـدِيُّ . وَتَـزْدَرِيـهِ ... حَلِيلَتُـهُ[2] . وَيَنْهَـرُهُ الصَّغِيـرُ

وقد سَجّل زهير بن أبي سلمى[3] ظاهرة اجتماعية إيجابية يجسّدها بذلُ المُوسرين من أموالهم لإعالة الفقراء . ولا سيما في السنوات العِجاف .

1) خير : بِكَسْر الخاء : شرَف الأصل .
2) حليلته . زوجته .
3) راجع «في مدح دعاة السلام» ص 78 من كتاب المختار في الأدب والقراءة ـ السنة الثانية ـ شُعَب : ع / ر/ ت .

إذَا السَّنَةُ الشَهْبَاءُ بِالنَّاسِ أجْحَفَتْ   وَنَالَ كِرَامَ الْمَالِ فِي الحَجْرَةِ الْأَكْلُ
رَأَيْتَ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ   قَطِينًا بِهَا حَتَّى إذَا نَبَتَ البَقْلُ

عصر صدر الإسلام وعصر بني أمية :

وفي صدر الإسلام وعصر بني أمية ، نظم الشعراء في شتَّى الأغراض ، وأفصَحُوا عن آراء موجزة في بعض المسائل ذات الطابَع الاجتماعي ؛ مثل نظرة الناس إلى المرأة . فقد عارض **مَعْنُ بْنُ أَوْس**[1] الّذين يُبْغِضُون المرأة ، وأكّد أن فيهن الصّالحات كما في الرجال :

رَأَيْتُ أُنَاسًا يَكْرَهُون بَنَاتِهِمْ   وَفِيهِنَّ - لَا تَكْذِبْ - نِسَاءٌ صَوَالِحُ
وَفِيهِنَّ ، وَالْأَيَّامُ تَعْثُرُ بِالْفَتَى   نَوَادِبُ ، لَا يَمْلُلْنَهُ وَنَوَائِحُ

غير أنّ بعض الشعراء تَعَدَّوا تَنَاوُلَ العُيُوبِ البشرية ذات الأثر الضّيّق على المستوى الاجتماعي إلى فضح التصرفات السيئة التي تصدر عن بعض المسؤولين على شؤون الرعية . فها هو ذا كَعْب الأشْقَرِيّ[2] يحذّر عمرَ بْنَ عبد العزيز الخليفة العادلَ من عُمّاله وَوُلاتِه ، الذين ليسوا مِثْلَهُ في الورع والتَّقْوَى :

إنْ كُنْتَ تَحْفَظُ مَا يَلِيكَ فَإنَّمَا   عُمَّالُ أَرْضِكَ بِالْبِلَادِ ذِئَابُ
لَنْ يَسْتَجِيبُوا لِلَّذِي تَدْعُو لَهُ   حَتَّى تُجَلَّدَ بِالسُّيُوفِ رِقَابُ

العَصـر العباسـي :

وقد استمر الشعراء في العصر العباسي يَنْظِمون مقطوعات في القضايا الاجتماعية ؛ وقد صدرت هذه المقطوعات على شكل خواطر ، تفتقر إلى العمق والتحليل ، وتتميز في الغالب بالخصوصية ، لا العمومية . فإذا كانت تصلح لإعطاء صورة منعزلة عن حَيَوات بعض الأشخاص ، أو بعض الفئات المحدودة ، فإنها لا تستطيع أن تقدم صورة شاملة عن وضع اجتماعي معين .

---

1) توفي سنة 64 هـ .
2) هو أبو مالك كعب بن مَعْدَان الأشقري ، كان فارسًا شجاعًا من أصحاب المُهَلَّب ابْنِ أبي صفرة .

وكان بعض الشعراء يتمتعون بقدرة الغَوص إلى خفايا المجتمع بفئاته المختلفة . وقد صدر لهم شعر متنوع ، فيه وصف دقيق لنماذج بشرية مذمومة كالبخلاء والجبناء والطفيليين ، على منوال قول ابن الرومي يصف تَنَكُّر الأيّام لأهل المعالي ومُحَابَاتِها للسَّفلة :

نَحْنُ أَحْيَاءٌ عَلَى الْأَرْضِ ، وَقَدْ خَسَفَ الدَّهْرُ بِنَا ، ثُمَّ خَسَفْ
أَصْبَحَ اَلسَّافِلُ مِنَّا عَالِيًا وَهَوَى أَهْلُ الْمَعَالِي وَالشَّرَفْ
يَسْفُلُ النَّاسُ وَيَعْلُو مَعْشَرٌ قَارَفُوا الإقْرَافَ مِنْ كُلِّ طَرَفْ
وَلَعَمْرِي ، لَوْ تَأَمَّلْنَاهُمُ ، مَا عَلَوْا ، لَكِنْ طَفَوْا مِثْلَ الْجِيَفْ

ونلاحظ أنّ هذا الصنف من الشعر الاجتماعي . هادف وبناء في معظمه ، فهو يبرز العيوب ويشخص المرض ، ويترك القارئ يستخلص العبرة ويستفيد من الدّرس . وعلى سبيل التمثيل ـ اُنظر إلى ما في البيتين الآتيين من نقد وراءه موعظة مفيدة ، يقول سَلْمُ ابْنُ عَمْرو الخاسر يَتَّهِمُ أَبَا العَتَاهية بالنّفاق في زُهْدِهِ وَتَقَشُّفِهِ :

مَا أَقْبَحَ التَّزْهِيدَ مِنْ وَاعِظٍ يُزَهِّدُ النَّاسَ وَلاَ يَزْهَدُ
لَوْ كَانَ فِي تَزْهِيدِهِ صَادِقًا أَضْحَى وَأَمْسَى بَيْتَهُ الْمَسْجِدُ

عصر المماليك والعثمانيين :

وفي عصر المماليك والعثمانيين ساءت الأحوال الاجتماعية والاقتصادية بسبب تهالك الحكام على ثروات شعوبهم ؛ يقول شهابُ الدين الأعْرَج المتوفى سنة 785 هـ يصف تَرَدّي حالة الناس الاقتصادية :

وَكَيْفَ يَرُومُ الرِّزْقَ في مِصْرَ عَاقِلٌ وَمِنْ دُونِهِ الْأَتْرَاكُ بِالسَّيْفِ وَالتُّرْسِ
وَقَدْ جَمَعَتْهُ الْقِبْطُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ لِأَنْفُسِهِمْ بِالرُّبْعِ وَالثُّمْنِ وَالْخُمْسِ
فَلِلتُّرْكِ وَالسُّلْطَانِ ثُلْثُ خَرَاجِهَا وَلِلْقِبْطِ نِصْفٌ وَالْخَلاَئِقُ فِي السُّدْسِ

العصر الحديث :

وفي العصر الحديث أصبح نظم الشعر في القضايا الاجتماعية أمرًا اعتياديا . بل إن من الشعراءِ من جاء معظم شعره اجتماعيا فما من شاعر كبير في المشرق أو في المغرب ،

1) قارفوا الإقراف : خالطوا ما يُسْتَنْكَر .

أو حتّى في المهجر الأمريكي ، إلّا نَظَم قصائد اجتماعية متعددة . فقد اشتهر في العراق معروف الرصافي وجميل الزهاوي ، وفي مصر حافظ إبراهيم وأحمد شوقي ، وفي الشام خليل مطران ، وفي الجزائر محمد العيد آل خليفة ، وفي المهجر الأمريكي إيليا أبو مَاضِي .

وقد توجه هؤلاء الشعراء إلى تناول القضايا الاجتماعية **بدافع إصْلاحي تربويّ** ؛ فهم يُرَغّبون في الفضائل ويُنَفّرون من الرذائل . وكثير من الشعراء اعتمدوا على الأسلوب المباشر في نقد بعض الأخلاق السلبية في المجتمعات العربية . فجاءت قصائدهم تتراوح بين الموعظة والتقرير ؛ مثلما فعل محمّد العيد آل خليفة في قوله :

اَلْخَمْــرُ فَــاسٌ خَــرَابٍ هَــدَّمَتْ أُسَرًا	مَصُونَـةً ، عَـاثَ فِيهَـا صَـاحِبُ الْفَـاسِ
يَـا شَارِبَ الْخَمْـرِ مَـا تَـرْجُوهُ مِنْ دَرَنٍ	لِلْعِـرْضِ، غُولِ عُقُولٍ ، لِصٍّ أَكْيَـاسِ
فَحَطِّـمِ الْكَـأْسَ وَاهْجُـرْ كُلَّ رِفْقَتِهَا	تَعِشْ سَعِيـدًا وَتَـأْمَنْ أَلْسُنَ النَّـاسِ

أمّا القليل فقد اعتمدوا على الأساليب غير المباشرة ، وهي أساليب مؤثرة لِمَا لها مِنْ قُدرة على تجسيد الحقائق التي كثيرا ما تَعْمَى عليها الأبصار ؛ ومن أمثلتها قصيدة إيليا أبي ماضي السابقة بعنوان «الطين» .

ومن أهمّ المواضيع التي تناولها الشعراء في شعرهم الاجتماعي قضية الفقر والفقراء وَالْيُتْم والأيْتام . فقد عَاش محمد العيد في سنة 1931 عَامًا عرف فيه الجزائريون شظف العيش ، فدعا حِينَئِذٍ الأغنياءَ من الجزائريّين إلى مَدِّ يد العون لإخوانهم المُعْوِزين :

فَشَـا الْجُوعُ وَاشْتَـدَّ عُسْـرُ الْمَعَـاشْ	وَعَـادَتْ سِنُو يُوسُفَ الغَـابِـرَه
تَفَـاقَـمَ كَـرْبُ الْفَقِيـرِ اَلْكَسِيـرْ	أَمَـا عِنْـدَكُـمْ مِنْ يَـدٍ جَـابِـرَه
يَشُـقُّ عَلَيْـهِ الـرَّغِيفُ الطَّفِيفْ	وَتُعْوِزُهُ الخِـرْقَـةُ السَّـاتِـرَهْ
فَيَـا أَيُّهَـا الـرَّافِعُونَ الْقُصُورْ	إلى الْجَوِّ في اْلأُمَّـةِ اْلقَـاصِـرَهْ
أَلاَ تَـذْكُـرُونَ حُفَـاةً عُـرَاةً	أَصَـابَهُـمُ الْفَقْـرُ بِـالْفَـاقِـرَه

وكان معروف الرصافي ممن أشهر يراعهُ لمحاربة الفاقة . وحثّ الناس على مُساعَدةِ المحتاجين . وقد مرّ بك له نص في هذا الشأن .

ونال التعليم والتربية اهتمام الشعراء . وعلى رأسهم أحمد شوقي الذي قال :

رَبُّوا عَلى الإنْصَافِ فِتْيَانَ الْحِمَى   تَجِدُوهُمْ كَهْفَ ٱلْحُقُوقِ كُهُولاَ
وإذا الْمُعَلِّمُ لَمْ يَكُنْ عَدْلاً . مَشَى   رُوحُ الْعَدَالَةِ فِي الشَّبَابِ ضَئِيلاً
وَإِذَا الْمُعَلِّمُ سَاءَ لَحْظَ بَصِيرَةٍ   جَاءَتْ عَلى يَدِهِ الْبَصَائِرُ حُولاَ
وَإِذَا النِّسَاءُ نَشَأْنَ فِي أُمِّيَّةٍ   رَضَعَ الرِّجَالُ جَهَالَةً وخُمُولاَ

وكان الانحراف الخلقي بجميع أشكاله هو السبب في تأخّر المجتمعات الشرقية . ذلك ما يراه خليل مطران . فلا نجاة في رأيه بدون محاربة هذا الانحراف . واستئصال أهم جذوره . وهو الجهل :

بَنِي الشَّرْقِ فَلْنَفْقَهْ حَقِيقَةَ حَالِنَا   لِنَنْجُوَ أو يُقْضَى الْقَضَاءُ الْمُحَتَّمُ
يَصُولُ عَلَيْنَا الْجَهْلُ غَيْرَ مُدَافَعٍ   بِجَيْشٍ . لَهُ فِي كُلِّ رَبْعٍ مُخَيَّمُ
وَيُعْوِزُنَا الْإِخْلاَصُ في كُلِّ مَطْلَبٍ   وَيُعْوِزُنَا الْخُلْقُ الْمَتِينُ الْمُقَوَّمُ
وَنَرْتَاحُ دُونَ الصِّدْقِ . وَالصِّدْقُ مُتْعِبٌ .   إلى الْإِفْكِ . عَمَّا لاَ نُكِنُّ يُتَرْجِمُ

وكان لِانحراف فئة من النّساء في المجتمعات العربية رَدّ فعل كبير لدى الشّعراء الذين يَغارُون على مقومات شخصيتهم العربية الإسلامية ، قال محمّد العيد يستنكر انحراف بعض الفتيات :

مَا بَالُ سَيْرِ فَتَاةِ الْعَصْرِ مُنْحَرِفًا   يَهْوِي بِهَا فِي مَهَاوِي ٱلْإِفْكِ والزُّورِ
مَا بَالُهَا هَجَرَتْ آدَابَ مِلَّتِهَا   مَا بَالُهَا أَعْرَضَتْ عَنْ خَيْرِ دُسْتُورِ
فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ تَزْدَادُ ظُلْمَتُهَا   فِي الرَّأْيِ . فاقْرَأْ عَلَيْهَا سُورَةَ النُّورِ(1)

وقد تناول الشعر العربي الحديث مواضيع اجتماعية أُخْرى كثيرة أَسْهَمَ بها في نشر الوعي الاجتماعي . وترقية الإنسان العربي . وقد كان له الدّور الفعّال في صرف الناس عن الْتقاط نفايات الحضارة الغربية وتقليدها بأسلوب عشوائي . كما كان لَهُ الأثر الكبير في تشجيع المحسنين على الإحسان .

---

1) اشتملت سورة النور على بيان بعض واجبات النساء وحقوقهن . وقد ورد في الحديث الشريف : «عَلِّمُوهُنَّ سُورَةَ النُّورِ» .

ومن الشعراء من لجأ إلى الرَّمْز لنقد الناس في مواقفهم وتصرفاتهم ، أو لتوجيههم وإرشادهم . ويُمكن تصنيف الشعر الاجتماعي الذي يعتمد على الرّمز إلى ضربين هما :

أ ـ شعر اجتماعي على شكل قصص على ألسنة الحيوان ، وقد برز فيه أحمد شوقي الذي نظم فيه قصائد كثيرة تجمع بين الطرافة والتوجيه المفيد .

ب ـ شعر اجتماعي يعتمد على الأسلوب غير المباشر . وقد برز فيه إيليا أبو ماضي الذي مَرّ له نَصّ في هذا الموضوع بعنوان الحجر الصغير .

وبعد الحرب العالمية الثانية ظهر نوع من الشعر أطلق عليه اسمُ **الشعر الاجتماعي الثوري**[1] . ويتناول بالجملة وَعْيَ جماهير الشعب بواقعها ، وإصرار الكادحين على استئصال أسباب عَوَزهم وسوء أحوالهم . ومن أمثلة هذا الشعر ما قاله الشاعر وَصْفي القرَنْفُلي يصوّر وَعْي الفُقَرَاء لواقعهم ، وفَهْمِهم لمأساتهم :

فُقَرَاؤُنَا قَدْ حَطَّمُوا حُكْمَ الْقَنَاعَةِ وَاسْتَفَاقُوا
الجُوعُ لَيْسَ مِنَ السَّمَاءِ فَمَنْ إذًا ؟ وَهُنَا أَفَاقُوا
وَمَضَوْا ، فَمِنْ مُتَسَوِّلِينْ
عَلَى الرَّصِيفِ ، لِثَائِرِينْ

خصائــص الشعــر الاجتماعــي :

الشعر الاجتماعي **شعر هادف** ، يرمي إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية السيئة **عن طريق تشخيص الدّاء ، وتحديد سببه ، ووصف دوائه** . ويلجأ فيه الشعراء إلى أسلوب الترغيب والتنفير ؛ فهم يرغبون شعوبهم فيما يسهم في ترقيتها وتقدمها ، وينفرونها من الآفات والأوضاع التي تَقَوِّض دعائم نهضتها

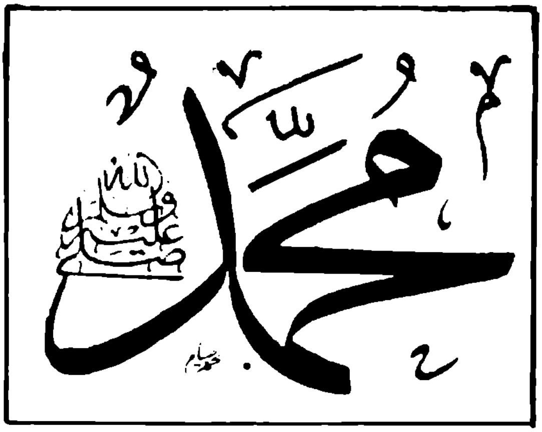
ويُقبل الشعراء على استعمال أساليب الإقْنَاع لتحقيق مراميهم ؛ مثل :
ـ إجراء الموازنة بين نتائج التمادي في الغي والانصراف عنه .
ـ تعريف الناس بحقوقهم ، وبسُبل المطالبة بها .
ـ لفت الانتباه إلى ما أحرزته بعضُ الشعوب المتقدمة في المجال الاجتماعي .

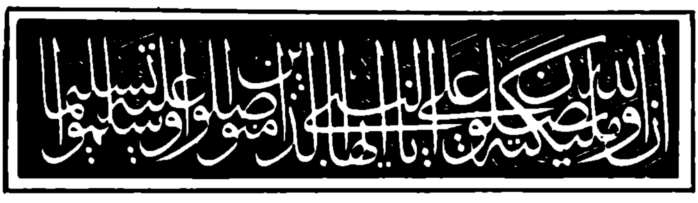
---

2) هو شعر متأثر بالتيار الاشتراكي .

- استخدام أساليب تعبيرية مناسبة مثل : استعمال اللغة الواضحة المؤثرة ، ومخاطبة العواطف ، واعتماد النّمط القصصي والتصويري .
- شَفع الرأي بالحجة البائنة أو الحكمة البليغة .

وثمة ضروب متعددة من الشعر الاجتماعي ، منها :
- الشعر الاجتماعي التقريري ؛ ويعتمد على تصوير الواقع الاجتماعي عن طريق تبيين العيوب والأدواء ووصف العلاج .
- الشعر الاجتماعي غير المُباشر ؛ ويتناول علاج مشاكل اجتماعية بالرمز والإشارة .
- الشعر الاجتْماعي الثوري ؛ ويدعُو إلى الثورة ضدّ الفقر والعَوَز .





الأحزاب

محتويات الكتاب

* الفصل الأوّل

القرآن الكريم والحديث

* الفصل الثاني

المذاهب الأدبية

* الفصل الثالث

المقال

* الفصل الرابع

التراجم والسير

* الفصل الخامس
القصـــة والمسرحيـــة

* الفصل السادس
الشعـــر السيـــاسي

* الفصل السابع
الشعـــر الاجتمـــاعي

الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية الجزائر
O.N.P.S.

MS – 1303

2006 - 2005

I.S.B.N 9947 - 20 - 328 - x ردمك

N° Dépôt légal 783 - 2004 رقم الإيداع القانوني

O.N.P.S

المختـــار

السنـة 3 ثانوي

الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية

MS 1303

سعر البيع : 93.00 دج